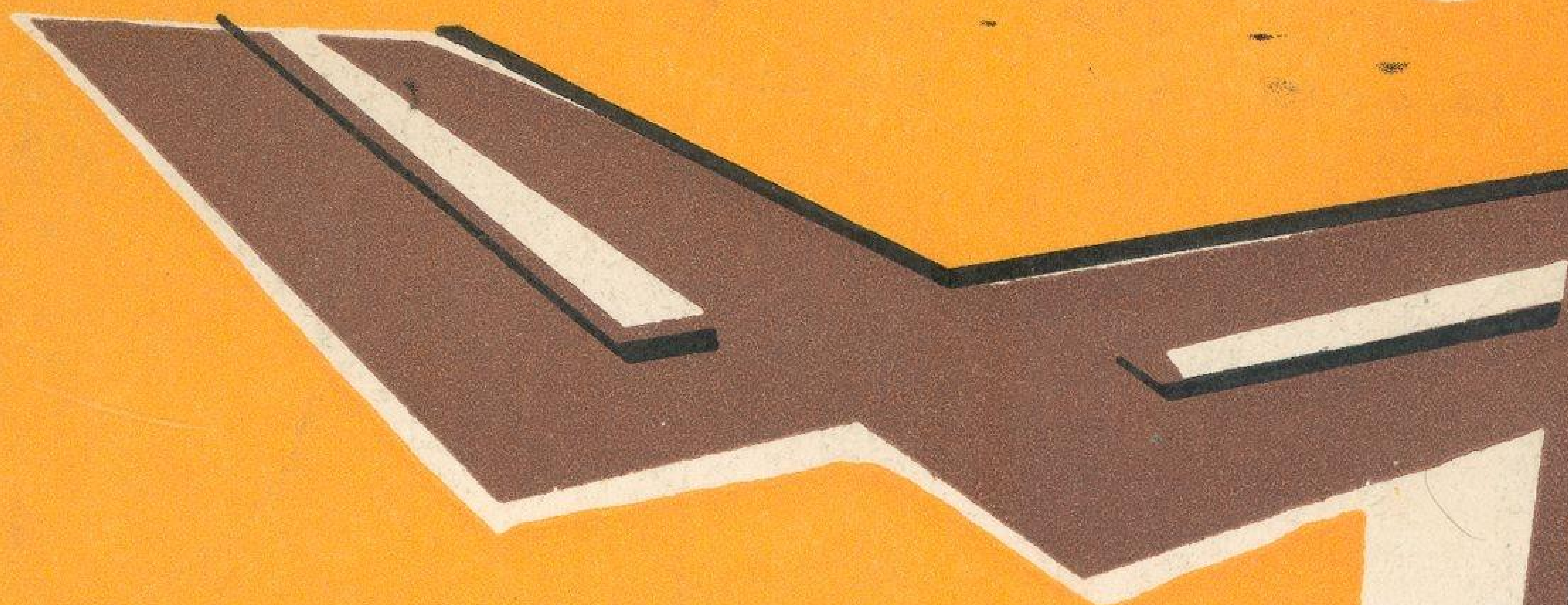
من المسرح العالمى



عسكر ولصوص
أو
نيد كيللى

تأليف الشاعر الاسترالى : دوجلاس ستيوارت

ترجمة : عبد الله فاضل فارع

تقديم : د . على الحديدى

مراجعة : عبد العزيز حسين



مسلسلة

من المسرح العالمي

سلسلة يشرف عليها

أحمد مشاري العدواني
الوكيل المساعد للشئون الفنية

د. محمد اسماعيل الموافي
استاذ مساعد الأدب الانجليزي بجامعة الكويت

زكي طليمات
المشرف الفني لشئون المسرح

المراسلات باسم :

الوكيل المساعد للشئون الفنية
وزارة الارشاد والانباء
صندوق بريد ١٩٣

من المسرح العالمي
أول فبراير ١٩٧١
شهرية
١٧

عسكر ولصوص
أو
نيد كيلي

تأليف الشاعر الاسترالى : دوجلاس ستيوارت
ترجمة : عبد الله فاضل فارغ
تقديم : د . على الحديدى
مراجعة : عبد العزيز حسين

تصدر عن : وزارة الارشاد والانباء - الكويت

العنوان الاصلي للمسرحية

DOUGIAS STEWART



NED KELLY.

PENGUIN BOOKS, 1963

مقدمة بقلم الدكتور علي الحديدي

أرى لكي يستمتع القارىء بمسرحية نيد كيللى الاسترالية، ولكي يحدد على أرض الواقع شخصية بطلها اشهر الزعماء لعصابات قطاع الطرق في استراليا ، وحتى يعيش الأحداث والمواقف فى المسرحية ، ويتفهم الصراع الدائر فيها بين الشر المحبب الى الجماهير والخير البغيض إلى العامة ، لابد له من مقدمة توضح الخلفية التاريخية والنفسية والشعورية لموطن المسرحية وزمانها ، وتلقى الضوء على التركيبة العجيبة التى امتزج فيها العداء بين الأرض والناس والظروف لينبت مجتمعا يظهر فيه « نيد كيللى » — روبين هود استراليا — وآخر ملوك الطريق فيها .

الارض المجهولـــة

ظلت استراليا ملايين السنين ، قبل تاريخ البشرية وخلال الجزء الأكبر من تاريخ الحضارة الإنسانية ، تقع بين المحيط الباسفيكى والمحيط الهندى ، منعزلة عن العالم ومحجوبة عنه ، بعد أن فصلتها البراكين والزلازل عن آسيا أو أمريكا الجنوبية من زمن يمعن فى الأغوار المظلمة من التاريخ المجهول .

لكن وجود أستراليا لم يكن مجهولا تماما لدى بعض جيرانها الشماليين فى آسيا من جنس « الملايو » ، «والبولونيز» فقد كانت معروفة لهم معرفة غير محددة . وقد قاموا بزيارات متعددة لساحلها الشمالى ، منها زيارات تقليدية مازالت تحدث حتى اليوم لصيد السمك أو اللؤلؤ ، وزيارات يضطرون اليها اضطرارا حيث تدفع الأنواء قواربهم فتضل الطريق وتسير بها العواصف حتى تصل بهم الى شمال الأرض المعزولة وقد وجد العلماء والباحثون على شاطىء استراليا الشمالى آثارا ومخلفات لزيارات قصيرة أجنبية عن القارة

أثبت البحث العلمي أنها تنسب لجنس « الملايو » ، وكذلك أكدت التحاليل البشريـة أن بعض أفراد استراليا الأصليين ، وهم جنس « الأبوريجنيز » من الملونين مخلطون بدم جيرانهم من جنس الملايـــو .

ولم يكن الشاطئ الشمالى لأستراليا عنوانا جذابا يغرى الآسيويين من جيرانها بالهجرة إليها واستيطانها وبلادهم تفيض بالنعمة والخير ، بل بدا لهم ، وهو صحراوى ، قاحلا خاليا من الزرع والمياه ومقومات الحياة ، ووقف سدا منيعا يصد الجحافل من أن تخوض البحر إلى الأرض المعزولة لو أنهم عرفوا ما فيها من خيرات وثروات ، وانصرفوا عنها معتقدين أنها ارض واسعة خلقـت من صحراء وجبال وقحط وموات لايسكنها البشر ولكن لتقوم بمهمة التوازن بين نصف العالم الشمالى الملئ بالسكان ونصفه الجنوبى بسكانه القليلين ، وأطلقوا عليها » الأرض المجهولة .

وحين أخذ الزحف الأوربى فى عصر النهضة يمتد الى الشرق ويحتل بلاده ليستنزف ثرواته ، وصل الهولنديون الى اندونيسيا وسمعوا عن « الأرض المجهولة » فوجهوا إليها حملات الاستكشاف وعثروا عليها عام ١٦٠٦ وسموها « هولاندا الجديدة »توطئة لاستعمارها . لكنهم أبقوا نبأ اكتشاف القارة الجديدة سرا حتى لاتسبقهم الى احتلالها احدى الدول الأوربية وكانت جميعها وقتذاك مصابة بحمى التوسع والاستعمار . وشغل الهولنديون باستعمار أندونيسيا وجزر الهند الصينية وكانت واسعة المساحة والثراء فلم يعلنوا احتلال « هولندا الجديدة » للعالم .

السجن الكبير :

ظل اكتشاف القارة الجديدة طى الكتمان حتى وفد اليها « جيمس كوك » الانجليزى عام ١٧٧٠ فطاف بها واكتشف شواطئها وعرف صلاحيتها للحيـاة وإمكانية الزراعة فيها ثم أعلنها مستعمرة بريطانية . ومع ذلك لم يكن التقرير الذى كتبه «كوك » لحكومته يدعو الى التفاؤل من الناحية التجارية وهى التى تهتم بها انجلترا فى ذلك العصر فالأرض

بعيدة ولاتقدم امكانيات كثيرة للمشروعات التجارية ،أو تنتج شيئا يصلح للتجارة فيه، هذا الى جانب سكانها السود الذين يعيشون فى البدائية الأولى أكثر ما يكونون شبهـا بإنسان العصر الحجرى » . لكن هزيمة انجلترا فى حرب التحرير الأمريكية واعلان استقلال أمريكا الشمالية عنها عام ١٧٧٦ ، ومنع انجلترا من ترحيل مجرميها الخطرين إلى امريكا وامتلاء سجون انجلترا بالمجرمين جعلها تفكر فى أن تتخذ « هولندا الجديدة» مستعمرتها البعيدة بديلا لأمريكا .

وفى عام ١٧٨٨ هبط الى استراليا اول فوج من السجناء والمجرمين البريطانيين ، وأصبحت منذ ذلك التاريخ ولمدة ٦٠ سنة اخرى مهجرا ومأوى للمجرمين ، وسجنا كبيراً ينفى اليه الذين لفظهم المجتمع البريطانى من القتلة والسفاحين واللصوص ومنتهكى الحرمات . « وكانت القاعدة العريضة من المرحلين الى المستعمرة الجديدة من أحط الطبقات فى المجتمع البريطانى ممن تلطخت ايديهم بدماء القتلى وقساة القلوب من أشد المناطق بربرية فى أيرلاندا ، ومحترفى السلب والنهب والإجرام من أهالى لندن ، ومن أخس المستعبدين لشهوات التهتك والفحش ونزوات السكر والعنف والشهوة » (١) . كان من بينهم الفلاحون الأميون ، والعمال المتشردون ، والمجرمون والمحترفون ، أبعدوا لسرقاتهم أو اجرامهم أو استعمال العنف مع المواطنين، وجاءوا اليها يرسفون فى السلاسل والقيود.. تمزق جلودهم السياط ، وتدمى ايديهم وأرجلهم من الأغلال .

وصل الى استراليا فى فترة استغلالها منفى وسجنا للمبعدين ١٦٠ ألف مذنب من الرجال والنساء ، غير أنهم لم يكونوا جميعا من عتاة المجرمين ، فقد كان بينهم أقليات تمثل ألوانا من الطبقات الاجتماعية المختلفة . أقلية من الانجليز والأيرلنديين والكنديين. حكم عليهم بالنفى فى جرائم سياسية وأقلية أخرى من الطبقة الراقية أبعدوا فى جرائم مهذبة كالتزوير

(1) A. Horris. Setlders and Convicts 1953,P. 230.

(2) The Story of Australia, by A.G.L. Show, London. 1960, P. P. 110 - 111

والاختلاس ، وثالثة من المضطهدين دينيا من الكاثوليك ، ورابعة من الذين أريد ابعادهم عن مراكز السلطة . وذلك الى جانب المدنيين الذين جاءوا لإدارة شئون المستعمرة ورجال الأمن الذين يحرسون السجناء ويحافظون على النظام فى هذا المجتمع الخطر .

ولم تمض فترة طويلة حتى اكتشفت الإمكانيات الزراعية والإنتاجية فى الأرض الشاسعة التى تقبع بخيراتها فى انتظار المستغلين ، وظهرت فرص النجاح والغنى لطلاب الثروة عن طريق الزراعة والمنتجات الحيوانية ، فهاجر الى استراليا أفواج من طلاب الغنى والثراء وأصحاب المصالح والنفعيين الى جانب المغامرين والمهتمين بشئون الكشف العلمى من العلـماء .

المجتمـع الجديد :

أصبح المجتمع الاسترالى الجديد يتمثل فى طبقتين :

السادة الأحرار من الموظفين المدنيين ورجال الأمن والمهاجرين الباحثين عن الثروة والمغامرة وقد استولوا على مساحات كبيرة من الأراضى والمراعى لزراعتها واستغلالها وصاروا من كبار الملاك ، أو انشئوا المؤسسات المالية والتجارية فى المهجر الجديد .

وطبقة أخرى أشبه بالعبيد ، وهم المذنبون الذين يقضون فترة الحكم عليهم بالنفى والأشغال الشاقة ، يعملون بأيديهم فى بناء المستعمرة سواء فى الأعمال الحكومية كالبناء والزراعة وتمهيد الارض وشق الطرق أو عند طبقة الأحرار خدما أو عمالا زراعيين ، يحكمهم قانون عسكرى صارم بلغ درجة الوحشية . . ووصلت به القسوة الى حد العقاب بالشنق أو الصلب والجلد أو الحرمان من الطعام والراحة أو مضاعفة مدة العقوبة بالنفى لأقل الهفوات . . . وقد حاول كثير من المذنبين الفرار من العذاب الذى يعانون منه بالتخلص من الحياة . . !! وكانت القسوة والوحشية والغرور والتعالى والغطرسة التى يصاحبها الشعور بالذنب عند السجانين والسادة الاحرار ، يقابلها الشعور بالظلم والاسى والاضطهاد والتجنى يصاحبه أنين الخضوع المرير والاذعان المؤلم والعـداء الصامت والرفض العاطفى الحزين والغيظ المكبوت والامتعاض العنيد من المذنبين . كل ذلك ساعد

على خلق الكراهية بين الطرفين ، وعمل على ترسيب الحقد في نفوس السجناء ضد السادة الأحرار ، وكان مقدمة لموجة من العنف المدمر خيم على المستعمرة لفترة طويلة .

كان السجناء والسجانون أو العبيد والأحرار على السواء ينظرون الى استراليا فى سنوات إقامتهم الأولى على أنها مهجر موقت يعيشون فيه لغرض معين ، وكان الأمل في العودة الى الوطن هو الخيط الذى يربطهم جميعا بالحياة فيتحملون من أجله قسوة الإحساس بالعزلة عن العالم والبعد عن الوطن وفيه أهلهم وذووهم ومعارفهم واليه تنتمى عواطفهم وثقافتهم ، ولكن هذه العودة كانت شبه مستحيلة بالنسبة للمجرمين ، ذلك لأن الحكومة فى انجلترا وجدت فى نظام الإبعاد خير طريقة للتخلص من كثير من المجرمين ،ومن ثم لم تكن تود لهم العودة ثانية حتى لايعيدوا سيرتهم الاجرامية الأولى . ومن ناحية اخرى كان نظام الإبعاد والنفى يقضى بأن من أمضى مدة عقوبته بسلوك طيب يعطى تصريحا بمغادرة المنفى والعودة الى الوطن ، غير أن العودة لم تتحقق فعلا إلا لعدد ضئيل جدا ممن لعائلاتهم نفوذ فى لندن . اما الكثرة الغالبة فكان عليهم أن يدخروا اجر العودة . . وكان باهظا . . ، لأن الباخرة كانت تقطعها فى أكثر من ستة أشهر ومن ثم كان على كل منهم أن يعمل لفترة طويلة بالأجر ، وكان زهيدا ، أو يستصدر تصريحابالاستيلاء على ٥٠ فدانا حكرا من الأرض الصالحة للزراعة داخل القارة ، يستغلها فى الزراعة

وتربية الماشية ، ويوفر من انتاجها أجر العودة ، وذلك يستغرق سنوات طويلة . كان هذا العمل فى نفسه فى ظل الحرية الجديدة ، ارتباطا بالأرض التى يعمل عليها ، وبدءاً لحياة شريفة جديدة تمنحه الكرامة والحرية المفقودة ، فما يكاد الواحد منهم يحصل على أجر العودة حتى تكون الرغبة فى العودة إلى الوطن قد قلت ، ويبدأ فى التعود على نوع الحياة والعمل الجديدين فيقلع عن العودة .

ومن ناحية ثالثة لم تكن فى انجلترا رغبة فى تشغيل المجرمين العائدين من المستعمرات بينما كانت استراليا فى حاجة ملحة الى الأيدى العاملة وفيها الفرص الكثيرة للعمل الكريم.

---

(١) المصدر السابق ص ٩٧ .

آثر السجناء والمنفيون الذين تحرروا أن يمدوا لأنفسهم طريقا للحياة جديدا في استراليا ، واتجه أكثرهم إلى داخل القارة وإلى الريف بعيدا عن المواطن التي قضـوا فيها عقوبتهم تحت نير القسوة والعذاب. لكي يدفنوا ماضيهم في غابات استراليا وأرضها المعزولة ، وليبدأوا حياة أسرية كريمة . وأخذ الشعور بالحنين إلى الوطن الأم يختفي شيئا فشيئا . وفي داخل القارة لم يجد المستوطنون المتحررون أية إشارة نفسية أو عاطفية إلى أن المستقر الجديد مرتبط بهم فيتخذونه وطنا بديلا ، فالشعور بالملكية كان قاصرا على طبقة كبار الملاك والمحتكرين من كبار التجار . ونازع المستوطنين الجدد الإحساس بأنهم يعيشون على هامش الحياة في مجتمع أقاموه بدمائهم وجماجم ضحاياهم ، وبنـوه رغم إرادتهم با لعذاب والعرق والأنين فهم أنشأوا مدنه وموانيه وهم حفروا مناجمه ومحاجره ، وهم شقوا طرقه ، وهم بنوا جسوره وحتى مزارع الاقطاعيين ومتاجـر المحتكرين فيه . ومن هذا الشعور الجديد ومن الشعور المترسب في أعماقهم طوال فترة العقوبة ضد السادة الأحرار بدأت تظهر بينهم روح الكراهية والتحدي للسلطة والرغبة في الانتقام والتبجح والتظاهر با لشجاعة ضد النظام الوحشي للادارة وضد السـادة الأحرار ، ووضحت بينهم روح التقدير والتمجيد للذين يقاومون الشرطة ويخرجون عن القانون ، وعمت سخرية مرة تستهدف افساد القيم الاخلاقية لعظماء المستعمرة مـن السادة الأحرار . وتعمقت الكراهية وتوارثها الأبناء .

وفي عام ١٨٤٠ تخلصت استراليا من وصمتها كمنفى للمجرمين ووقف ترحيل السجناء إليها ، وأعلنت « مستعمرة مدنية » وفتحت أبوابها للمهاجرين من الأوربين . . وفي عام ١٨٥٠ بلغ تعدادها ٤٠٥ آلاف نسمة . ثم اكتشف الذهب فيها عام ١٨٥١ فهرع اليها ألوان شتى من المهاجرين وخليط عجيب من أصحاب المصالح والانتهازيين والمستغلين والمحتالـين والمغامرين والأفاقين وطـلاب الثروات يلهثون وراء الغـنى الشريف با لمغامرة وانتهاز الفرص . وفي السنوات العشر (١٨٥١ – ١٨٦٠) التي تعالـت فيها الصرخات الجنونية لاكتشاف الذهب تضاعف سكان المستعمرة فبلغ مليونا ومائـة وستة وأربعين ألف نسمة عام ١٨٦٠ .

وبعد أن انتهت فورة الذهب وموجة جنونه استقر السكان الجدد على السواحل الشرقية والجنوبية والغربية من القارة وذلك لوفرة مصادر الحياة فيها وصلاحية أرضها للزراعة ، والراحة النفسية من الإحساس بالصلة عن طريق البحر بينهم في المهجر البعيد وبين الوطن الأم في أوربا . أما الذين أجبروا على العيش داخل القارة في المزارع ومحطات تربية الماشية فقد كانوا يعيشون في عزلة موحشة ووحدة قاتلة . ولم يكن يصلهم بالعالم وبالمدن الكبرى سوى مواصلات بدائية ، قد لا يرونها لعدة أسابيع من قوافل الجمال وعربات تجرها الثيران تحمل البضاعة والمحاصيل أوعربات الخيول للركاب والبريد (١) تحمل اليهم الأنباء والصحف وما يحتاجون اليه ، أو تأتيهم بمهاجر جديد ينضم الى عالم العزلة والتيه والنسيان .

عصابات قطاع الطرق

في هذه الفترة من تطور استراليا ظهرت عصابات « قطاع الطرق » واتخذت من داخل القارة مسرحا لعمليات السرقة والنهب والتحكم والسيطرة بقوة السلاح ، ومارست إجرامها عنوة في وضح النهار دون رادع من سلطة أوخوف من قانون . وكانوا يستغلون الغابات المترامية الاطراف مأوى يعيشون فيها فلا تصل إليهم قوة ولا يفرض عليهم قانون . وكانت السبعينات من القرن التاسع عشر انبعاثة جديدة لأخطر عصابات قطاع الطرق في استراليا ، وساعدت على ظهورهم عوامل كثيرة : منها تركيز الاهتمام بالأمن على العواصم والمدن الكبرى وترك الريف داخل القارة دون حماية تذكر . ومنها المواصلات البدائية بين العواصم وبين أماكن الاقامة المبعثرة على مساحات شاسعة داخل القارة سواء في ذلك المدن الصغيرة بسكانها القليلين أو المحطات الكبرى للزراعةوتربية الماشية وهى شبه معزولة عن العالم . وأغرى هذه العصابات بممارسة اجرامها حمل عربات البريد ذات الخيول لكميات ضخمة الأموال داخلة بها إلى

---

١ ـ ظلت المواصلات البدائية فى استراليا حتى عام ١٨٧٥ عام دخول قطارات السكة الحديد اليها .

المزارع لشراء المحاصيل والمنتجات أو خارجة منها إلى البنوك دون حراسة أو حماية وقد أستولت عصابة « فرانك جاردنار » الملقب « بملك الطريق » على ٢٨ ألف جنيه عام ١٨٦٢ بعد أن تغلبت على حامية الحراسة للذهب فى « أنيجورا ». وبعد ثلاث سنوات جرد « بين هول » وعصابته عربات البريد الذاهبة من « جونداجاى » والعائدة اليها عما تحمل من أموال. وفي نفس الوقت كانت عصابة « كابتن ثاند اربولت » تقطع الطريق الشمالى الرئيسى وتسيطر عليه متحدية رجال الأمن لمدة سبع سنوات. أما عصابة « كلاركز » فقد ظلت لسنوات عديدة تسيطر على المنطقة التى أقيمت عليها فيما بعد « كانبرا » العاصمة الجديدة لاستراليا. لا يستطيع أن ينفذ اليها رجال الأمن. ثم جاء «نيد كيللى » في السبعينات ومارست عصابته عملياتها في شمال وشرق ولاية فيكتوريا ، وطار صيتها حى ملأ الآفاق ، وفاقت شهرتها جميع من سبقها من عصابات قطاع الطرق وأصبح « نيد كيللى » « ملك الطريق » دون منازع — ١ —

استمتعت عصابات قطاع الطرق بكثير من التعاطف الشعبى داخل استراليا ووجدت الحماية والمساعدة من سكان الريف وأكثرهم من المجرمين السابقين أومن أبنائهم . . وقد حدث عندما قبض على واحد من عصابة « جاردنار » أن وقع خمسة عشر ألفا من سكان المنطقة ملتمسا للحاكم العام يطلبون فيه العفو عن المجرم . وكثيرا ما كانت هيئة المحلفين في محاكم الريف ترفض ادانة من يحاكم من هذه العصابات . ولو أردنا أن نتحرى أسباب هذا التعاطف بين المستوطنين وعصابات قطاع الطرق لوجدنا ها تتلخص فيما يلى :

أولا لأنهم يمثلون في نظرهم الجرأة والشجاعة والجسارة التى يعبدها المستوطنون

ثانيا لأنهم وهم الفقراء ومن الطبقه المستضعفه يقاومون القانون الذى لم يكن جديرا بالاحترام في نظر المستوطنين من المجرمين المتحررين .

---

١ — قصة استراليا ص ١٤٨ — ١٤٩ . ظهر قبل هذه العصابات عدد لم يكن امرهم ذا بال ومن اكثرهم شهرة J. Donahoe بتزمانيا وقتل عام ١٨٣٠ .

ثالثا كان الفقراء والعاملون المستغلون من سكان الريف ينظرون الى سرقات العصابات واغتصابها أموال الأغنياء على أنها العدل الذى لم يستيطعوا تحقيقــه .

رابعا كانت تقاليد هذه العصابات تقربها من قلوب العامة ذلك لأنهم لم يكونوا يتعرضون بالأذى للفقراء والضعفاء ، بل يقدمون لهم المساعدة ويتخذون من صداقات الطبقة الكادحة ظهرا يحميهم من العدو المشترك لها ، وهو رجال الأمن وكبار الملاك والتجار ، وكانوا يدفعون للأهالى بسخاء وكرم ثمن ما يطلبون من طعام وكساء وشراب .

خامسا كانت مغامراتهم تنصب على الأغنياء وعلى المؤسسات التى يديرها السادة الأحرار ولهؤلاء وأولئك رصيد مختزن من الكراهية فى قلوب سكان الريف الاسترالى .

سادسا كانت العصابات تسخر من الشرطة وتصيب رجالها بالذعر والخوف والهلع. وكان المستوطنون فى الريف يجدون فى ذلك انتقاما مما عانوه على أيدى حراسهم فى سنوات السجن فكانوا يضللون الشرطة بملومات خاطئة عن تحركات الفارين وينقلون الاخبار تطوعــا الى العصابات فى الغابات والأحراش .

عاش زعماء العصابات بتقاليدهم فى عواطف الشعب الاسترالى واستقروا فى شعوره الباطن، وعلى مر الزمن أخذ ينسج من حولهم القصص والأغانى الشعبية ، يمجدهم أبطالا ويتخــذ خياله منهم صورا للشجاعة والشهامة والعدل والكرم والعطف على المساكين والانتقام مــن المتجبرين . . وتوارثت الأجيــال الاغانى والقصص ، وأضاف كل جيل من خياله الى الصورة أمجادا وبطولات . وأصبحت الأغانى والقصص عن زعماء العصابات تمثل جزءاً من التراث الشعبى الاسترالى . من هذا التراث أغنية بعنوان

« بين هول الجسور » تقول :

تعالوا معى أبناء استراليا جميعــا
من أجل بطل جسور قتــل
ذبح بخسة وجبن وهو نائم

فوق وادى « لاخـــلال »
أنا لا أدعوكم لتظهروا عليه آثار الحزن فقط
ولكنى أدعوكم لتذرفوا الدمع عليه غــزيرا
فالقلوب الشجاعة سوف تحزن دائمـــا
من أجل نهاية « بين هــول »
لم يسرق أبدا من رجل فقــير
وتاريخه سوف يحكى للنــاس
انه كان وفيا لرفقائــه
وشجاعا جسورا أمام خصومه وأعدائــه
وبواسطة معلومات من قواد نذل منحرف
هاجموا مخبأه وهــو نائـــم
أولئك الجبناء المؤذون لابسو المعاطف الزرقاء (البوليس)
نعم ، قتلوه بوحشية ، قتلوا البطل « بين هول » . (١)

أما « نيد كيللى » ذلك الذى خبت أمام شهرته شهرة كل من سبقوه ، والذى بلغ تعاطف الجمهور معه حدا فاق كل وصف ، وجاوزت مشاركتهم الوجدانيه له كل تصور وتقدير ، فقد نال النصيب الأوفي من القصص والأغانى الشعبية والملاحم البطولية في استراليا وجمح الخيال بالاستراليين فجعلوه شبيها بفرسان القرون الوسطى يأخذ مــن الأغنياء ليعطى الفقراء ، وأضفوا عليه من الصفات ما جعله « روبين هود استراليا » ؟ وفي الحرب العالمية الثانية بعد أن أحتل اليابانيون جزيرة « نيو جينى » وهددوا شواطئ استراليا ظهرت اغنية شعبية وانتشرت على كل لسان تستنجد بذكرى « نيدكيللى » وبطولته لتساعد الاستراليين على طرد اليابانيين وصدهم عن احتلال استراليا تقول الأغنية

(1) Australian Ballads. ed. by Russel Wand, London, 1964 P. P. 73-74.

نيد كيللى كان سيــدا نبيــلا
تحمل الكثير من الجور والاذى والحرمان
وكان يقاتل ليأخذ من الاغنيـــاء
ثم يعطيه الفقــراء
لكن أسلوبه في التوزيــع
لم يكن مقبولا من الجميع
ومع ذلك فقد أيده رجال مسلحون
معروفون بجلبرت وبين هـــول .
أعتقد أنه شئ يدعو للأســف
ذلك أنهم شنقوه بحـــبل
لقد صنعوا تاريخ استراليــــا
ولكنهم حطموا آمال كيللى
وليتهم أرسلوه الى البرلمان
فقد كانت امكانيات نجاحه متوقعــة
كان سيعمل من أجل الطبقه الكادحـــة
ان لم يكن من أجل الاغنياء كذلــك
ولو أنه كان في استراليا الآن
لدرب الملايين في الغابات على القتـــال
ولضحكوا بعنف من الرجل الأصفر الصغير
لو أن « نيد » ورفاقه من محاربى الغابـــات
كانوا معنا هذه الأيام
لما استطاع اليابانيون أن يجوبوا
نيوجينى وخليج ميلنى للسرقة والنهب .
«نيد» عبر الحدود
فوجد كثيرا من الفرص

فلماذا لا نقتبس خطته
حول جبال أوين ستانلى !
مسكين « نيد » كان سيدا نبيلا
ولكن لم يفهمه أحد ؟
نريد رجالا من مثل معدنه الآن
لكى يصدوا الطوفان الأصفر (١)

ومع أن أكثر الأغانى والقصص الشعبية الاسترالية التى دارت حول « نيد كيللى » عبرت عن الجانب العاطفى من شعور الجماهير والعامة فإن بعضها لم تكن خالية من الوقوف ضد الجريمة لنصرة العدالة والقيم الاخلاقية . ومن ذلك اغنية بعنوان « أغنية نيد كيللى » تقول :

فى كوخ متداع قديم ولد نيد كيللى
ودخل عالم الشجار والعراك وهو صبى غرير
وتربى مع رجال فاسدين ولصوص الماشية والسارقين ،
وتعلم منهم كل أعمالهم السيئة والاجرامية
والآن الى « جليز ووان » حيث احتلت عصابته الحانه
وشربوا وغنوا فى البار مع أسراهم
وعندما تقدم رجال الشرطة وحاصروا الحانة من كل مكان
انتظرت عصابة « كيللى » وطال بها الانتظار
أناس يقولون : انه كان بطلا وأعطى المساكين ،
وآخرون يقولون : إنه مجرم قاتل ،
لكنه فى رأيى أثبت صحة المثل القائل :

---

١ ـ المصدر السابق ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨ .

الجريمــة لا تفيــد (١)

كذلك كان قطاع الطرق ولصوص الغابات موضوعا شائعا افتتن به الشعراء والكتاب فى استراليا ، فكتبوا حوله الكثير من القصائد والاغانى والملاحم الشعرية والقصص وخاصة ابان فترة الدعوة الى الحركة القومية فى الادب الاسترالى . غــير أن اكثر الادبــاء لم يقفوا – كالأدب الشعبى – موقف التمجيد للمجرمين الأبطال ، بل عالجوا الفكرة مــن زواياها الصحيحة :

الخروج على القانون ، والسلوك الإجرامى وعواطف الجماهير . ومن ذلك قصيــدة للشاعر « ادوارد هارينجتون » بعنوان « قطاع الطرق » يقول فيها :

أربعة فرسان خرجوا من قلب الجبــل .
أربعة فرسان لهم هيئة غريبة ومظهر وعــر
يلبسون أحذية فيها مهاميز ، وهم مسلحون
بأنواع مختلفة من السلاح ، « حتى آذانهــم
نظروا الى الوادى من تحتهم ، وتجهمــوا ،
وأنطلقوا بجيادهم بين الصخور ونبات السرخــس . .
نيد كيلى ، ودان كيلى ، وستيف هارت ، وجو بيرن
نيد كيلى شد اللجام ، وسحب قبعته على عينيه :
« المدينة تحت رحمتنا ! انظر : انها تقبع هناك .
فلتذهب الشرطة الى الجحيم ! وهدد بقبضة يده !
« سوف نرديهم بالرصاص كالكلاب اذا تجرءوا على المقاومة !
وهزوا رؤوسهم موافقين بوجوه ضارية وتعبيرات شرسه
نيد كيلى ، دان كيلى ، ستيف هارت ، وجو بيرن .
بين الأخاديد وجداول المياه يسيرون بجيادهم فى صمت ،

(١) المصدر السابق ص ٢٤٨ .

وهددوا مركز الشرطة بالسلاح ، وأغاروا على المدينه !
وفتحوا الخزانة ، ونهبوا البنك ،
وأكلوا وشربوا فى ضحك ومرح وغنـــاء ،
ثم عادو الى الغابات ومعهم الذهـــب
أوه ! لم تسبقهم عصابة فى مثل تهورهم وجسارتهم !
لكن الزمن يأتى بالعقاب ، والزمن يسير بسرعة
وأخيرا ، وقع الخارجون على القانون فى الفخ فى مدينة جلينروان :
ثلاثة منهم ماتوا فى الدخان واللهب ،
بينما « نيد كيللى » لعب آخر مباراة فى حياتـــه ،
وأرداه القانون بالرصاص فقتله . (لم يقتل بالرصاص ولكنه مات شنقا)
وذلك آخر العهد بعصابات قطاع الطرق .

أيا كانت أخطاؤهم ، ومهما كانت جرائمهم ،
فقد أثروا العواطف ، وأغنوا الروح فى تلك العصور الخوالى .
لقد اختفوا من الاخاديد والغابات ،
واختفى صوت حوافر الجياد وهى تجرى بهـــم

ومع أن الزمن كفيل بإسدال ستار النسيان .

فأشباح عصابة «كيللى» مازالت تقود الخيول في الغابات (١)

وهناك من الأدباء — وهم قلة — من بلغ بهم التعصب « لنيد كيللى » حدا جاوز الخيال الشعبى ، وعلى رأس هؤلاء الادباء « روبرت جون كلاو » فقد كتب مسرحية طويلة في أسلوب شعرى ركيك وردئ بعنوان « قضية كيللى » تتبع فيها حياة كيللى من شبابه إلى محاكمته وشنقه . والمسرحية خاليـــة من القيمة الفنية والأدبية ولكنها تظهر

(١) ديوان الشاعر ادوارد هارينجتون (بالانجليزية) سدنى ١٩٣٢ .

بحماس «كلاو» المتقد «لكيللى» ، وتنصب منه داعية لحركة الدفاع عن تقاليد« كيللى» ، وفي مقدمـــة المسرحية كتب يقول : « لايظن أحد أن نيد كيللى سوف يوضع يوما ما في منطقة الظل ولا يمكن أن يلقى به التاريخ في زاوية النسيان ، فشبحه الروحى ما زال بيننا رمزا لتقاليده، ويزداد الكتاب البارزون الذين يتفهمون قضيته ، ويحاول المفكرون أن يكتشفو في شخصيته ذلك السر الذى جعله يكون عصابة غابات تطبق شهرتها الآفـــــاق .

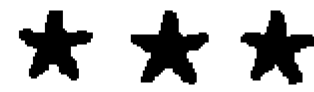
لقد وضحت ما يسمى بأخطاء «كيللى »، ولكنها أخطاء ملازمه للطبيعة البشرية . و أيا كانت هذه الأخطاء فان كيللى رائد واب لشجاعتنا القومية ،وقلب لأدبنا الاسترالى ... لماذا يظل القناع الذى ارتداه أثناء موته حبيس السجن،فلنخرجه من هذا المكان ونضعه في المتحف القومى حيث مكانه الجدير به . ولنبحث عن مخلفات جدثه ليدفن من جديد في مدينة « جلنروران » حيث كانت آخر مواقعه ومواقف صموده . . .

ولنقم له تمثالا في هذه المدينة ونلبسه عدته ودروعه قبل أن ينضب جرانيت استراليا مـــن اقامة تماثيل لأناس لم يروا أبدا حياتهم شواطئنا . »

على هذه الصورة يعيش « نيد كيللى » في عواطف الاستراليين وخيالهم الشعبى والادبى وشعورهم الباطن، لكن حقيقة أمره كما يرويها التاريخ . . « انه ابن لمجرم من أيرلاندا نفي الى استراليا لاحترافه جرائم القتل ، وكان « نيد » قد ورث الإجرام عن أبيه فما ان بلغ الشباب حتى مارس احتراف سرقة الماشية ، ثم كون عصابة لقطع الطريق والسرقة بقوة السلاح ، وتطورت عصابة كيللى إلى خطر كبير يهدد المجتمع وكانت عصابتـــه تمارس عملياتها الاجراميـــة في شمال وشرق ولايـــة فيكتوريا ، واستولى رجالها من بنك « يوروروا » على ألفى جنيه ، وجردوا خمسين شخصا من الأغنياء مما معهم وسجنوهم في مركز البوليس . وامتد نشاط العصابة إلى خارج حدود فيكتوريــا وعبروا حدود « نيو ساوث ويلز » . وفي احدى الغارات استولوا بالقوة على مدينة «جير يلديرى» واحتلوها لمدة ثلاثة أيام،وسجنوا رجال الشرطة في زنزانات السجن وسرقوا

الأموال من خزانة البنك(١). كانت نهاية أفراد العصابة الأربعة: نيد كيللى وجوبيرن ودان كيللى وستيف هارت في مدينة « جلنرووان » عام ١٨٨٠ بعد أن فشلوا في تحطيم القطار الخاص الذى يقل فرقة نجده من رجال الشرطة لتعزيز الأمن في المنطقة والقبض عـلى العصاة الخارجين على القانون . وأحاط رجال الشرطـة بالمكان الذى كانت فيه العصابة وقتل ثلاثة من أفرادها في تبادل النيران وقبض على « نيد » الزعيم وحوكم وأعدم شنقا (٢)

واسدل الستار ـ بالقضاء على عصابة كيللى آخر ملوك الطريق ـ على مرحلة من مراحل العنف المدمر في تطور استراليا وتحولها من مستعمرة للمجرمين إلى بلد متمدن ومتحضر.



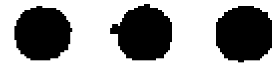
(١) قدرت السرقة بمبلغ ١٤١ر٢ جنيها فى فبراير سنة ١٨٧٩ .

(٢) قصة استراليا ص ١٤٨ ـ ١٤٩ .

قصة الأدب فى استراليا



وإذا كانت الخلفية التاريخية والمؤثرات النفسية والاتجاهات العاطفية لشخصيات المسرحية ومكانها وزمانها يفيد القارئ في فهم الأحداث والمواقف والصراع الذى يدور فيها ، فانالخلفية الادبية تفيد في تقويم المسرحية ووضعها في موضعها الصحيح من الحركة الادبية الاسترالية بعامـــة والحركة المسرحية بخاصة ذلك لأن مسرحية « نيد كيللى » حولت اتجاهالكتابة للمسرح في استراليا من تيار الواقعية إلى الرومانسية ، وبذلك تعتبر نقطة تحـــول كبرى في تاريخ المسرحية الاسترالية .



استراليا امة حديثة لايزيد تاريخها عن قرن ونصف الا قليلا ، ونشأة الأدب فيهـــا وحركـــة تطوره ونمائـــة يمكن أن تتتبع لمدى قريب ولسنوات غير بعيـــدة ومازال هناك من يتصور النتاج الادبى الاسترالى فرعا من فروع الأدب الإنجليزى او تابعا لـه لأنه باللغة الانجليزية أولا ، وثانيا لأن أكثر المهاجرين الى استراليا اول امرها مـن البريطانيين ، وثالثا لان الأدب الاسترالى يسير على نهج الادب الانجليزى فى قيمه وتقاليده والحقيقة ان المصادفة التاريخية وحدها هى السبب فى أن يكون نتاج الادب الاسترالى بالانجليزية وأنرابطة الاصل والجنس كانت السبب فى أنيكونهذا النتاج مستمدا من القيم والتقاليد الانجليزية . ومعروف ان الادباء لاينشأون من فراغ ، والرواد من الأدباء فى استراليا كانت تتعمق فى شعورهم القيم الأدبية للوطن الأم وتترسب فى عواطفهم التقاليد وفنون التعبير وانماط الشكل والاسلوب ، لكن مرور الزمن واختلاف طريقه الحياة وظروفها وتأثيرات الارض والبيئة فى استراليا أظهرت مهارات جديدة فى التعبير وتجارب فنية مستحدثة ومميزات وخواص ذاتية خولت للأدب الاسترالى ان يعتبر ادبا منفصلا عن الادب الانجليزى

وعلى مدى السنوات العشر الاخيرة ١٩٦٠ - ١٩٧٠ كانت تدور فى استراليا مناقشات ادبية واسعة زخرت بها الندوات، وامتلأت بها صفحات الكتب والمجلات الادبية، وجعلت برامج الاذاعة وشاشة التلفزيون تحاول تقويم الادب الاسترالى وتحديد مكانته وموقفه من الآداب العالمية أو بمعنى آخر استهدفت تقويم منجزات الادب الاسترالى فى قرن ونصف قرن قطعه فى مسيرة تطوره منذ نشأته حتى الآن. ومع ان المناقشات بين الادباء والنقاد كانت توحى بتفاؤل لاذع فى الآراء مبعثه أن الأدب الاسترالى يقصر عن المستوى الذى وصلت اليه الآداب والامم ذات الحضارات العريقة الا انها اظهرت من ناحية أخرى ان اولئك الذين اتخذوا جانبا فى هذه المناقشات لم يكونوا يصدرون أحكامهم عن قيم أدبية محددة أو مقاييس نقدية موحدة، وأكثر من ذلك فان مقاييس أى من طرفى المناقشة لم تكن واضحة جلية وقد تبين من حصيلة الواقع : انه فى بعض الاحيان عندما يصدر نتاج ادبى استرالى يكيل له فريق من النقاد المدح والتقريظ والتقدير لاسباب تكون هى نفسها عند الفريق الاخر أساس شجبه وانتقاده بقسوة ، والانتقاص من قيمته بعنف . وقد تكون هناك من الاسباب ما ترتفع بها قيمة عمل ادبى فى نظر النقاد وتكون هى نفسها سببا فى الانتقاص من قدر عمل اخر ، وكثيرا ما تكون هذه الاسباب غير متصلة اتصالا وثيقا بالادب .

ولعل السبب الأساسى فى كل هذه الاضطرابات ان المتناقشين من النقاد الاستراليين قد عجزوا عن التفرقة بين ما عليه النتاج الادبى الاسترالى فعلا، وما يريدون ان يكون عليه ذلك النتاج، او بتعبير اخر بين الواقع والمثال فى نظرهم ، ومن اجل ذلك لم يصلوا فى مناقشاتهم الى شىء ، وضاع وقتهم سدى . .

والحقيقة ان الاضطراب وعدم الوضوح فيما يدور حول الادب الاسترالى هذه الايام مرده فى جزء منه الى الاضطراب العام العالمى حول المقاييس الادبية، وفى جزء اخر إلى انه نتيجة لصعوبات التقويم التى تواجه كل آداب سكان المستعمرات وخاصة نتاج المراحل الاولى من حياة هذه المستعمرات، ومن ناحية ثالثة يعود الاضطراب الى عدم وجود هيئة ادبية مستقرة او

مدرسة نقدية مترابطة يمكن بواسطتها ان يحكم على النتاج الأدبي وبالاضافة الى ذلك فليست هناك قواعد واصول محددة يمكن على اساسها تقويم اعمال الادباء ، ثم إن النظريات الأدبية المعروفة والقواعد التي تعارف عليها الادباء والنقاد قواعد عامة وفضفاضة قد يسير على نهجها كاتب يلتزم حدودها بدقة ومع ذلك يخرج نتاجه مملا تعوزه الومضة الادبية الساحرة ، وكاتب آخر موهوب له عبقرية الاديب يخرق أكثر هذه القواعد ويتخطى تلك الحدود ومع ذلك يخرج للناس الروائع .

والمقاييس الادبية انما تثبت وترسخ بامور ثلاثة: أولها وجود الاعمال الابداعيه الممتازة التي لا يختلف على روعتها اثنان ، والتي تبقى خالدة مع الزمن شاهدة على عبقرية خالقيها من الادباء، والامر الثاني وجود رأى نقدي له وزنه يمكن بواسطته تحديد مستوى الذوق الادبي وثالثها وجود طبقة مثقفة قارئة لا تكتفي بقراءة الكتب فقط بل تقرأ ما يكتبه النقاد وتناقش ما يكتبون، والادب الذي تتوفر له هذه الامور الثلاثة يمكن أن تكون لديه تقاليد أدبية ثابتة ومقاييس راسخة وامكانيات تحقق منجزات ادبية رفيعة ،

ومثل هذا الادب يجد من خلفه الجامعات حيث يكرس الباحثون حياتهم في عملية التقويم المستمرة او مناقشة الروائع من النتاج الادبي ويحافظون على التقاليد الادبية حية بصياغة الذوق وتكوينه عند الطبقه المثقفة التي تأتي للدراسة الادبية ثم تخرج لتمثل جزءا كبيرا من الطبقه القارئه وفي البيئة الادبية التي تجمع بين هذه الامور يمكن ان تعيش المجلات الادبية الجادة التي تجد أعمال الكتاب الجدد فيها تقويما حقيقيا صادقا وبهذه الطريقه يمكن ان يتكون الجو الادبي وتظل المسيرة الادبية متصلة ومتجددة .

ويمكن القول بان توفر هذه الشروط مجتمعة في بلد واحد نادر وقليل، فمنذ نهاية القرن الثامن عشر لم تهدأ الحركات الادبية ولم يستقر لها قرار . فقد اخذت الحركة الرومانسية تقيم لنفسها تقاليد جديدة تنافس بها تقاليد الكلاسيكية ولم تكد الرومانسية تستقر حتى تولدت عنها عدة نظريات جديدة: كل واحدة لها قيمها ومقاييسها الخاصة بها كالواقعية او الطبيعية أو الجمالية أو الرمزية والتصورية والسريالية ثم الواقعية الاشتراكية ، وحيث ان

معايير الحكم على هذه المذاهب غالبا ما تكون مختلفة، بل فى بعض الاحيان متعارضة ومتضاربة فالمقاييس الادبية تتعرض الآن لحالة من الاضطرابات لا يستقر لها فيها قرار . والادب الاسترالى ظهر الى الحياة الحقيقة مستقلا بخواصه الذاتية اثناء فترة التعارض والتضارب فى المعايير والقيم الادبية .

ومن جهة اخرى فان انتشار التعليم العام وارتفاع مستوى المعيشة وكثرة القراء غير المثقفين كان له أثر غريب في خفض مستوى المعايير الادبية ذلك لان الادب الرخيص الذى لا يهدف الا إلى اللهو والتسلية وجد رواجا كبيرا بين هذا الصنف من القراء، وقانون جريشام الذى يقول : ان العملة الزائفة تطرد العملة الصحيحة ينطبق على الادب . ويزيد من كثرة تداول العملات الزائفة واقبال المتعاملين عليها الدعاية المنظمة القوية لها ، والدعاية للادب الرخيص في عصرنا الحديث بلغت الغاية والمنتهى . وفوق ذلك فإن الأدب الذى كان فيما مضى هو الصيغة الوحيدة للاستمتاع الرفيع والتسلية الراقية يعانى الان من منافسة الراديو والتلفزيون والسينما وهى وسائل تسلية أكثر سهولة ورخصا إلى جانب ما تتمتع به من إثارة فورية ومباشرة ، وحين كتب ديكنز وثاكرى لافونتين كتبوا للطبقة القارئة جميعها اما الآن فهناك نوعان من الادباء: نوع يكتب ادبا لفريق محدود من القراء المثقفين والمتذوقين للادب الرفيع ، ونوع أخر يكتب الادب الرخيص لبقية القارئين

حركة التطور فى الأدب الاسترالي

فى ضوء هذه الخلفية يمكن ان نتتبع حركة التطور الادبى فى استراليا، وان نتبين الاسباب التى من اجلها واجه هذا الادب – فى مسيرة تطوره – صعوبات خاصة فى ترسيخ مقاييسه وتقرير قيمه وتقاليده ، ولو اننا نظرنا الى بلاد مثل فرنسا وانجلترا وايطاليا لوجدنا تقاليدها الادبية قد رسخت أصولها واستقرت ، أما البلاد الحديثة الوجود مثل استراليا ونيوزيلاندة وكندا – فهى اقل حظا من هذه الناحية وذلك لأن أدبها وهو يقطع مراحل التطور تكون البلد الجديدة نفسها فى مرحلة التطوير وتبدو حضارتها اقليمية فى مظهرها او بمعنى آخر تبدو كمدينة فى الأقاليم تتطلع الى العاصمة – انجلترا – مصدرا لافكارها

ومنبعا للخلق الفنى والابداع الادبى . وفوق ذلك تنقصها الطبقة المتعلمة القارئة التى تكفى لمساندة الأدب وتدفع به ليقف على قدميـــه

والقراء فى هذه البلاد الجديدة كانوا أول أمرهم يحسون إحساسا طبيعيا بالعزلة عـن مركز الحضارة ويعيشون باجسادهم وماديآتهم على الارض الجديدة. اما عواطفهم وعقولهم فكانت تعيش فى مكان آخر فى الوطن الام والذى تنتمى اليه جذورهم وتقاليدهم وثقافاتهم وكانوا يخشون أن تنقطع صلتهم بوطنهم الأصيل ،فيزدادون التصاقا به ونسبوا انفسهم الى حضـارته وفنه وكانوا متلهفين على ان تظل الصلة الفكرية منعقدة بينهم وبين البلاد المتحضرة . يتابعون ما يكتب فيها ويقرءونه بعين الرضا والتقديس

ووجد الكتاب الاستراليون انهم — لكى يجذبوا اهتمام القراء المثقفين وينالوا تقدير ذوى الاذواق الادبية —لابد أن يدخلوا فى منافسة مع الكتاب المعاصرين من الامريكيين والانجليز . غير انهم لم يتجهوا هذا الاتجاه ونزعوا الى تجنب المناقشة مع الكتاب خارج استراليا، وركزوا على أن يكونوا قدر امكانهم « استراليين » ولاقت نزعة «الاسترالية » فى الادب النجاح الكبير لدى القارئ العادى لأنها استهدفت — وقد يكون بلا وعى من الكتاب— إمتاع طبقة لم تصل فى ذوقها الأدبى إلى المستوى الرفيع ،وهذا الاتجاه من الكتاب معناه فى الواقع محاولة ارساء مستوى الكتابة استرالى خاص وخالص

ومنذ البداية كان الكتاب والنقاد الاستراليين المحليون ، يدركون ادراكا كاملا اوجه الاختلاف بين استراليا والوطن الام انجلترا التى امدتهم بالقيم والتقاليدوالمقاييس الادبية التى بدأو بها . ومن ثم كان هناك اتجاه بعدم الثقة بين النقاد الاستراليين يمكن ان يفسر بانه شعور المستعمر بعدم الثقة الناشئ من الاستعمار ،ولذلك شاعت بينهم نغمة التبرير والاعتذار والدفاع عن النتاج الادبى الاسترالى تحمسا للوطن الجديد ، واملا فى ان يقف ادبه فى مستوى الادب العالمى ، والواقع ان النقاد فى استراليا كانوا متأثرين بالقواعد والمقاييس الموضوعة للحكم على الادب الانجليزى . اما كتاب استراليا فهم وان لم يصلوا الى مستوى معاصريهم من كتاب انجلترا الا انهم نالوا اعجاب الاستراليين بنزعتهم المحلية.

وبعد الحرب العالمية الاولى زاد اتجاه الكتاب إلى « استرالية » الأدب وولوا وجوههم داخل القارة وشغلوا انفسهم بالمواقف والأحداث والصور المحلية وأمعنــوا فيها حتى وصلوا إلى درجة المبالغة . واختفت من النقد نغمة التبرير والاعتذار وظهرت فى المجال الادبي – أثرا للموجة الوطنية الاسترالية – نغمة جديدة انفصالية عن انجلترا تنادى بأن الأدب الاسترالى هو النابع من استراليا وحدها ولذلك لايمكن الحكم عليه بالمقاييس التى تنطبق على الاداب الاخرى . والواقع أن وجهة النظر لأصحاب هذا الاتجاه فيها شئ من الحق حين نقول : ان كل بلد يطور اللغة تطويرا خاصا به وينشئ صيغا توائم هذا التطوير ويضيف الى اللفظ ظلالا من المعانى وكل بلدتتطور طريقة الحياة فيه بما يتناسب مع الجو والبيئة ومصادر الحياة ، والأصول الفنية لأدب هذا البلد يمكن أن يحكم عليها فقط داخل إطار هذه اللغة وطريقة الحياة تلك . لكن وجهة النظر هذه فيها كذلك شئ من المغالطة لأن هناك مقاييس عامة تحكم على النتاج الادبي الأوروبي كله والادبالاسترالى– كما يقول الاستراليون – يعتبر فى الحقيقة جزءا منه .

أخذت الموجه الوطنيه في الادب الاسترالى تشق طريقها وتزداد حتى بلغت أوجهــافي الثلاثينات من هذا القرن ، وذلك بظهور جماعة منالكتاب والنقادجعلت شعارها «استراليون لحماودما وفكرا »، وتعتمد فكرة هذه الجماعه على ابرازأثر استراليا في الاستراليين وكانت ترى أن الضعف في المجال الادبي سببه : أن الأوربيين الذين رحلوا إلى استراليا انقطعت صلتهم بمصادرهم الحقيقيـــة للابداع الادبي ، وظلت جذورهم تتغذى وتعيش على الأدب الانجليـــزي لا على الصور والمشاهد والمواقف الاسترالية .

والوطنيون المتطرفون من هذه الجاعة اعتبروا الأبورجينيز سكان استراليا الاصليين– وهم ملونون – وحدهم المتصلين باستراليا الحقيقية وهم الذين يستمدون قيمهم وتقاليدهم وافكارهم مباشرة من أرض استراليا ، ويؤكدون أن الحركة الإبداعية الحقة فى الادب الاسترالى لا يمكن ان تؤتى ثمارها المرجوة إلا اذا قطع الادباء صلتهم بالقيم والتقاليــــد الادبية الاوربية ، وطعموا أنفسهم بالقيم والتقاليد وطريقه الحياة الأبورجينية .

يمكن الرد على افكار هذه الجماعة المتطرفه بأن اكثر ما كتب من الأدب الاسترالى الجدى والجيد صدر عن كتاب ليست لهم علاقة بالأبورجينيز ، ومن ناحية أخرى فإن «الأبورجينيز ليسوا» كالهنود الحمر « بالنسبة لامريكا او » «الماورى» بالنسبة لنيوزيلاندة، فيؤثرون فى الادب الاسترالى بـل هم قوم يعيشون منعزلين وأجانب عن الاستراليين المستوطنين وطريقة حياتهم اكثر ما تكون اتصالا بالعصور الحجرية القديمة ، ومن ناحية ثالثة اننـا لو نظرنا الادب الانجليزى نفسه لا نجده قد اتخذ تقاليد سكان الجزر الأصليين من الجنس « التيوتونى » أساسا له ، ولكنه أرسى قيمه وتقاليده على التقاليد الدينية المسيحية ، وعلى التقاليد الكلاسيكية اليونان والرومـان .

وفى الخمسينات من القـرن العشرين بدأت موجة الحماس الوطنى فى الادب تأخـذ فى الانحسار وتختفى فورة التطرف « للاستراليه » وينظر الى الادباء ببساطة على انهم مجـرد ادباء لا على انهم بنـوع خاص ادباء استراليون . بعـد ذلك اخذت تظهر خواص الادب الاسترالى ومميزاته ورسو قيمه وتستقر تقاليده . ويمكن ان نتبين المعالم الرئيسية والسمات العامة للادب الاسترالى اذا القينا نظرة سريعة على اشكال التعبير الأساسية الثلاثه : القصة والشـعر والمسرحية .

القصة فى الأدب الاسترالي

اهتم الأدب الاسترالى بوجه عام بالحياة داخل القارة الاسترالية ، ولم يهتم كثيرا بالحياة فى العواصم الكبرى . وذلك أمر طبيعى لأن ثقافة العواصم فى جزء كبير منها متأثرة بالثقافة العالمية ، بينما ثقافة الريف ومدنه الصغرى لها طابع خاص بها وقد تكون محدودة وضيقة، لكنها استرالية متميزة فى صدق وأصالة . والتعبير عن « استراليا الحقيقية » : « وتسجيل صورتها الاصيلة ورسم ما يمثلها تمام التمثيل فى صدق يعتبر طموح تسعة أعشار الشـعراء وكتاب القصه والمسرحيه الاستراليين . وهذا بلا شك سمة المراهقة التى يتميز بهـاأدب المستعمرات البيضاء فى مراحل حياتها الأولى . وساعد على اطالة فترة المراهقه فى الأدب الاسترالى اغراء توفر المادة والصور الادبية التى لم تكتشف ولم تستغل ، والحافز الطبيعى لمحاولة التوافق بين المستوطنين والبيئة الجديدة ، وقد ادى هذا العمل بالضرورة كتاب من

خمسين سنه ، ولكن الأدباء الاسترالين المعاصرين مازالوا يدورون فى فلكه ويرودون طريقه ، ويسيطر عليهم اتجاه الاهتمام بالمناظر والصور الاسترالية اكثر من الاهتمام بالاشخاص والاهتمام بما هو صورة طبق الاصل لكل استرالى اكثر من الاهتمام ببشرية الاسترالى ومميزاته

وإذا أخذنا فى الاعتبار القصص الناجحة التى كتبت فى استراليا منذ بدء القرن العشرين حتى الآن، نجد اكثرها تاريخية أو محاولة لخلق صورة لاستراليا من خلال القصة، ويبدو أن هناك مصاهرة طبيعية بين زيادة الادب والادب وحول رواد استراليا الأول . وهناك شعور عام وقع تحت تأثيره كتاب القصة هو ان استراليا الحقيقية « التى يتطلعون اليها جميعا انما تقع فى مكان ما من الماضى . هذا الشعور الذى كان فى أواخر القرن التاسع عشر وأول العشرين محاولة صادقة وأصيلة لخلق مفهوم لاستراليا، وتجسيد لشكل البلد الجديد وقد تفسخ الآن وانحدر الى حلم لبلد خيالى أو مثالى ، بلد المغامرات والاستكشاف ، بلد بدأ بالعبودية والصراع بين الإنسان والأرض، وتطور الى الحرية واخضاع الأرض للاستيطان والزراعة ، بلد طريق الحياة فيه قائمة على البساطة والرفق . كل ذلك فى مواجهة الحياة المعاصرة فى المجتمع الصناعى الحديث ، وطريقة الحياة المتحضرة البالغة التمدن حتى فى المناطق الريفية والمعزولة التى يعمل على راحة الحياة فيها عديد من الخدمات الاجتماعية الحكومية . وجانب آخر من شعور استراليا الحقيقية الذى دفع تحت تأثيره الأدباء أنها بلد قام على الفردية والذاتية ، والأفراد هم الذين قاموا بالصراع البطولى مع الأرض والبيئة حتى تغلبوا عليها .

هذا هو السبب فى أن كتاب القصة غالبا ما يتجهون الى الماضى ، الى عام « هنرى لوسون » Henry Lawson (١٨٦٧ — ١٩٢٢ و « يوسف فيرفى » Josph Furphy (١٨٤٣ – ١٩١٢) والى ثورة الخمر ، ومعتقل يوريكا ، والى لصوص الغابات وقطاع الطرق واستغلال « نيد كيللى »«وستارلايت » والذى بدأ عند الرواد محاولة الصراع مع الواقع انتهى عند المعاصرين بمحاولة لغرض الخيال والأحلام .

وهناك سمة أخرى من سمات القصة الاسترالية : هى ولع الكتاب الاستراليين الشديد ونزوعهم المتواصل الى التمسك بمصدر الحياة المتواضعة الفقيرة والكادحة الساذجة ، ومازال أكثر الكتاب يعيشون فى استراليا القرن الماضى تلك المستعمرة التى كان اكثر شعبها من الفقراء تستغلهم طبقة قليلة من الرأسماليين والاقطاعيين أصحاب الارض والمراعى والمؤسسات التجارية والمالية ، على الرغم من أن تكوين المجتمع الاسترالى قد تغير منذ ابتداء القرن العشرين ، فالاستغلال الذى تمارسه الطبقة الغنية غنى فاحشا ، وتحكم الاقطاعيين ، وانعدام الخدمات الاجتماعية وضعف القوة السياسية للطبقة العاملة ، أصبحت جميعها منذ فترة بعيدة فى ذمة التاريخ. والمجتمع الاسترالى الآن مجتمع زراعى وصناعى حديث يقوم أساسا على ثلاث مجموعات رئيسية : هى الصناعة والزراعة والعمال يمثل كل مجموعة حزب سياسى ، وهى أحزاب قد تختلف فى الشكل . . . أما المبادئ والسياسة فليس بينها اختلاف كبير .

وتمثل الطبقة المتوسطة المتجانسة أغلبية فى الشعب الاسترالى وفيه قلة تمثل الطبقة العاملة الفقيرة وقلة أخرى من طبقة الأغنياء بالوراثة . ومع ذلك فالقصة الاسترالية تتجاهل هذه الحقائق ولاتهتم عامة الا بالجماعات الكادحة أصحاب الدخل المحدود ، كما تتجاهل العواصم الكبرى وتركز اهتمامها على الريف . والاسترالى الحقيقى » غالبا ما تظهره القصة الاسترالية راعى الغنم أو الماشية ، أو جزاز الصوف ، أو عاملا فى الميناء أو المصنع أو المنجم أو منقبا عن البترول ، ونادرا ما تجعلـه محاميا أو رجل أعمال أو باحثا وعالما أو فنانا أو مالكا للماشية أو موظفا حكومياً اللهم الا إذا كانت هذه الوظائف تمثل عملا رومانسيا أو موقفا تاريخيا فى الماضى .

وفى الستينات من هذا القرن استطاعت الحركة الاشتراكية التى أطلقـت على نفسها « الواقع الاشتراكى » ان تنطلق من ارضية هذا الاتجاه وتجـذب اليها العديد من الكتاب الشبان والكبار على السواء .

الشعر فى استراليا

أظهر الشعر فى استراليا ميلا ثابتا الى أن يكون شعرا تصويريا ، وذلك راجع الى أن

الحركة الشعريه فى هذ البلد الحديث بدأت تحت تأثير الحركة الرومانسية ، وظل طيف وورد سورث Word Sworth يطارد شعراء استراليا من « هاريار » ،و« كندال »فى مطلع القرن التاسع عشر الى «دوجلاس ستيوارت » ، و« جوديث رايت » فى الفترة المعاصره . ولن نتجاوز الحقيقة اذا قلنا ان تسعة أعشار ما كتب من الشعر فى استراليا يصور مناظرها ومشاهدها . والواقع ان مجال الشعراء أوسع من مجال القصاصين ، وقد استطاع الشعراء أن يحلوا مشكلة الصراع مع الارض الجديدة بطريقة أفضل. واذا نظرنا الى خير ماكتب من الشعر الاسترالى المعاصر نجده يعطى انطباعة الشعراء الذين بدأوا من المشاهد المحلية كشئ موجود ومألوف بينما الشعر القديم يعطى انطباعة الشعراء الذين تناولوا المشاهد المحليه كشئ يطلب ترويضه وتذ ليله ليدخل عالم الادب .

وفوق ذلك فإن الشعر دائما يعالج موضوعات أخرى غير « الوطنيه » . فمثلا « ماكرى و « نيلسون » و«أوبرينان » من شعراء استراليا القدامى حين كتبوا شعرهم ارادوه أن يكون شعرا ، ولم يحاولوا أن يجعلوه شعرا استراليا . ولعل الذى حفظ الشعر وحماه من أن يجرفه تيار الوطنيه الاسترالية أن أوليات الشعر وانبعاثاته الأساسية تقوم على العاطفة وانفعالات القلب والوجدان وعلى الحقائق العامة للحياة الإنسانية . فالحب مثلا واحد من الموضوعات العامة للشعر ولن يجرؤ واحد حتى من المتطرفين فى حماسهم للاسترالية من الشعراء فيدعى أن هناك نوعا من الحب يطلق عليه الحب الاسترالى !

والشعر فى استراليا يقطع الآن فترة الانتعاش التى تسبق مرحلة الازدهار بعد أنأصيب بالأمراض الأدبية الحديثة حين سيطرت على الشعراء المذاهب التجريبية فى التعبير لكنهم عادوا الآن الى التيار التقليدى العام ،ويحاولون أن يخلقوا منهشيئا جديدا بالأسلوبالتقليدى ومع أن أكثر الشعراء المعاصرين الذين بلغوا درجة عاليه من الفنية تصويريون من ناحية أو أخرى الا أنهم يتجنبون الفكرتين اللتين اصابتا شعر المراحل السابقة بالشلل والجمود : تجنبوا النظر الى المشاهد والمواقف الاستراليه لذاتها كى يحصلوا على تجربة شعريه ، وتجنبوا اعتبار كل شعر لا يتناول الموضوعات الخاصة باستراليا شعرا من الدرجه الثانية أو شعرا أكاديميا .

والشعراء فى استراليا يتمتعون بميزة لا يتمتع بها كتاب القصة . تلك هى حرية الحركة فى اختيار ما يثير تجاربهم العاطفية والشعرية من الموضوعات . فالشعر ليس عملا يمكن أن يقيم أود الشاعر فيتخذه مهنة يعيش عليها ككتابة القصة . ومن ثم فليس هناك الضغط الذى تمارسه شركات التوزيع بعد دراسة الأسواق وتحديد موضوعات بعينها تروج بين القارئين وهى فى القصة الاسترالية دون شك الموضوعات الرومانسية المصبوغة بالصبغة الاسترالية.

المسرحية فى الأدب الاسترالي

تخلفت المسرحية عن ركب الشعر والقصة فى استراليا . ذلك لأن وجود نهضة مسرحية تحتاج الى مسارح وممثلين وكتاب . وكانت المسارح فى استراليا في القرن التاسع عشر على قلتها مملوكة لشركات أجنبية احتكارية تفضل استيراد المسرحيات التى أثبتت نجاحها فى انجلترا وأمريكا كى تضمن الربح الوفير . وكان شعور « عدم الثقة » الذى خلقه الاستعمار فى كل ما هو استرالى عقبة أمام المواهب المحلية فى فن التمثيل . وفى ظل هذه الظروف لا ينتظر من كتاب المسرحية الاستراليين ان يتجاوزوا فى كتاباتهم مستوى الهواية .

ومن المتوقع فى مجتمع جديد مهاجر مثل استراليا أن يكون اتجاه الرواد الأوائل فى كتابة المسرحية اتجاها تقليديا يسيرون فيه على نهج المسرحية فى الوطن الأم ، وقد ظهر التقليد أكثر ما ظهر خلال القرن التاسع عشر فى نوعين من المسرحية : المسرحية الشعرية والميلو دراما . والأولى غلب عليها التحذلق اللغوى واطالة الأحداث لدرجة الملل ولم يكن لها من عناصر المسرحية الفنية غير الشكل والصورة ، وذلك كمسرحية لصوص الغابة لها ربر (١٨٣٥)—١—

أما الثانية فإنها وان كانت أكثر صلاحية للمسرح من الأولى الا أنها جاءت ركيكة وذات مشاهد متعددة ، واعتمدت فى عناصرها الجوهرية على العنف والقسوة بين المجرمين المنفيين الى استراليا ، وقطاع الطرق ولصوص الغابات ، مثل مسرحية سرقة تحت تهديد

(١) لمزيد من التفصيلات انظر مسرحية (البرج) من سلسلة المسرح العالمى (رقم ٣) الكويت : ديسمبر ١٩٦٩ .

السلاح (١٨٤٥)-٢ -ويعتبر « ويفيد بيرن » من أهم كتاب المسرحية الاسترالين فى القرن التاسع عشر ويمتاز بتنوع الأسلوب فى تناول المسرحية . ومسرحية لصوص الغابات اول مسرحية تعبر عن استراليا المعاصرة أما مسرحية سيدنى تحررت فتشهد ببراعته فى كتابة المسرحية الهزلية التى تهدف الى النقد الاجتماعى .

وفى السنوات الأولى من القرن العشرين كانت هناك حركة منافسة قوية فى المسارح ، وفى الافكار المسرحية ، وفى الواقع الذى يعبر عن استراليا الجديدة ، وفى خلق مسرحية متكاملة . والكتاب الاستراليون والمتجون والنقاد كانوا يبنون فى خيالهم مسارح تقدم لهم القمم من المسرحيات العالمية ويحلمون بكتابة مسرحيات تخرج جذورها من استراليا على نمط مسرحيات « ابسن » و«شو » ومسرحيات شعرية على مثال مسرحيات«بيتس » و « سونج » ، والملهـــاة النقدية وملهاة الأخلاق كسرحيات « جلبرت » و « ايلد » . وتجمعت الآمال والأحلام فى كتابة مسرحيات تعبر عن المجتمع الاسترالى فى حاضره وماضيه بمدنه وريفه بأغنيائه وفقرائه ببسطائه والمتكلفين فيه . وأحس الكتاب بالوجود الاجتماعى لأستراليا فى عواطفهم وضمائرهم، ومن ثم اتجهوا الى الكتابة عنها وعبروا عن مجتمعهم الجديد، وأخرجوا أعمالا فى صورة مسرحيات تقوم على الخيال ، أو على المواقف التاريخية ، لكنها اثقلت بالرموز والمجازات والاستعارات ولم تحظ بشئ كثير من العناصر الفنية الناجحة .

وأهم شخصيات المسرح الاسترالى فى مطلع القرن العشرين هما « وليم مور» «ولیس ایسون » أما وليم مور فلأنه منظم أول مسرح لكتاب المسرحية، وكان يقيم سنويا فيما بين عام ١٩٠٩ وعام ١٩١٢ مهرجانا مسرحيا سماه « ليالى المسرحيات الاسترالية » يمثل فيها المسرحيات الاسترالية وذات الفصل الواحد . وعلى الرغم من أنه هو نفسه من كتاب المسرحية الا أن المؤرخين للمسرحية الاسترالية يذكرونه اكثر لتأثيره على « ايسون » . ويعتبر « ايسون » ١٨٧٩ - ١٩٤٣ مثالا للكاتب الوطنى المثابر . أحيا

---

(١) لمزيد من التفصيلات انظر المصدر السابق .

فكرة « مسرح كتاب المسرحية » عقب عودته الى استراليا من الخارج مفعما بالحماس والرغبة فى تقليد ما رآه فى المسرح الايرلندى. وكانت مسرحيات « ايسون » أفقا جديدا فى تاريخ المسرحية الاسترالية ، فقد انجزت ما كان يصبو اليه ، وحققت الذاتية والتجديد للمسرحية الاسترالية ، وتخلصت من التبعية لأى خط مسرحى خارج استراليا ، وكتب مسرحيات كثيرة شخصياتها ومشاهدها واحداثها ومواقفها استرالية لحما ودما . ولكن مع الحرب العالمية الاولى واختراع السينما لم يستطع « ايسون » أن يحقق من قوة الخلق والإبداع فى المسرحية الاسترالية ما يكفى لمنافسة السينما من ناحية ، أو لتحريك فقدان الشعور واللامبالاة عند الجمهور نحو المسرحية الأسترالية من ناحية أخرى .

وفى الثلاثينات من هذا القرن كانت حركة « مسارح الهواة » و« المسابقات المسرحية » من أقوى العوامل فى تطور المسرحية الاسترالية ، والسير بها فى طريق النضج والكمال. وقد بدأت حركة « مسارح الهواة » عام ١٩٠٨ — ١ — وكانت تقدم المسرحيات التى لا تقدمها المسارح التجارية من الروائع الأوربية العالمية وبعض المسرحيات الاسترالية. وطبيعى أن تواجه مثل هذه المسارح كثيرا من الاخفاف وعدم الاستقرار ، وخاصة اذا كان العمل فيها قائما على التطوع ، وتعتمد فى نفقاتها على الاشتراكات السنوية التى يقدمها هواة المسرح ، ومع ذلك فقد نمت هذه الحركة واشتدت منذ عام ١٩٣٠ ، وانتشرت مسارحها الصغيرة فى طول البلاد وعرضها . وعن طريق هذه المسارح الصغيرة أمكن للجمهور الاسترالى أن يرى المسرحية الاسترالية على المسرح وأن يتصل بالحركة المسرحية العالمية والتطور المسرحى الحديث، وظلت « مسارح الهواة » من ١٩٠٨ الى ١٩٥٥ هى النافذة الوحيدة التى يرى المشاهدون الاستراليون عن طريقها المسرحيات الجديدة فى انجلترا وأمريكا وأوربا ، وكذلك منحت هذه المسارح للكتاب الاستراليين فرصة أن يضعوا مسرحياتهم موضع التنفيذ والإخراج . وتأثير « المسابقات المسرحية » — فى الثلاثينات والأربعينات — على تطور المسرحية الاسترالية لا يمكن فصله عن تأثير العامل الآخر وهو حركة « مسارح الهواة » ، فقد نشأ عنها « المجلس الاستشارى لكتاب المسرحية » وهى

(٢) لمزيد من التفصيلات انظر المصدر السابق .

هيئة متطوعة تقرأ المسرحيات وتنقدهـا ، وتحيل بعضها الى « مسارح الهواة » وتوصى بتقديمها للجمهور . ومسابقات الثلاثينات والاربعينات أخرجت كتاب المسرحية مـن التجربة الى الممارسة أو مـن ظلمة المغمورين الى نور الشهرة ومنحتهم الفرصة كى يروا أعمالهم تمثل على المسرح أو مطبوعة فى كتب . وفوق ذلك فإن نقد المسرحيات قد رفع من مستوى الكتابة بينهم بعد أن أرشدهم إلى نقاط الضعف فى مسرحياتهم . وزاد خبرتهـم بتكنيك العرض المسرحي وبرد الحوار فى إطاره الفنى ، وبيناء الحبكة المسرحية.ومعروف أن المهارة أو الموهبة وحدها لا تكفى لخلق مسرحية جيدة بل لا بد من مراعاة الاصول الفنية

ومن ناحية أخرى فقد كان للمسابقات المسرحية « تأثير سيء على اختيار المادة المسرحية ذلك لأن هناك شرطا من شروط المسابقة يطلب موضوعات لها أهميتها القومية أو متصلـة بالوطنية الاسترالية . ومن ثم كثرت المسرحيات التاريخية . ومثل هذه المسرحيات تتطلب عددا كبيرا من الممثلين وكثيرا من المناظر وتنوعا فى الملابس وكثيرا ما ينقسم المنظـر الواحد فيها الى عدة مشاهد فتعوزها الوحدة وتبدو صغيرة ضئيلة . وغالبا ما يحاول الكتاب أن يديروا الحوار فيها بالأحاديث التى سادت فى الفترة الخاصة بالمشهد فتأتى غريبة وغير مألوفـة للمشاهد المعاصر . وأكثر هـذه المسرحيات التاريخية لم تر خشبة المسرح أبدا . وأعداد وفيرة منها اقتبست وأعدت للاذاعـة .

وكما كانت هناك عوامل أسهمت فى تطور المسرحية الاسترالية فإن هناك عوامل أخرى عاقت هذا التطور . ومن ذلك انتشار السكان فـوق مساحات واسعة من الاراضى ، وقلة التجمعات السكانية مما جعل اقامة المسارح فى هذه المناطق مشروعات خاسرة ، وتقاعـس الجمهور وتكاسله عن الذهاب الى المسارح البعيدة للمشقة والتكلفة . والعامل الثانى هو عالم المسرح التجارى فمديرو هذه المسارح هم الذين يحددون المسرحيات التى يراها الاستراليون وكذلك القائمون على شئون الاذاعه والتلفزيون باعتبارهما أداتين لإيصال المسرحيـة الى الجمهور ، وهؤلاء جميعا لا ينظرون إلى المسرحية الاسترالية إلا نظرة الشك فى صلاحيتها للمسرح وعدم الثقة فى نجاحها . والعامل الثالث هو الجمهور الاسترالى نفسه فهو جمهور ذومزاج قلب ليس من السهل ارضاؤه ، والمفروض أن يكون الجمهور عاملا قويـا فى

تدعيم المسرحية الاسترالية وتوطيدها ، لكنه يتأثر بالموقف الذى تتخذه الصحافة ووسائل الإعلام من المسرحية الاسترالية .

والدعوة الى كتابة مسرحية استرالية دما ولحما كانت ضمن صيحة عامة الشعراء وكتاب القصة والفنانين وقد خلقت هذه الدعوة فيضانا من المسرحيات التى تحاول اثبات الذات الوطنية عن طريق معالم الأرض والمجتمع والحياة الاسترالية بالتنقيب عن الماضى ، وماضى استراليا ملئ بالعنف والقسوة والتعذيب وأنات المنفيين والسجناء ، وبالصراع المرير مع الطبيعة والأرض ليستخلص الانسان لنفسه الحياة ، وبعصابات قطاع الطرق ، وجنون الباحثين عن الذهب ، ورحلات المغامرين فى القارة . وهى موضوعات قد تنجح القصة أو الملحمة فى تناولها ، لكنه من الصعب أن تكون موضوعا لمسرحية ناجحة . ومن ثم لم ترتفع المسرحيه الاسترالية فى واقعها الى مرتبة النضج والكمال .

دوجلاس ستيوارت ومسرحيته نيد كيللي

ظلت موجة الواقع الاسترالى تطارد كتاب المسرحية بصيحاتها – وتسيطر على افكارهم فيستجيبون لها حتى جاء « دوجلاس ستيوارت » فحول اتجاه المسرحية الاستراليةإلى التيار الرومانسى بمسرحيته الشعرية نيد كيللى التىصدرت عام ١٩٤٣ – وهىالمسرحية التى نقدم لها – ومن ثم تعتبر هذه المسرحية نقطة تحول كبرى فى تاريخ المسرحية الاسترالية – فقد كانت تعبيرا عن الشخصية الاسطورية التى تعيش فى وجدان الاستراليين وعقلهم الباطن وأبرزت الشخصية الرئيسية فيها سجينا مضطهدا يحارب المجتمع من اجل الحياة ،وأظهرته ثائرا غامضا وبطلا متمردا على المجتمع الذى لم يجد فيه العدالة التى ينشدها . ومن ناحية أخرى فإنها أول مسرحية فى استراليا يرتفع كاتبها إلى الاسطورة الاسترالية ويعبر عنها بغير لغة الحديث بل يجعل الشعر المرسل اداة الحوار فيها . ومع ان « ستيوارت » من اتباع الرومانسية الا أنه لم يكن متعصبا للاسترالية فقد جاء إلى استراليا من نيوزيلانده ولم يكن متأثرا قبل كتابة المسرحية برأى سابق عن أساطير الغابات داخل القارة ، ولابدور السجناء المضطهدين فى تاريخها ،واستطاع ان يظهر الجانب الانسانى فى شخصيات المسرحية خلال

الصراع الدائر بين الابطال العصاة من عصابة « كيلى » وبين النماذج البشرية التى مثلـت المجتمع الاسترالى .

« ودوجلاس ستيوارت » مؤلف نيد كيلى أديب متنوع الموهبة ، فهو شاعر ويعد من كبار شعراء استراليا المعاصرين ، وأفضل كاتب استرالى يكتب المسرحية الشعرية . ورائد المسرحية الاذاعية فى استراليا ، وفوق ذلك فهو كاتب قصة وناقد أدبى . ولد فى « الشام » بنيوزيلانده عام ١٩١٣ ، وتعلم فى مدرسة «بليمـوت الجديدة « الثانوية للبنين» ثم درس الحقوق فى كلية « فيكتوريا الجامعية » وبعد أن خرج للحياة العملية اشتغل فى عدة صحف نيوزيلاندية ثم سافر إلى انجلترا ليرى الطرف الآخر من العالم .

وفى عام ١٩٣٨ عاد الى استراليا ، واتخذها موطنا ، واستقر به المقـام فى «سيدنى» وعمـل محررا بمجلـة The Bulletin وهى أقدم المجلات الادبية فى استراليا وابعدها صيتا ، ولها وزنها وتقديرها ، الكبيران فى المجالات الادبية . ثم رأس تحرير صفحتها الادبية المشهورة باسم « الصفحة الحمراء The Red Paqe : عام ١٩٤١ ، وصار الناقد الفنى للمجلـة . وظل يسهم فى تطور الحركة الادبية الاسترالية من خلال هذه النافذة الصحفية اكثر من عشرين عاما وهو عضو فى المجلس الاستشارى لتشجيع الادباء التابع للحكومـة الفيدرالية ويعمل الآن مستشارا لدار النشر « أنجاس وروبرنسون » Angus and Robertson بسيدنى .

ودواوين « ستيوارت » الاربعة الاولى :

الخطوط الخضراء (١٩٣٦) ، والصيحة البيضاء (١٩٤٠) ، ورثاء طيـار (١٩٤٠) وسونيتات الجندى المجهول (١٩٤١) وهى التى بدأ بها نتاجه الادبى غنية بجمال الاسلوب وبالقدرة على التحكم فى اللغـة .

---

(١) السونيت قصيدة من ١٤ بيتا .

وسحر الوقع الموسيقى للاوزان الشعرية ، وقصائدها تكشف عن أذن لايرقى اليها شك فى الاحساس الرهيف بموسيقى الالفاظ حتى عندما ينضب معين الانفعال ويتخبط الفكر من الحيرة . ومع ذلك فهذه الدواوين الاولى لاتنبىء عن المنعطف الكبير الذى اتخذه الشاعر بتحوله الى كتابة المسرحية الشعرية للاذاعة والمسرح .

وكانت أول مسرحية شعرية يكتبها « دوجلاس ستيوارت » هى نار على الثلج ، وهى مسرحية اذاعية تدور حول بطولة المستكشف « سكوت » ، ذلك الذى أراد أن يجوب القطب الجنوبى ولكنه ضل الطريق وواجهت بعثته سوء الحظ والعداء الشديد من الجو والطبيعة على محيط من الثلج ولقى أفراد البعثة مصارعهم صبرا ، وواراهم « سكوت » مثواهم تحت الثلوج واحدا واحدا حتى جاء دوره فظل يكتب مذكراته حتى سقط القلم من يده .

كانت مسرحية نار على الثلج الوميض الذى كشف عن موهبة « ستيوارت » — المسرحية والشعاع الذى غمره بضوء الشهرة . وكان النجاح الكبير الذى لقيته هذه المسرحية دافعا للشاعر على أن يتابع كتابة المسرحية الشعرية ويعالج بها موضوعه المفضل وهو البطولات الاسطورية التى تخلقها روح المغامرة أو الصراع فى طاعة القانون ، ويرى ستيوارت أن الادب يمكن أن يقدم الاساطير بالطريقة التى يعيش بها الناس ، وقد قاده ذلك الى أن يبحث عن شخصية البطل العظيم فى بنائه المجتمع ، والبطل الخسيس فى صراعه معه . وفى مسرحيته . الثانية نيد كيللى (١٩٤٣) لم يحاول « ستيوارت » تكرار نفسه ، بل نزل من البطولة السامية العظيمة بطولة « سكوت » الى بطولة من نوع آخر تصارع المجتمع والقانون ، بطولة « نيد كيللى » . والحق أن مجرد أن يأخذ ستيوارت مجموعة من شبان الغابات المشاغبين من سبعينات القرن التاسع عشر ويضفى عليهم شكلا بطوليا ان لم يمنحهم مكانة الابطال ، ويجعلهم مدار مسرحية شعرية لهو مغامرة جديدة وتحد لخط التفكير المسرحى الاسترالى . وذلك بالتأكيد كان أول عناصر التمرد عند « ستيوارت على مدرسة التقاليد الشكسبيرية وعلى اسلوب كتاب المسرحية الشعرية . فى اختيار الابطال العظماء .

ولم تختلف استراليا فى شئ اختلافها حول اسم « نيد كيللى » فهو عند بعض النـــاس أخاذ تحيط به هالة من السحر والفتنة ، وعند الاخرين يطفح كل حرف منه بالاشمئزاز ، ويقطر بدم الإجرام ويدل على الخسة والنذالة . ومع ذلك فقد عالج ستيوارت «نيد كيللى» باتجاه جديد يتفق مع الموقف الرومانسى الذى يقفه من الحياة . فهو يعتنق أهمية الانســان وذاته دون جدل او مناقشة ولايهتم بالاصلاح الاجتماعى او الاخلاقى ، وتثيره أعمال البطولة وجرأة المغامرة وفى «نيد كيللى» أظهر البطولة وهى تستعمل فى غير وجهها وتنحدر بالأبطال الى نهاية حقيرة .

و« ستيوارت » شاعر قبل أن يكون كاتب مسرحية ، ومن ثم فالطريق أمامه ممهـــد للتأثر بالمسرحيات البطولية فى عصر شكسبير . ويمكن أن نرى ذلك التأثر بوضع خطــين متوازيين بين ما كبيث لشكسبير وكيللى لا ستيوارت فالرجال الطموحون فى كـــلا المسرحيتين — يجلبون الدمار لا نفسهم ولغيرهم .

ونيد كيللى احدى تراجيديات ستيوارت التى التزم فيها الحقائق التاريخية بدقـــة ، فالشخصيات الاساسية فى المسرحية شخصيات حقيقية ، وزمان المسرحية ومكانها يتفقان مع ما جاء فى التاريخ ، ومن ثم يمكن أن يقال إنها تراجيدية تاريخية عالجت احداث فـترة من تاريخ استراليا واتخذت من عصابة « نيد كيللى » محورا تدور حوله ، وكشفت عن الصدام بين الرأسمالية المتحكمة التى تعيش فى المدن وبين عامة الشعب فى الريف ، وعـــن بطولات التحمل والضلال فى الغابات والتيه فى القفار ، ووضحت الاتجاهات والعواطف المتباينة للجماهير ، وألقت الضوء على طبـــاع الاستراليين وسماتهم ، فى هـــذه الفترة وعلى موقفهم من القانون وتحكم السلطة ، ونظرتهم الى الجرأة ، والمغامرة والبطولة فى « « بلد الرجـــال » استراليا .

والفصل الأول من المسرحية استحوذ على كل أفكارها ، ولم يبق المؤلف للفصـــول الأخرى شيئا جديدا فأصبحت شبه معادة . ومع ذلك فالمشهدان الأولان منه فى البيت وفى الحانه بمدينة « جير يلـــديرى » بفكاهاتها الفاترة غير المريحـــة وباستطردها فى استعادة

الذكريات والأحداث مشهدان جامدان يخلوان من الحركة والعاطفة وتعوزهما الحيوية والفاعلية المنتظرة من عصابة قطاع الطريق . وقد أصابتهما دوامات الحوار بالسكون والرتابة والحوار إذا وقف وحده كحديث يدعو إلى الملل ويصرف المتفرج عنه ، وذلك على غير الحال في بقية المشاهد التي تتحرك من نقطة الى نقطة في انحدار تدريجي نحو المصير الطبيعي للخارجين على القانون . . فالحركة التي تموج بها خشبة المسرح هي التي تجذب المتفرج وتدفعه الى اليقظة والمتابعة . . والعاطفة التي توجههم في حركتهم كما تتمثل في حوارهم هي التي تأسر المتفرج وتشده لمتابعة الدور .

ويعد مشهد كوخ الجبل واحدا من المشاهد الرائعة فقد أبدع في تصوير الوحدة القاتلة والعزلة الموحشة التي عاش فيها أربعة رجال يطاردهم المجتمع ، يدفنون مخاوفهم في محيط ضخم من أشجار الصفصاف ، وليس وراءهم غير القانون . ومشهد مقتل « شيريت » يستطيع بذاته أن يقف شاهدا على براعة ستيوارت في تصوير القلق والترقب والتشويق ، ونهاية المشهد بعثت الراحة في نفس العصابة والجمهور والممثلين وحتى في نفوس الشرطة وحفل « جلنرووان » الذى أطلق فيه العنان للصخب والضجيج . بينما ينتظر المشتركون فيه الصوت المروع لتحطيم القطار يظهر الطباع المختلفة والحالات النفسية المختلطة في اضطراب . والمشهد الأخير السريع الذى يصاب فيه « كيللى » بالرصاص فيخر على الأرض جريحا وهو في دروعه الحديديه(١)ويقبض عليه في ليل الغابة على ضوء ومضات الرصاص المنطلق مشهد مفكك غير مترابط . ثم جاءت النهاية بالعويل والصياح والنشيج فنفرت منها النفوس .

وعصابة كيللى في المسرحية عصبة قوية في صخب تتكون من أربعة فرسان خارجين على القانون يسيطرون على طرق السهول ودروب الغابات وممرات الجبال ، لكن ستيوارت لم يجعل « نيد » في مجموعه زعيما مسيطرا على عصابته ، ولم يرفعه الى المستوى الأعلى بينهم . « فبيرن » يأخذ المسرح أولا ، ويظل محتفظا بالمبادرة ، وبالدور الرئيسي في الحوار

---

(١) صنع كيلى لنفسه درعا حديديا يلبسه في معاركه يزن ٩٠ رطلا .

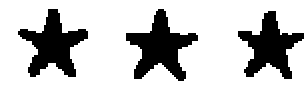
فيشد اليه الجماهير ويجذبهم الى متابعته . ولأنه شاعر فى مسرحية شعرية ، وعاشق وسط قلوب قاسية ، وذكى لماح حاضر النكتة ، وحاد الاجابة ، وسكير عمل فإنه يأسر العواطف بسهولة ، وله شخصية أخاذه يملك بها زمام القول فى فصاحة غير عادية عند كل حوار . وهو نفسه العقل المدبر والفكر المخطط للعصابة كما يعترف بذلك زعيمها المغرور فى صلف وصاحب الارادة القوية « نيد كيللى » والشخصية التى لها كل هذه الإمكانيات تثير فى النفس التألم من أجلها . وتنتزع من القلوب التحسر عليها حين تجدها جزءا من عصابة لاتعمل لهدف ، بل تقف ضد القانون والمجتمع وقدرت لها نهاية شنيعة كنهايات أمثالها من الخارجين على القانون والثورة الداخلية الصادقة لم تحدث الا فى شخصية « بيرن » . وهى شخصية متطورة يظهر لها فى كل موقف تصرف جديد يكشف عن جانب منها . أما شخصية « نيد » فقد تجمدت منذ البداية على صورتها الاولى فهو مغرور ، صلف طائش ، متجهم ، مقامر ، لاينتهى عن رأيه مهما كانت العواقب ، مغرم بالدعاية لنفسه وتخليدها ، له احساسه الخاص بالعدالة ، ويظل كذلك طوال المسرحية . حتى النهاية ، لم يتعلم درسا واحدا من الحياة . ونجد ولعه بالمشروعات الغريبة وحبه للمغامرات غير المألوفة يجلب الدمار لهم جميعا . ومع أن « نيد » يرى نفسه آخر ملوك الطريق الا أنه ليس شخصية غنية بنفسها يمكن أن تكون وحدها أساسا لنجاح المسرحية .

وقد أعطى « ستيوارت » لشخصيات المسرحية من ذاته كشاعر تعبيراته النابضة بالحياة وأسلوبه الرشيق بأوزانه وموسيقاه ، وحواره المثير للمشاعر والذى يمكن أن يقال أكثره أو يستمع إليه لفترات طويلة . وحتى العامى منه أغناه بالحيوية وعوضه بالانفعال فجاء أخاذا وساحرا يعلق بالذاكرة . وقد استطاع « ستيوارت » أن يروض أوزان الشعر ويهدهد من سرعته ليوافق الطباع النفسية المختلفة للشخصيات ،والانفعالات المختلطة فى المواقف ، وأمكنه أن يستحضر بالشعر كل المواقف المهمة ويجعلها تعيش كعناصر ديناميكية تؤثر وتتحرك فى المسرحية وقد منح « ستيوارت » المقدرة على التحكم فى الحوار المنظوم فبدا كما يقع بين الناس فى الحياة العادية ، وأظهر الشخصيات وهى تعيش أدوارها فى صدق ، وارتفع بالشعر مع كل شخصية إلى لحظة إلهامها التى تصل

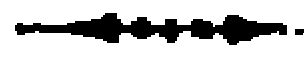
فيها إلى الذروة . ولم يكن وجه العدالة عند « ستيوارت » أقل أهمية فى المسرحية من مشاهدها وشخصياتها وحوارها المنظوم .

والمسرحية غنية بموفور من شحنات الانفعال التى تدل على الطبيعة العاطفية الاسترالية . . وعلى الرغم من أن « ستيوارت » نيوزيلاندى الا أنه استطاع أن يصل الى أعماق «الاسترالية» شخصية وأرضا . والذى لاشك فيه أن امتزاج الفكرة والشعور والعاطفة فى المسرحية قد آتى ثماره سحرا يشد القارئ والمشاهد الى المسرحية بقوة .

ومهما يكن من المدح الذى يقال فى مسرحية نيد كيللى أو النقد الذى يوجه اليها فإنها قد حولت تيار المسرحية الاسترالية وغيرت من اتجاهها ، وسوف تظل لسنوات كثيرة قادمة رائدة ودليل عمل للمسرحية الاسترالية .



بيان بأكثر مؤلفات
دوجلاس ستيوارت



دواوين الشعر :

١ – الخطوط الخضراء	اوكلاند	١٩٣٦
٢ – الصيحة البيضاء	لندن	١٩٤٠
٣ – رثاء طيار	سيدنى	١٩٤٠
٤ – سونيتات للجندى المجهول	«	١٩٤٠
٥ – النائم فى فصل الربيع	«	١٩٤٦
٦ – جلنكو .	«	١٩٤٧
٧ – الشمس وبنات السحاب .	«	١٩٥٢
٨ – طريق بيروزفيل	«	١٩٥٥
٩ – الذرة الالكترونية .	«	١٩٦٢

المسرحية الشعرية :

١ – نار على الثلج	سيدنى	١٩٤٣
٢ – نيد كيللى	«	١٩٤٣
٣ – العاشق الاشقر .	«	١٩٤٤

٤ — مسرحيتان للراديو	سيدنى	١٩٤٤
٥ — السفينة الغارقــة .	«	١٩٤٧
٦ — اربع مسرحيات .	«	١٩٥٨
٧ — شبح الصيــاد	«	١٩٦٠
٨ — الزلزال يهز الارض	«	١٩٦١

النقد الادبى :

١ — الجسم والروح	سيدنى	١٩٤٨

القصــة :

١ — الفتاة ذات الشعر الأحمر وقصص أخرى	سيدنى	١٩٤٤

القاهرة : يوليو ١٩٧٠

الدكتور على الحديدى
استاذ الادب العربى المساعد
بجامعة عين شمس
والاستاذ الزائر بجامعة ملبورن من ١٩٦٣ الى ١٩٦٥

شخصيات المسرحية

The Kelly Gang :	**عصابة كيللي :**
NED KELLY	نيد كيللي
DAN KELLY	دان كيللي
JOE BYRNE	جو بيرن
STEVE HART	ستيف هارت
Clerks in the Bank at Jerilderie	**موظفان في مصرف (جيريلديري) : كاتبان**
LIVING	ليفنج
MACKIN	ماكين
TARLETON, bank manager	تارلتن (مدير المصرف)
ELLIOTT, « Jerilderie schoolteacher. »	اليوت : (مدرس في جير يلديرى)
THE REV. GRIBBLE	القس جريبل
BRETT a squatter	بريت : (راعي أغنام كبير من ممن يستأجرون أراضي التاج)

RANKIN a merchant	رانكـــين : (تاجــــــر)
HARKIN a store-keeper	هاركـــين : (صاحب حانــوت)
THE ROO, Ned Kelly's Mistress	الغــــــرة : (عشيقة نيــد كيلى)
AARON SHERRITT, an informer	هارون شيريت : (مخــبر الشرطــة)
RITA SHERRITT, his wife.	ريتـــا شيريت : (زوجـــة هــارون شيريت)
MRS. BARRY, mother of Rita.	السيدة بــارى : (أم ريتـــا شيريت)
REARDON, a railwayman	ريردون : (موظف ســكة الحديــد)
MRS. JONES, proprietress of the geln-rowan Hotel.	السيدة جونز : (مالكة فنــدق جليــنروان)
JACK JONES, her son.	جاك جــونز : (ابن السيدة جــونز)
CURNOW, Glenrowan schoolteacher	كرنـــاو : (مدرس فى مدرسة جلينراوان)
MRS. CURNOW, his wife.	السيدة كرنــاو : (زوجـــة كرنـــاو)
Police, barmaids, supporters and prisoners of the Kelly Gang.	رجال شرطة ، ساقيتان ، أنصار عصابة (كيلى) ومعتقلوهم .

الفصـــل الأول

المنظر الأول



المكان : مصرف (جير يلديري) ، الزمان : صباح يوم الاثنين ، ١١ من فبراير (شباط) عام ١٨٧٩ . يمتد حاجز المصرف فى زاوية قائمة من مقدمة الحائط الأيسر ومؤخرته ، وعبر المسرح على مقربة من يسار وسطه ، وبذلك بشكل مساحة محجوزة هى مكان عمل موظفي المصرف . ويؤدى با فى وسط مؤخرة المسرح الى مسـاكن موظفي المصرف الخاصة . (ماكين) موظف شاب ، قد اتخذ لنفسه مقعدا مرتفعا بلا مسـند تجاه مكتب فى المسـاحة المحجوزة ، أما (ليفنج) كبير الكتبـة ، فيقعد أمام حاجز المصرف مـواجها باب الشـارع الأيمن .

ليفنـج : (منحنى الظهر ، ملوح الوجه من الشمس ، متوسط العمـر — يتمتم وهو يعـد رزمـة من ورقـات « البنكنوت ») :

خمسة وخمسة عشرة وخمسة خمسة عشر
خمسة وخمسة عشرة وخمسة خمسة عشر
خمسة وخمسة عشرة وخمسة خمسة عشر
وخمسة خمسون . . .

خمسة وخمسة عشرة وخمسة خمسة عشر . . . .

ماكـــين : (يلحق بالترتيل ساخرا) :

الاثنين ، الثلاثاء ، الأربعاء ، الخميس ، الجمعة
الاثنين ، الثلاثاء ، الأربعاء ، الخميس ، الجمعة
الاثنين ، الثلاثاء ، الأربعاء ، الخميس ، الجمعة
اللهم خفف علينا عناء الأسبوع ، فما زلنا في أولى أيامه . . . الاثنين ،

ليفنـــج : أسكت . . . . أخى ! وخمسة خمسون .

خمسة وخمسة عشرة ، وخمسة وخمسة عشرة
خمسة وخمسة عشرة ، وخمسة وخم . . .

ماكـــين : ياسيد » ليفنج » ! . .

ليفنـــج : ماكين ، أف لك ، بالله لا تزعجنى ، لقد أخرجتنى عن جادة العد . ألا تستطيع أن تنشغل عنى بعمـــل تزاوله ؟

ماكـــين : بالله خبرنى ، ما الذى أنت صانع إن وجدت نفسك مفرطا بالعد بستة بنسات ؟ هل تقدم استقالتك ؟

ليفنـــج : (منطلقا على سجيته) : لن يقر لى قرار حتى أهتدى اليها . . . ألا لعنة الله عليك ، يا « ماكين »

ماكـــين : وذلك نفس ما فعلته أنا يوم السبت — فلقد تقصيت البنسات الستة الضّالة حتى اهتديت اليها . . لقـــد هفوت في الحساب ، فضيق عليّ « تارلتن » الخناق واحتجزني فترة بعد الظهيرة كلها ، وهو نصـــف النهار المستحق عطلة لي . ان « تارلتن » يعرف كيف يهضم الناس حقوقهم . .

ليفنـــج : لابدّ أن يأتي اليوم الذي تدرك فيه أن ليس من الحكمة أن تشتم مدير عملك . » احذر فللجدران آذان « .

ماكين : اذا أذعت ما سمعت عني فلن أتورع عن التشهير بك بما تستحقه .

ليفنـــج : استح يارجل .

ماكـــين : ان المدير ، على أية حال ، عجوز جبان . ما الذي يهم هذا السبهلل ، لو فرط في الحساب ببضعة شلنات ؟ هل يبهظ هذا كاهل المصرف أو يكسر ظهره ؟ وعلى أية حال كان يمكن التدقيق في تصحيح فرق الحساب اليـــوم . لكأننا في مدينـــة « سيدني » حيث التشديد والتدقيق ، اننا في « جيريلديرى » ، وما أشبه الأيام بعضها ببعض في حمام الغبار هذا .

ليفنج : إنها مسألة مبدأ .

ماكين : أنا لست ممن يهتمون بالمبدأ .

ليفنج : أنت تدرك تمام الإدراك أن للمصرف قوانين لابد من أن تتبع ، فإذا جاوزنا حدودها المتبعة ، فان المصرف لن يكون المنظمة التى نريد . إن احداً لا يريد أن يحرمك من نصف النهار الذى تستحقه عطلة . ولكن المسألة مسألة مبدأ ويجب أن تنهى تصفية فرق حسابك قبل أن تبرح بناية المصرف .

ماكين : ويبدو لى أنها مسألة مبدأ أيضا أن نسخر ، أنت وأنا ، هنا كالعبيد بينما يتعاطى المدير الجعة على مقربة منا .

ليفنج : وقد يكون نائما .

ماكين : حسنا ، كان أحرى به أن يأتى لمزاولة عمله،ويكون قدوة احتذيها . كل الذين يخطرون على بالى من مديرى المصارف في المدن الريفية ، يزجون نصف وقتهم اما نائمين أو متسكعين في المدينة ، وهم المتسنمون ذرى الوظائف الذين يسنون القوانين . وما يقدمونه من عمل هو والعدم سواء . فان لم يكن المدير ناعما بالنوم الآن فلابد أن يكون الجبان العجوز قد خرج إلى الشارع

يحمى بطنه في الشمس . أف لهذا الحر ما أشده لسوف أخلع سترتي .

ليفنـــج : الخير الا تفعل ذلك ، يا « ماكين » .

ماكـــين : أنا أدرك أن السيد « تارلتن » يسوءه ذلك ، ولكـــن ليذهب السيد « تارلتن » إلى جهنم ، ومعه المصرف .

ليفنـــج : كل ما تفعله عبث ومضيعة للوقت .

ماكـــين : لا أستطيع عملا ، فشدة الحر تمضني .

ومدن الريف أعافها ، ليست سوى مسابح الغبار
تعفر الطيور ،
لكم أعافها : جفافها ومحلها .. ياللموات والعدم ،
تعافها الديدان مثلما يعافها البشر ،
تهجرها تقززا .
فيها الحياة عمل ، نوم ، عمل .
جد بلا تسلية بلا نساء .
وليس من يؤنس من يحلها بطيب الحديث .
لكم يعاف شارب الجعة شربها ،
فهي لحزها مريرة ، وطعمها الصابون والعياف ،
كمائع غسلت فيه قدميك .
أبغضها أيام هذا الصيف جالب الخمول والكسل ،

حتى الغبار ،
يبدو كليلا متعباً ،
يهب بالجهد الجهيد مرة .
في كل جمعة ،
وبعدها يعاود الركود ،
كمثل كلب مقمل ،
ما يشرع الأذنين مرة ،
حتى يعود للهجوع ،
يَنْهَدُ تحت وطأة الوسن ،
سبعين مرة . . .
(باسلوب متكلف) والله يا « ليفنج » ، ضاقت بى الحـال ،
سئمت نفسى الحياة .

ليفنـج : مازلت أفضل ألا ترفع الكلفة بيننا وأن تظل تدعونى السيد « ليفنج » .

ماكـين : لكم أفضل أنا أيضا أن تدعونى أنت القبطـان « ماكين » ، أو المشير « ماكين » ، أو العـاطل « ماكين » ، أو عامل المنجم ، أو لص الأدغـال — ولكنك لا تفعل ذلك . انى عندما أُدعى على لسانك

فأنا مجرد « ماكين » الذى كما يلعق طوابع البريد يلحس أيضا حذاءى المدير . والله ، لو أتيحت لى فرصة أخرى ، وظهر الذهب في أية منطقة من استرالية ، فلسوف اندفع إلى المناجم وأخلفكم ورائى . أو لربما اتخذت مسدسا ونصبت له من نفسى هدفا . فلأصبحن (نيدكيللى ماكين) أو أى شيء آخر لغرض التغيير والتنويع المجردين .

ليفنج : خير لك ألا يسمعك السيد « تارلتن » وأنت تفوه بهذه الكلمات . فما أثقلها مزحة وأخطرها أيضا .

ماكين : انك رجل من دم ونار ، حقا إنك كذلك . وأراهن أنك لم تجرؤ حتى الساعة فتغير ثيابك الصوفية الشتوية . (يبدو الامتعاض على ليفنج) حسنا اذن ، وسمعا وطاعة . ولكن ألا يستطيع الإنسان حتى أن يذكر عصبة « كيللى » مجرد ذكر ؟

ليفنج : لا يحسن بالمرء أن يبدو عليه أنه يتعاطف معهم ، وكفى بذلك قولا . قد يسترعى انتباه سلطات المصرف إلى هذه الأمور ، وللمصرف كل الحق في ذلك . ما أكثر الذين يرون أن نهب المصارف تسلية تستحق أن يمتعوا بها . والنهب هو النهب . لقد نهب مصرف (يورا) ،

ونحن نخدم هذا المصرف ، يحتم علينا واجبنا أن نحمى أمواله .

ماكـــين : لا أختلف معك في أنني سأحمى أموال المصرف ، ولكنني أتمنى في قرارة نفسى أن يحضروا فيستولـــوا عليها ،وليكن المستولى عليها مَن كان،سواء كان عصبة « كيللى » أو صاعقة نازلة من السماء . أو حتى فتاة ، يا « ليفنج » ، نعم ، حسناء فاتنة ، فتاة من لحم ودم ، ذات ساقين ، نعم ساقين حقيقيين .

ليفنـــج : لن أستطرد فأدخل معك في حوارك السخيف هذا .

ماكـــين : هب أن عصبة « كيللى » قد عبرت الحدود لمجـــرد تغيير المناطق ، ولا يعلم أحد أين هم الآن . وينتظر أن يطلوا علينا هنا ، قل لى بربك صراحة ، ألن يسرك أن تغير حياتك نوعا ما ولفترة وجيزة ؟

ليفنـــج : لا ، أبداً ، لن يسرنى ذلك .

ماكـــين : اذن ، إلى الجحيم ، ما جدوى حديث مثل هـــذا ؟ أما أنا فلن أتوانى عن المغامرة . إننى خارج لأدخن . ناولنى تلك الرسالة . فلو صادفنى (تارلتن) فـــى الطريق لزعمت له أنك بعثتنى لأوصلها إلى البريد . (يثب الحاجز ويخرج من الباب الأمامى) .

ليفنـــج : (مع خروج ماكين) : قل له بأنك « نيد كيللى »

(يعود إلى العد المرتل) :

خمسة وخمسة عشرة وخمسة خمسة عشر

خمسة وخمسة عشرة وخمسة خمسة عشر

خمسة وخمسة عشرة وخمسة خمسة عشر

وخمسة خمسون .

خمسة وخمسة عشرة و . . .

(بينما يعد مرتلا ، ينفتح الباب الخلفى رويدا رويدا ، ويدخل على حرف ، « جو بيرن » مرتديا بدلة رسمية لشرطى من السوارى التابعة لويلز الجنوبية الجديدة ، يشهر بيده مسدسا . « بيرن » فارع القامة ، ضامـــر البنية ، ذو لحية خفيفة ، هو عقل عصابة « كيللى » المدبر ، وحديثه كحديث المتعلمين المثقفين . يسير بخطا خفيفة متجها نحو « ليفنج » ، الذى ، لشـــدة استغراقه في عمله ، لا يحس بدخول « بيرن »)

بـــيرن : أنت ، يا أخانا

(يهب ليفنج مذعورا) .

ليفنـــج : ماهذا ؟ ما الذى تقصده من دخولك إلى هنا ومـــن صياحك ؟

بـيرن : لقد جئت لكى أراك .

ليفنـج : (بتلطف أكثر) : حسنا ، كان أحرى بك أن تدخل البيوت من أبوابها . . . متبعا الطريقة الصحيحة . كونك من رجال الشرطة لا يعطيك الحق في اقتحام المكان من ناحية المنازل الخاصة بسكنى موظفى المصرف ، ما الذى تريده يا « حضرة » الشرطى ؟

بـيرن : اسمى « كيللى »

ليفنـج : (بلا مبالاة) : ما الخدمـة التى يمكننى أن أؤديها لك ؟

بـيرن : ان ما تستطيع أن تؤدى من خدمة كثير جدا . تستطيع أن تقدم لى تذكارا بسيطا مما بيدك من خير لا ينضب معينه . يكفى مجرد عشرة آلاف دينار ، أو أكثر من ذلك إذا كان ذلك ممكنا .

ليفنـج : ماذا تقـول ؟

بـيرن : (شاهرا مسدسه في وجه « ليفنج »): قلت إن اسمى « كيللى » .

ليفنـج : وما الغرض من المسدس ؟ يا « كيللى » . . . كـل الناس هذا الصباح (كيللى) . انك بلا شك تمازحنى .

بــيرن : لقد قلت إن اسمى « كيللى » . « كيللى » يامغفل .

ليفنــج : أرجوك لا تشتمنى .

بــيرن : (صارخا) اصح من النوم ، أيها المحيرة الحالمــة ، ان المصرف محاصر . ان عصابة « كيللى » هنا .

ليفنــج : (يدرك فجأة ما يلم به ويفقد أعصابه كلية) : رباه ، رباه عصابة « كيللى » !

بــيرن : ارفع يديك، هيا . . . تقدم وارفع يديك ، لا تهتم بأمر النقود سأحرص على أن تحل محلا لائقاً بها .

ليفنــج : رباه ، رباه !

بــيرن : أين مسدسك ؟

ليفنــج : أين ماذا ؟ . . . المسد . . . أى نعم ، تقصد المسدس .

بــيرن : أى شيء آخر تظننى أقصد ، بحق الجحيم ؟ مخفقــة البيض ؟ أين مسدسك ؟

ليفنــج : أخشى أننى لا أعلم . قد يكون تحت المكتب ، هــل تأمر أن ألقى نظرة ، ياسيد « كيللى » .

بــيرن : أبق يديك مرتفعتين . تخيل نفسك تصطاد الذباب . ان كفيك مثل نسيج العنكبوت ، على أية حال . من أنبأك بأن اسمى « كيللى » ؟

ليفنج : (يبدأ يستعيد وقاره بعد أن تنال سخرية بيرن اللاذعة من كبريائه) : أنت قلت بأنك « كيللى » .

بيرن : اسمى « جو بيرن » . تذكر ذلك . فعندما تغدو عجوزا أشيب ، وعندما يصبح فمك أدرد ، ليس فيه من الأسنان أكثر مما في فم الفرخة ، عندئذ تستطيع أن تروى لأحفادك أن « جو بيرن » اعتقلك قبل وصول « نيد كيللى » ولابد أن الخبر سيعجب زوجتك هذه الليلة .

ليفنج : لا تدخل زوجتى في هذا الأمر .

بيرن : (باعجاب ساخر) : ياللك من شيطان مريد ، أو لست كذلك ؟ أين المسدس ؟

ليفنج : (بتبرم وضجر) : لا أستطيع أن أتذكر .

بيرن : أيها المحبرة . والله لأريقين مخك وأنزلنه لطخة كبيرة على دفتر حسابك . أين الآخرون من رفاقك ؟ لماذا أنت هنا بمفردك ؟

ليفنج : لقد ذهب « ماكين » يوصل رسالة إلى البريد .

بيرن : وأين المدير ؟

ليفنج : ليس من شأنى أن أعرف أين يختار السيد « تارلتن »

قضاء وقته بينما يتعرض مصرفه للنهب . فتش عنـــا بنفسك .

بـــيرن : لقد انذرتك ، أيها المحبرة .

ليفنـــج : ما الذى أنت فاعل ؟

بـــيرن : (مستخفاً مرحاً) نعم ، لسوف ننهب المصرف ، ونغتال قليلا من الناس ، ونسلق طفلا أو اثنين وبعد ذلك نغادر المكان ، إذ ليس في نيتنا الاضـــرار أو الأذى .

ليفنـــج : لا تتحدث إلىّ حديث الأطفال . إننى لا أطيقه .

بـــيرن : (يتحدث ببطء) أعتقد أننى سأطلق عليك النار . (يومىء إلى « ليفنج » بالاقتراب) تعال إلى هنا .

ليفنـــج : ياسيد بيرن –

بـــيرن : (يهدده بالمسدس) واحد ، اثنان ، ثلاثة ، ثِبْ من فوق الحاجز كالعصفورة . (يتردد ليفنج) هيـــا ، هيـــا

(يتعلق « ليفنج » بالحاجز متسلقا إياه ثم يقف وظهره مستند إليه ، متحديا بعصبية رجل الادغال) .

ليفنـــج : وماذا بعد ، ياسيد بيرن ؟

بـيرن : مرحى ، أحسنت والآن ثب عائداً إلى حيث كنت . إنني لن أستطيع أن أحرم زوجتك من إله اغريقي ! .

(بينما يتسلق « ليفنج » الحاجز عائدا إلى حيث كان ينفتح الباب الأيمن ويدخل « نيد كيللى » يذرع القاع بخطى وئيدة واسعة ، وهو أمتن بنية من بيرن ، ذو لحية كثة ، ومظهر متسلط ، يوحى إلى من يـراه بأنه هو الزعيم بلا منازع حتى حينما يفضحه اضطرابه المعتاد فيغدو تخبطاً وهياجاً أو تبجحاً . فإنه عندما يغتاظ يغدو قتالا ، وعندما يكون في حالته الطبيعية فهو مرح منشرح الصدر في عناد وتمرد . بعد أن يلقى نظرة خاطفة على الموقف في المصرف ، وبعد أن ترتاح نفسه بأن الأمور قد جرت حسب الخطة المرسومة ، يقف باسما عند المدخل) .

ليفنـج : (عند سماعه دخول « نيد » ولكن دون أن يتبين من الداخل) :

يا « ماكين » ، احترس (يرى « نيد ») أيهـا الشرطى !

نيـد : لقد روعت البومة العجوز فأخرجته عن أطوار العقل ، يا « جو » .

(يتحدث إلى « ليفنج ») ألا تعرف « نيد كيللى »
عندما تراه ؟

ليفنج : أى ، وربى انى أعرفك . إنها سرقة سافرة في رابعة النهار .

نيد : (ملاطفا « ليفنج ») لو كنت في موقفك لما انزعجت. فالانزعاج يربك الهضم ، ويثقل على المعدة حتى لكأنه الرصاص فيها . وأنا لست الا مجرد عميل ، قد قدم علياك يطلب قرضه ، هذا كل ما في الأمر .

ليفنج : انك تنوى أن تنهب المصرف (كمن لا يصدق مايرى) وهنا في « جيريلديرى » أيضاً !

نيد : (ساخرا) لا تخف .

ليفنج : رباه ! لابد أنكم قد اغتلتم رجال الشرطة . والا فمن أين أتيتم بهذه البذلات الرسمية ؟

نيد : « جو » ما اسم هذا المخلوق ؟

بيرن : « المحبرة » .

ليفنج : (مستردا كبرياء طعينة) اسمى ليفنج (. . . . الحى)

بيرن : (مرحا) حسنا اذن أيها (الحى) ، فسرعان ماستكون ميتا .

نيـــد : استمع إلىّ أيها « المحبرة الحية » . التزم الصمت ولن يمسك أحد بأذى . . لم يصب أحد بأذى بعد . المدينة محاصرة ، وذلك كل ما في الأمر . لقد حاصرنا مركز الشرطة . وقد أوصدنا أبواب الزنزانات واحتجزنا فيها القناصة ، بعـــد أن سلخنا بزاتهم الرسمية عنهم ،وخلفناهم أحياء هذه المرة. ولقد حاصرنا الخمارة كما حاصرنا أيضا مكتب البريد ، وهأنت ذا أيضاً محاصر .

ليفنـــج : (ممننا ، كمن قد نال حظوة لنقل هذه الأخبار اليه) نعم ، نعم . . . أستطيع فهم الموقف جيدا الآن . لم أستطع أن اتبينك جيدا حينما رأيتك تدخل لأول وهلة ، ياسيد « كيللى » . لقد غلبت على مفاجأتك لى .

نيـــد : ولقد قصدنا فعلا أن تكون زيارتنا لك ، مفاجأة .

ليفنـــج : ان معاونك هذا قال لى عندما أوقعنى في يده : إنه هو « كيللى » .

نيـــد : أحقاً « جو » أدعيت اسمى ؟
لعل اسمى به ما يفعل السحر من القوة ،
وهذا الأمر لا يخفى .
كما قد كان في الماضى من القوة ، لأسماء :

« كلاركس » « بن رهال » ، « جاردينر »
لقد كانت إذا ذكرت
يصيخ لها ويمتثل ، مُغذٌ الركض بالعربة ،
ويعرق « قانص الأمن » لمسمعها ويرتعد ،
ويدفع عامل المصرف
يؤدىَ واجب الخدمة ممتثلا على الفور ،
لأمر الذاكرين لها ، من الفقراء والجلداء .
أجل ياصاح . . . ما « جو » غير (نيد كيللى) .
فجو عقلى ، مخطط كل أعمالى
و « دان » و « ستيف » سيدا الحان ، ذا الحين
هما رجلاى في سيرى
وجمع قبضتى في لكم اعدائى .
بلى ، إنك « نيد كيللى »
(صارخا) ثب يا « جو »
(يذعر « ليفنج » لاستجابة « بيرن » الفورية التلقائية) .
رأيت إذن ؟ فأنت تثب . . .
مباشرة ، كما تتجاوب كفى عندما أصدر إليها أمرى .
ليفنج : ياللذكاء ، ياسيد « كيللى » . انى أتعلم الآن ما يجب

أن أفعل عندما أقع في أيدى « رجال الادغال » . ماذا تأمروننى أن أفعل الآن ؟

بـيرن : عليك بمنديل نظيف أبيض تأخذه وتدنيه من شفتيك الصغيرتين الحقيرتين ، ثم تمسح به التكشيرة اللزجة عن وجهك ، وبعد ذلك تخبرنا أين يكون مـديـر المصرف .

ليفنـج : (مستشيطا غيظا) لست أدرى أين هو .

نيـد : وأين الرجل الآخر ؟

بـيرن : (مشيرا إلى ليفنج) إنه يقول إن الكاتب « ماكين » قد انطلق إلى مكان ما في المدينة . والغريب في الأمر أن المدير لم يشرف بالحضور إلى الآن .

نيـد : ألم يكن خارج المصرف ؟

بـيرن : لم أره .

نيـد : أين المدير ، يا « ليفنج » ؟

ليفنـج : لقد قلت لك لست أدرى .

نيـد : (يبدأ خلقه يضيق) لا تخاطبنى بمثل هذه اللهجـة . لابد أنك تدرى أين هو .

ليفنـــج : لست أدرى . وان كنت أدرى فلن أتطوع بإخبارك . ابحث عنه بنفسك .

نيـــد : يكفينى أن قد وجدتك أنت . (يسير متقدما من الحاجز ويتكىء عليه ثم يشير إلى « ليفنج » أن يتقدم نحوه) ادن منى ، يا « ليفنج » حقق النظر في ماسورة البندقية تجد باطنها مظلما أسود ، وهى تنطق من حيث ترى ذلك السواد . ولن أكتمك سرا أنها توشك أن تتحدث اليك ولن يسرك ما تقول .

ليفنـــج : لكما أن تفعلا ما يروقكما . إنكما اثنان في وجه فرد واحد ، وأنتما فوق كل ذلك مدججان بالســلاح . فان شئتما أرديتمانى قتيلا برصاص بندقيتكما ، كذلك تستطيعان نهب المصرف ، ولربما فررتما بالغنيمـــة سالمين . ولكن اليوم آت لا ريب فيه حينما تندمان ولات حين مندم ، لأن أقدامكما قد وطئت أرض مدينة « جيريلدرى » . ولا يقل سعة صدر المصرف على اللصوص عن سعة صدر الشرطة على السفاحين . (يمد « نيد » يده من فوق الحاجز ، ويمسك « بليفنج » من تلابيبه ويجره نحوه بعنف ، ثم يطلقه) .

نيـــد : كم تغثى نفسى ، أنت ومن هم أمثالك . فما أنت

بالند الذى يقف رجلا أمام الرجال ، ولست الا بذلة من اللباس ولسانا سليطا .

بـــيرن : انه لايساوى شيئا ، « نيد » . انه مجرد بيضة ذبابة على كومة من الروث في حظيرة أحد رعاة الغنم .

نيـــد : (وهو يلم بضعة من أوراق النقد التى كان « ليفنج » يعدها) :

هاك يا « جو » هذه (ثم يقتعد سطح الحاجز) والآ ن ، أيها المحبرة ، أين مفتاح الخزانة ؟

ليفنـــج : أنا هنا بمفردى ، وأنتما اثنان وبندقيتان .

فرد أنا خلفى مجرد الهواء ، وأنتما وما سفكتما من الدماء .

لكن لتعلما أنى هنا ، يسندنى المصرف ، والمصرف ليس بالهواء .

وخلفنا الحكومة ، القانون ، والنظام

أما سلاحكم فلا بد أن يهزمه سلاحنا ، وبعده تجزون بالشنق ، عقاب ما تقترفون من جرائم .

نيـــد : أين مفتاح الخزانة ؟

ليفنـــج : وهبت حياتى لذا المصرف ، ثلاثين عاماً ،

بذلت جهود الجدير الأمين ، أطعت الذين يلون
أموری ، ونلت الجزاء مقاما ومالا ،
وأكثر من كل ذَيْن احتراماً ،
ولا بد أنكما تجهلان - لأنكما طارئان ، تخطيتما
حرمات الحدود - بأن الذين هنا ، يحلون « جيريلدرى »
بمصرفهم يفخرون ، فقد أسسوه بأموالهم ،
أقاموه رمز الأمانة ، رمزاً لحسن التعامل عبر الحدود
يوطد بالخدمات القويمة ، ويعزز ما بين جار وجار.
أقاموه كالهيكل ، أقاموه نصبا
يخلّد شُم الجهود ، تجشمها الصابرون ، سراة النفوس ،
وهم بالوقار وبالاصطبار ، يطوفون هذه السهول
الحرار لينتزعوا منها رزقا حلالا .
أيغلبهم مثلكم ؟ وهل يستكينون كي يشتموا ولكى
يرهبوا ، ويسلبهم عزَّ ما يملكون ، أمثالكم أيها
الطارئون ،
من الخارجين ، على حرمة الشرع . . .
إذا ما سريتم على خيلكم لكى تقلقوا المدن النائمة ؟

بيرن : اللهم طوله حلما ، يا « نيد » . . . هذا الترهة يحسن
التكلم ، فياليت شعرى هل نستطيع أن نعلمه الصفير ؟

نيـــد : يبدو أنى سأعلمه كيف يصلح أخلاقه (الكلام موجه إلى « ليفنج ») ماشأنلك وما يحدث لنقود المصرف ؟ في المصرف نقود كثيرة يمكن الاستغناء عنها في مصلحة مثلنا ، والنقود ليست مالك . كل المدينة الآن في صفنا ، والناس الآن يسكرون في الخمارة الشعبية محتفلين مع « دان » . ثم ما الذى يضيرك أنت؟ فستظل بخير ، ناعما بياقتك البيضاء ووظيفتك الحقيرة المزرية بعد أن تعود بخيلها عصابة « كيللى » إلى الغابة ، الذى يشغل بالك ؟

ليفنـــج : لقد أتيتم إلى هنا وأسأتم إلى بالشتم والسبب . كنت أزاول عملى — واليوم الاثنين ، صباحه ، بدأ هادئا ، عاديا ، لا يوحى بعواقب سوء — ثم دهمتمونى فإذا بكل الاساءات تحل بى .

بـــيرن : ألا يطرأ في حياتك حدث مثير معجب ، أقصد ، غير عيد الميلاد ؟ أتقرقر أمعاءك ؟

نيـــد : هيا يارجل ، أين الذى قد سبق سؤالى لك عنه ؟

ليفنـــج : قلت لك ، ليس معى .

نيـــد : ومع من المفتاح إذن ؟

ليفنج : مع السيد « تارلتن » — المدير .

نيــد : إن لم تسلمنى المفتاح خلال دقيقتين اثنتين ، فانما سيحل بك سيدون في كتب التاريخ .أنت بين أن تحضر المفتاح أو تحضر المدير الغائب ، أو أن تنال ثقبا في رأسك .

ليفنــج : أرجو ألا يكون من قصدك أن تفرض على أن أكون لك شريكا فيما تزمعه من نهب المصرف . فانني لن أفعل ذلك .

نيــد : (صارخا) بالله ! ألن تكون لى شريكا ؟

(يندفع « ماكين » داخلا من الباب الأيمن)

ماكــين : شرطة !

نيــد : (ينزل واثبا من فوق الحاجز ويهدد « ماكين » بالمسدس)

ارفع ذراعيك ، ياكلب ! ارفع ذراعيك !

ماكــين : (مذهولا) : أنا مأمون الجانب انني اشتغل هنا . تطوف في المدينة إشاعة بأن عصابة « كيللى » قد وصلت إلى هنا .

ليفنــج : (كمن سرى عنه أن يرى غيره أيضا واقعا في نفس

ورطته) : هؤلاء هم عصابة « كيللى » . ولقد واتتك الفرصة للانضمام اليهم .

ماكين : (لايتمالك نفسه) : لاتطلق الرصاص عليّ .

نيد : من قال لك إننا نطلق الرصاص على الصبيان ؟ والآن ثب من فوق الحاجز وانضم إلى رفيقك في الإصطبل .

(يثب « ماكين » من فوق الحاجز ، مندفعا نحو المكتب الذي يحتفظ فيه بالمسدس .)

نيد : (صارخا) : مكانك (يتوقف « ماكين » قبل بلوغ المكتب)

لقد كنت منطلقا لإحضار المسدس ، أليس كذلك ؟

(مومئا إلى « بيرن ») هات المسدس يا « جو » .

(يهب « بيرن » واثبا من فوق الحاجز ، يستخرج المسدس ، ثم يقف خلف « ليفنج » و « ماكين » وهو شاهر في كل يد مسدسا .)

بيرن : يبدو لى أن رأس هذا الديك قد أينع وحان قطافه لكى تدخل جثته القدر فتطبخ ، فما رأيك ، يا « نيد » ؟

نيد : على كل حال ، لا يخامرنى الشك ، انه ديك يوشك أن يصاد . ولكن هل تظن أن هذه الدجاجة العجوز

الأخرى قد باضت بيضة نستفيد منها ، حتى نبقيها بعد كل الجلبة والقأقأة ولا بيض . (مخاطبا «ماكين») أنت — « يا .. ما اسمك؟ .. » ، « ماكين » — لا تحاول أن تعبث مرة أخرى ، فلو كنت قتلتنا رميا بالرصاص ، لا قدر الله ، فما الذى كنت تعتقد أن يصنع « دان » و « ستيف هارت » وبين يديهما ملء الخمارة الشعبية من الرهائن ، لابد ، طبعا ، أن يأخذا بثأرنا من كل أولئك لو أصابنا مكروه . كل المدينة تحت رحمتنا ، فاستفد من هذا الوضع اذن .

ماكين : (مقدراً روح الدعابة ومشاركا) : حسنا جدا وسمعا وطاعة .

نيد : أين المدير ؟

ماكين : ألم يكرم الله مديرنا العجوز الجبان حتى ببعض النشاط ليمثل هنا في الوقت الذى يهاجم فيه مصرفه ! ؟ لست أدرى أين هو . أغلب الظن أنه يغط في نوم عميق .

نيد : (مرتابا) : ألم تلتق به ؟ أو ليس وراء تغيبه غاية مبيتة ؟

ماكين : لا .

نيـــد : فتش عنه ، إذن . أنت يا « ليفنج » اذهب لاحضاره . قل له ان « نيد كيللى » سيقدر له صنيعه اذا غمـــره بشرف حضوره إلى المصرف ثم لا تحـــاول أن تتهم نفسك بالذكاء فتتصرف تصرفـــا يثير سخطى . ان خناقك في قبضة يدى ، أيها الولد . ولن أتوانى عن أن أطيح بهذا الجرو وأفقده حـــرارة الحياة ، لو أنك حاولت القيام بأية من الألاعيب .

ليفنـــج : اللهم ، أنزل صاعقة من سمائك ! يا « ماكين » حاول ألا تبلل سراويلك ! . .

(يخرج « ليفنج » من الباب الخلفى) .

بـــيرن : يبدو أن افلاته للقيام بهذه المهمة قد أطرب قلبه وأدخل السرور على نفسه .

نيـــد : ولكن أما كان يمكـــن أن يركـــض باحثا عن أحد « القناصة » ، لو لم نعتقله ؟

ماكـــين : « ليفنج » لا يحب رجال الادغـــال ، وأنتم منهم ، والمصرف معبده ، وقد انتهكتم حرمته حتى لكأنكم خيل وطئت بسنابكها قاعة المعبد ، وما لا يطيقـــه

« ليفنج » حقا ، هو أن يزعجه أحد فيخرجه عن معتاد عمله الوتيرى ، ولقد أزعجتموه فعلا . ولن يغفر لكم خطيئتكم هذه .

نيـــد : « أبشر بطول سلامة يا نيد كيللى » . . . أنا واثق أن سخطه عليّ لن يؤثر قيد أنملة في مجرى حياتى . . هذا « المحبرة » .

بـــيرن : ربما . .

نيـــد : قد قال « ليفنج » إن مفتاح الخزانة مع المدير . أصادق هو أيها الصبي؟ .

ماكـــين : نعم ، المفتاح مع المدير .

نيـــد : سلمنا محتويات الادراج . امدد اليه يد المساعدة ، يا « جو » (ينبش « ماكين » و « بيرن » محتـــويات الأدراج والمكاتب المختلفة ويضعان « أوراق النقد » التي يعثران عليها فوق الحاجز بين يدى « نيد كيللى » . ويعبيء « نيد » جيوبه « بالنقد الورقي » بينما يضع « ماكين » كومة من العملة الفضية أمام « نيد » .

نيـــد : احتفظ بهذه لتطعم بقيمتها الدجاج . أنا لا أريد الفضة.

ماكـــين : أنا آسف ، ولكن ثق بأنها عملة غير زائفة .

بـــيرن : « كان ياما كان في قديم الزمان » ، شهم من الفرسان ، اسمه « جاردينر » « أمير قاطعي الطريق » ، وكان السيد الأمير « جاردينر » ، كالسادة الأمراء أيضاً يتحلى بطبع من غرائب الأطوار الأميرية وهو اقتراض الأموال عداً ونقداً أمام فوهة بندقيته . . . ولكنـــه ما كان يقبل قرضاً من العملة الفضية ، ويجب أن تدرك المغزى من ذلك يـــا « مـــاكين » . والسيد الأمير « نيدكيللى » يلتقى والسيد الأمير « جاردينر » بنفس هذه الخاصية .

نيـــد : (وقد أطربه هذا الإطراء) : إلى الجحيم أيها المتملق .

بـــيرن : انني أنوى الذهاب إلى الجحيم ، ولكن راكبا عـــلى صهوة مهرى نفسه ، وليس على كتف الشـــبح « جاردينر » .

نيـــد : (يدفع بالنقود الفضية عبر الحاجز) هاك يا « ماكين » املأ جيوبك .

ماكين : انني لا أريد .

نيد : (صارخا) : خذ النقود .

بيرن : خذها يا « ماكين » .

ماكين : (على وجهه بسمة فاترة) : قد أزرع على رأسى بأخذها ريشة التهم .

نيد : اشتر بالمبلغ لفتاتك المفضلة سوارا وأبلغها بأنه هدية من « نيدكيللى » .

بيرن : يالها من فكرة نيرة ! (ويمد يده إلى «ماكين» برزمة من « أوراق النقد ») واشتر لها بهذا هدية منى أنا أيضا . ساعة معصم ذهبية لطيفة توشوش أذنها طيلة الليل من تحت الوسادة : طق — طق — طق . . . طق — طق — طق كالجلجل الهامس . . . انني أود أن يذكرنى الناس بالخير .

ماكين : « ليفنج » سيتذكرك . . .

نيد : « ليفنج » ستذكره بنا قملة تطقطق في صميم أذنه .

ماكين : (وهو يعبيء جيوبه بالنقود) والله اذا عرف المدير عنى هذا فعلى علاقتى بهذا المصرف العفاء .

بـــيرن : خير لك أن تُقصى من هذا المصرف من أن تتقدم بك السن فتصبح نسخة طبق الأصل من « ليفنج » .

نيـــد : ما شكل « البنى آدم » الآخر - أعنى « تارلتن » ؟

ماكـــين : أى نعم ، انه مختلف تماما . انه يتميز عن غيره كثيرا ، ذلك الوعاء العجوز المهاب ، هو خفيف الروح . ويشرب الويسكى وكأن ما يفعله على سبيل المصادفة ولا يتورع من أن يربت على الساقية في المشرب العام .

بـــيرن : يا للمنفلت الفاسد !

نيـــد : حسنا ، انه بطبيعة الحال لا يربت في هذه اللحظة على غانية الحان ، والا لكان « دان » قد أعلن ذلك علينا . أين يمكن أن يكون ذلك الشيطان ؟ أنا لا أحب تغيبه .

ليفنـــج : (يظهر مرة أخرى عند المدخل الخلفى) : السيد « تارلتن » ليس في مخدعه .

بـــيرن : يبدو أنك تود أن تقوم ببعض الألاعيب . لا تثقن به ، يا « نيد » .

نيـــد : لن يتجاسر على التلاعب . لقد أمرتك أن تجده من تحت الأرض ، أيها « المحبرة » .

ليفنـــج : لست أدرى أين هو ، ولا أستطيع أن أجده .

نيـــد : لا تقل لى : « لاأستطيع » ، أيها اللعين . فوالله لو حاولت اعتراض طريقى لدست على جثتك . اذهب وأحضره . واذهب أنت أيضا يا « جو » . بل اذهبوا كلكم . لن أقضى كل وقتى هنا كالبليد وإلى آخر الزمان .

بـــيرن : سآتيك به ، يا « نيد » .

(بعد أن ينصرف « بيرن » و « ليفنج » و « ماكين » يدخل « نيد » الجزء المحاط بالحاجز من المصرف وينبش المكاتب والأدراج ، مبددا الأوراق على القاع ، مغمغما أثناء قيامه بتفحص الوثائق . ينفتح الباب الأيمن ويدخل منه رجل بدين يعانى من ضيق النفس ، ويعترض وجهه شارب كثيف ، يتوكأ عند سيره على عصا : انه « اليوت » المعلم في مدرسة « جيريلديرى » يعوذ « نيد » بحاجز المصرف فيكمن تحته .

يتلفت الرجل البدين مذهولا ومندهشا من المنظر حوله ثم يسير متجها إلى حاجز المصرف ، ويقرعه فوق رأس نيد مباشرة)

اليوت غريبة . . (ثم يقرع ثانية ، ويصغى كأنما يتحدث

إلى السكون الشامل) ترى ماذا حصل ؟ يستطيع من يريد ، أن يدخل إلى هنا ، وينقل كل مافي المصرف من مال ، ثم يعود من حيث أتى ، يبدو أنه لا يوجد هنا من يتصرف حسب المعقول .

(يلتقط عملة فضية من المخلفة على سطح الحاجز ، ويتفحصها بتأمل شديد ، ثم يعيدها إلى حيث كانت مجفلا)

نيـــد : (يجابه « اليوت » على حين غرة) : أنت ! إنك لص !

اليوت : (مأخوذا) : ما هذا ؟

نيـــد : ما الذى تقصد من مجيئك إلى هنا بطريقتك هذه ؟ من أنـــت ؟

اليـــوت : مرحبا ، أيها الشرطى ، أنا مسرور لرؤيتى اياك . لقد خطر لى منذ فترة وجيزة أن جماعة المصرف قد خلفوه بدون من يسهر على أمره . ما أشد غباءهم

نيـــد : من أنت ؟

اليـــوت : اسمى « اليوت » . ان هذا لأمر غريب . هل حصل أى مكروه ، لا قدر الله ؟

نيــد : ما الذى تفعله هنا ، أيها الحثالة ؟

اليــوت : أنت غريب مستجد في المدينة ، كما يبدو لى ، وقد تبادر إلى ذهنى أننى لا أعرفك ، ولو أن وسواسا يخامرنى بأننى قد سبقت لى رؤيتك في مكان ما .أنا مدرس هنا في المدرسة .

نيــد : أظنك من رجال الأدغال إن منظرك وحشى وتبدو من ذلك الصنف المتهور المنفلت من بنى آدم .

اليــوت ! (وقد اختلط عايه الأمر) : ما أغرب ما أنا فيه . هل لى أن أسأل ان كان قد حصل مكروه ، أرجوك ؟

نيــد : ان اردت الصدق ، فان عصابة » كيللى » موجودة بين ظهرانينا في المدينة .

اليــوت : عصابة « كيللى » ياللهول !

نيــد · لقد أغاروا على المدينة . وانه ليقال إن «نيد كيللى» نفسه قد وصل أيضا .

اليــوت : يالطيف !من يصدق هذا ؟ (يخامره الشك) هل أنت على يقين مما تقول ، أيها الشرطى ؟

نيــد : (يمثل دور من يخامره الشك أيضا) : هل تحاول

الدخول معي في أخذ ورَدّ ، لتغرر بي ؟ من يدريني أنك أنت لست « نيد كيللي » نفسه ؟ أسمر البشرة ، أنيق المظهر ، متدفق الحيوية ، وذو شخصية مستميتة في اندفاعها ؟

اليــوت : يا لذلك الوغد الزنيم ! (بعصبية بادية ، يبدأ مجاراة محدثه ليــدرأ عن نفسه مغبة المخالفة) الحق ، أيها الشرطي . . .

نيــد : أمكث حيث أنت . أنت تحت الاعتقال .

اليــوت : أي اعتقال ! أيها الرجل الطيب ، والله لأطالبن بتسجيل محضر ضدك .

نيــد : أتمثل دور الرجل الشريف ، اذن ؟ هذا نفس ما كان يفعله « جاردينر » كم مرة قد سلبت راعي الأغنام اليتيم . . حصانه الوحيد ؟

(تسمع من خارج المسرح أصوات مختلطة تدل على الصدام والمهاترة ، يركض « اليوت » متجها نحو الباب الخلفي)

نيــد : (يهدد « اليوت » بالمسدس) : ارفع يديك انني « كيللي » ، أيها الفأرة الحبلى البدينة ! ارفع يديك !

(يدخل في موكب و « زفة » ، من الباب الخلفى ، « ليفنج » و « تارلتن » و « بيرن » و « ماكين » .
يبدو مدير المصرف مستشيطا غيظاً وخارجا عن طبعه السليم ، لأنه قد جُرَّ جرّاً من الحمام، انه مؤتزر بمجرد منشفة حمام حول حقوه ، وهو يحمل سراويله بيده ، ويبدو عليه الغضب لكرامته وكأنه حصن قد انهدّ) .

نيـــد : ماهذا الذى احضرته معك يا « جو » ؟ أهو غـــول المستنقعات ، النصاب المحتال ؟

بـــيرن : . . انه رئيس حظيرة الديكة المختال .

تارلـــتن : (وقد احتدم غيظه) : تبا لكم يا قطيع الذئاب الأوغاد ، ألن تدعونى ألبس سراويلى ؟

(يحاول أن يلبس ، فيمنعه بيرن)

نيـــد : وماذا بعد ؟ ليست هذه هى الطريقة الحفية التى تعامل بها الضيوف المحترمين . من أى بحر اصطدت هـــذه السمكة ، يا « جو » ؟

بـــيرن : ان السيد « تارلتن » ، مدير المصرف ، في مدينـــة « جيريلديرى » ، كان ينعم براحته ، في حمامه ، كما تفعل عروسة بحر عظيمة ، أسبغ الله عليها شـــعرا غزيرا .

نيـــد : أنا والله متعجب من أمرك ، ياسيد ، « تارلتن » . اذا كان من في مثل مركزك يركض متجولا في مثل حالتك التى أنت عليها ، فإلام يؤول أمر المصرف إذن ؟

تارلـــتن : افهم ما أقول لك ، لعنة الله عليك ، فان تكن أنت « نيد كيلى » فامنع كلبك عنى اذن ودعنى أرتـــد ملابسى .

بـــيرن : انى في نظر السيد أسمى مما نسبت اليه ، ولست الا من أسمى فصائل جياد « هيرفورد » الكريمة . وأنت مالك وللسراويل ، على أية حال ؟ انك تتدخل في أمور طبيعية لم تخلق من أجلك .

تارلـــتن : (وقد استعاد احساسه بالدعابة) : ان إدارة المصارف ليست نشاطا طبيعيا ، ولكنها بنفس الوقت نشاط قيم ، ولم تجر العادة على مزاولته مع التعرى .

نيـــد : الحقيقة ، انى أنا أفضل أن أموت وقدماى في حذائى . واذا كانت رغبتك أن يسطى على مصرفك وأنـــت ترتدي سراويلك ، فلا أجد لدى مـــانعا ، فلتكن مشيئتك اذن .

بـيرن : لا . لقد نبزنى بلقب « كلب » . فاتركه يبرد فترة أخرى من الزمن على حالته هذه .

اليـوت : ان هذا الموقف بالغ أقصى حدود الشناعـة ، يـا « تارلتن ». كان يجب أن تكون أكثر حذراً كيف تترك المصرف بدون من يسهر على أموره ؟

تارلـتن : ليس هذا من اختصاصك ، أيها الأهبل .

بـيرن : (مصوبا بندقيته نحو المدرس) : وهذا الجماد الناطق، من أين نبشت عليه ، أمن تحت نشافة المكتب . ؟

نيـد : يدعى أنه مدرس .

اليـوت : انني مدرس حقيقة لا دعوى . ولن تهدأوا من إزعاجي لكم حتى تتركونى أعود إلى مدرستى . وما أنا فيـه حاليا ، ليس لى فيه ناقة ولا جمل .

ليفنج : نعم ، دعوه ينصرف .

بـيرن : صه ، أيها « المحبرة » (مخاطبا اليوت) أنت المدرس، اذن . لقد كان من سوء حظى أن التحقت بالمدرسة ذات يوم في الصغر . فوالله لقد تمنيت لو وقع المدرس تحت رحمتى حينئذ في الموقف الذى تقفه أنت الآن بين يدى . أجب عن السؤال : ماعدد سكان جزيرة مدغشقر ؟ . . ترى انك لا تعرف .

نيـــد : لكثرة إعلافه من الطباشير أصبح ذهنه مثقلا بالبلادة .

بـــيرن : أعتقد أنه يتحتم علينا أن نجرى لهذا المـــدرس فحصا نعرف فيه قدرته التعليمية .

اليـــوت : انك تتصرف كالصبية .

بـــيرن : (يخطف عصا « اليوت » من يده) : حسنا ، اذن سأتصرف الآن كالمدرس . والآن ، ما الذى تفعله هنا بعد أن تركت المدرسة بدون إذن ؟ هل أحضرت كتاباً من ولى أمرك ؟ . . (يلوح بالعصا في وجه « اليوت »). أجب عن سؤالى .

(ينخس « اليوت » في كرشه) .

اليـــوت : امتنع عنى أيها المشاغب الايرلندى !

نيـــد : دعه وشأنه ، يا « جو » .

بـــيرن : مرحبا اذن ، ولكننى لا أداعبه بسارية سفينة على كل حال ، وإنما بعصاه هو .

(يسرى عن « اليوت » فيديـــر قفاه مشيحا عـــن « بيرن » . الا أن « بيرن » يقرع قفاه بالعصا . فيثور « اليوت » ويرفع قبضة كفه استعدادا للملاكمة ، ولكن « بيرن » يهدده بالبندقية التى يقبض عليهـــا بيسراه) .

ماكسين : (وقد أعجبه الموقف) : اقرع !

ليفنج : انك ترى بأم عينيك ، ياسيد « تارلتن » ، ما عانيت ولا يمكن أن تلقى التبعة على كاهلى لأننى لم أستطع مواجهة الموقف . انهم يخرجون عن الجادة ويتعمدون الاساءة .

بيرن : (منذرا بالويل والثبور) : إننى لا أطيقك ، أيها « المحبرة » .

تارلتن : كفى سخفا يا « كيللى » ، ان كل أمر إلى حدود . ألا يكفى أن تسطوا وتسرقوا دون أن تتعمدوا أيضا قلب عربة التفاح كلها رأسا على عقب .

نيد : والله لأطلقن عليه النار ، فما قيمته بأكثر من قيمة دبوسين اثنين . .

تارلتن : ولكن لماذا . . . ؟ هل آذاكم إيذاء يستحق معه كل هذه النقمة ؟

نيد : انه خصم لنا ، أعنى خادمك هذا المسمى « ليفنج » . بل اننى سأطلق النار على كليهما . (مشيرا إلى « اليوت » أيضا) .

اليوت : (وقد انهارت أعصابه) : والله لن تجرؤ على ذلك .

أولا : لأنه ليس لديك ما يبرر قتلى ، وثانيا : لأننى لست ضدكم .

بـيرن : والله انك تستحق القرع بالعصا مرة أخرى .
(لايرد « اليوت »)

تارلـتن : وما موقفى أنا ؟ هل تعتبرونني ضدكم ؟

بـيرن : انك أردأ الجميع ، لأنك تربت على ظهرنا باحدى كفيك وتشير الى البوليس ليلقى القبض علينا بالأخرى.

نيـد : انى أرحب بالعداء المنصف حينما يكون وجها لوجه ولكننى لا أطيق دناءة الطعن من الخلف .

تارلـتن : لوأننى كنت مرتديا ملابسى وكانت بيدى بندقية ، لكنت أريتكم شيئا مما تستحقون أن تروا .

بـيرن : انك الآن ترينا كثيرا من بشاعة جسمك . وان فكرة تخامرنى أن أخرج بك كما أنت فى جولة أعرضك بها على أهل البلدة .

تارلـتن : ما أسخفك !

نيـد : هيا ، هات مفتاح الخزانة .
(يخرج « تارلتن » المفتاح من حبيب سرواله ويسلمه إلى « نيد »)

نيــد : (مسلما المفتاح إلى « ليفنج ») : أيها « المحبرة » هلا شرفتنا بخدمتك لنا ؟

ليفنــج : لن أفعل ما تأمرنى به ، ولو قطعت يدى .

نيــد : (صارخا) : ثب من فوق الحاجز وافتح الخزانة الملعونة .

(يرضخ « ليفنج » على مضض) أين الكيس ، يا « جو » ؟

بــيرن : عند الباب .

(يمضى إلى الباب الخلفى ويعود بالغرارة ، ثم يلحق « بليفنج » عند الخزانة . يسخره للامساك بالغرارة ، ويكدس الذهب والأوراق المالية فيها) .

تارلــتن : (يبلغ غيظه الذروة عندما يلقى النهب قد بدأ فعلا) اللهم العنها مهنة ، أن يكون المرء مديرا لمصرف .

بــيرن : اللهم العنه رجلا يفقد سراويله .

تارلــتن : لعنة الله عليك يا « كيلى » ألا توقف عملية النهب هذه ! ولكن بحق الشيطان ، أين شرطة هذه المدينة ؟ أنا لا أطيق هذا الوضع ولن أستطيع اصطبارا عليه .

نيــد : لكنكم تنطفئ ناركم ويبطل سحركم معشر المصرفين ،

ولا سيما عندما تتجردون ثيابكم ، وتتلفتون حولكم
فاذا الشرطة غائبة عن حمايتكم .

تارلــتن : لابد أن يأتى اليوم الذى أراك فيه مشنوقا « يا كيللى » .

نيــد : أيها العارى عن القانون تلقيه دثارا حول جسمك ،
مثلما في الغاب منه قد عرينـــا ، هكذا أنت بلا لأمة حرب ، نحن قوم تلاقينا بندقيات الأعادى ، فنلاقيها بعزم لا يلين .
هل ترى فيما نعانى ما يسرك ؟

تارلــتن : لك أن تبقى على زهوك جعجع كيفما شئت
فلا طحن موأت
غير ما ترضى به أكلب ذل
تستلذ الرفس وعدا كالوعيد .
وأنا ، من أنت حتى تستبينى بفخارك ؟
أترى أطمع أن أحظى بمنك ؟
لى من القوة ما يكفى وفي إمرة كفى ،
وسآتى بك سحباً ، هذه الفينة ، بل ذا اليوم ،
فى هذى المدينة .

نيـــد : ذى المدينة

هى في عريك ، في إمرة كفى مستكينة
وبوسعى قبض كفى
وإذا أنت ومن في ذى المدينة
والمدينة
كالطحينة .
لست تدرى أين « ديفاين » الذى يحمى المدينة . . .
هو في زنزانة « القسم » الأمينة .
لست تدرى أين « رتشادز » خدينه
في ظلال البندقيات المكينة
تحت « دان كيللى » وفي كف الفتى النار الكمينة ،
عندنا في الحانة الجارة فانعم بالسكينة .
إعو ما شئت فان أنجدك البدر المطل
والنجيمات الظنينة
فستلقى من رجال الأمن من يحميك أو يحمى المدينة .

تارلـــتن : (مسلما ، بما ليس منه بد) : لقد بلغتم منتهى مأمولكم ،

أليس كذلك . أيها اللصوص الجبليون المنحدرون علينا مما وراء الحدود ؟

نيـــد : (مستجيبا بعجب لنبرة الاعجاب) :

مدنا نطاق ما نملك من أرضٍ ،

فهذى أرضكم من ملك كيلــلى .

أنتم تدرون معنى العيش في أرضٍ نقيم بها خلف الحدود ونأتى اليكم منها :

من « جريتا » و « بنللا »،ومن «بتشورت» في شم الجبال

فيا للمدن فى أرض حـــــزون

تدين لمن يجل من الرجـــال

حزون أو صخور قاسيــــات

وأشجار الصموغ على الأعالى

وفي تلكم المدن ،

مدن الجبال

تشب النساء ، يشب الرجال

كعهدكم بنبات الجبال . . .

النبت والبشر
عجاف صلاب باسلون تطلعــوا
يشقون وعر الطرق دوما إلى العلا
أرضنا ليست – كأرضكــم –
سهولا جففتها الشمس والعاصف
سهولا تدبون على وجهها
دبيب الذباب على جلد ثور
لذا سميت أرضنا أرض « كيالى » بحق
تمتطى منها جياد الخيل عبر الحدود ،
وخلف الحدود
إذا احتفظ الراعى بأبقـــاره
فذاك لأنا لانريد انتهابهـــا
وصاحب الخيل ان ظلت أزمتهـــا
بكفه . . . فهى خيل لاتليق بنا
سل – ان تشأ – قناصة الأمن عنا
لماذا تخب بهم خيلهـــــم
بديلا من السير بالهينـــة . . .
خلال البراحات التى قصت حشائشها ؟

لماذا يركضون الخيلَ ركضاً

بديل المهل والخـــــب ؟

سل القناصة الأبطـــال

لماذا ينفرون الخيل إن سمعــوا :

طقطقة لانكسار غصن . . .

هوى صخيرة حطت مع الريح من عل . . .

زعيق عصفورة في الجو طائرة ؟

لماذا تنفرون الخيل . . .

حيث كثافة الأشجار والوحشة في الغاب ؟

إذا عرفـــت الســبيا

ستبطلـون العجبـــا :

لأن الأرض أرضى . . ملك كيللى »

يأتون لاقتناصنـــا

وينفـــرون كالشـــرر

إذا رأوا قصاصـــة

بارزة من الشجـــر

تبدو كمن يرقبهم
عن كثب على حذر
فنأمة الصوت ورجع الصدى
تليذهم اذ يذعرون للفرار .
سل القناصة والأبطال
لماذا أبغضوا الأسمار . . .
حول النار في الليل
وكيف يروقهم لحنا
زعيق « البنسم » في الظلمة
كذا أن يعوى « الدنجو » . . .
أو يتزايل الجلمود في الجدول
فيوهمهم تزايله
بصوت الخيل في الإقبال والكر ؟
ملكنا أرض « نجم النبت » في الغاب
ملكنا المدن . . .
حيث يجول من تترصد الدولة ، كى تودعه السجن

يجول هناك في ضوء النهار الصحو
أو يشرب أنخابا . . .
من الخمرة ذات القوة القصوى التي شعشعها الماء ؟؟؟
ويدفع قيمة الخمرة لا يبخس خمارا
ملكنا المدن
حيث يجوس من تترصد الدولة
يقابل كل من يبغي بلا خوف ولا وجل . . .
تحيط به من الانصار كوكبة
تحذره من « القناص » أن يأسره غيلة .
أيعجبكم اذن يامصرفيون . . .
. . . تكونوا مصرفيين بما نملك من ارض ؟
ولكن هذه الأرض لنا ملك ، فلا بأس من العرض
فأنتم مصرفيونا هنا أيضا . . .
ولابد من تشريفكم ثانية
لأننا نملك « فكتورية » . . .
وقد أتينا قصدنا واضح نبغي من الأرض « نيو ساوث ويلز » .

تارلتن : يبدو لى أن في الأمر سرا ومتعة أنتقضوا أعماركم في ترويع الشرطة تقتضونهم تارة ،ويقتنصونكم أخرى

ليفنسج : ما الخير الذى تجنونه من وراء ذلك ؟

بيرن : (وهو يرفع غرارة النقود إلى سطح الحاجز) : انظر ماذا ترى

هذه غرارة كاملة ملأى بالخير مما نجنيه .

نيد : ان مغامرتنا تدخل بعض المتعة والسرور إلى قلوبنا .

بيرن : وحياة المغامرة تجنبنا أن نصبح مجرد أشياء مثلك ، أيها « المحبرة » .

نيد : أرنى بعضا من هذه الأوراق ، يا « جو » . لعل في بعضها ما يمكن أن نجنى من ورائه دانقا حلالا .

ليفنسج : انها أوراق لا قيمة لها .

تارلتن : الا لعنة الله عليكم كيف تسمح لكم أنفسكم أن تختلسوا النظر إلى أوراق تتعلق بدخائل أناس غيركم ؟

بيرن : يكفى أننا نترفع أن نختلس النظر إلى دخائلك أنت ، ياسيد « تارلتن » فأبشر بالستر كما أنت في منشفة الحمام .

اليوت : ياللحقارة والدناءة !

بـيرن : هل تصفنى بالحقارة والدناءة . أيها الكبش العجوز ؟

نيـد : (يفحص الوثائق) : «ليفنج» . . . «ليفنج» . . . أين سبق لى سماع هذا الاسم ؟

بـيرن : انه اسم « المحبرة الناطقة » الشهير ، فخر مدينـة » جيريلديرى » الذى أثر عنه أنه صفر مرة واحـدة في حياته وكان ذلك في الحمام ، منذ ثلاثين عامـا ، أما فيما دون ذلك فان صفحة حياته بيضاء من غير سوء .

ليفنـج : أنت لست بحاجة إلى تلك الوثيقة . ولن تفيدك شيئا على الإطلاق ، ياسيد « كيللى » .

نيـد : فما الذى يهمك اذن فيما يتعلق بها ؟

بـيرن : ما الورقة التى تتحدثان عنها ؟

نيـد : يبدو أنها « بوليصة » تأمينه .

ليفنـج : انها فعلا « بوليصة » تأمينى . ولن تفيد أحدا شيئاً .

نيـد : يخامرنى خاطر أن أحرقها .

ليفنـج : لا تفعل ذلك . . .

بـيرن : احرقها ، يانيد .

تارلـتن : (متخابثا) : يبدو لى أنهم سيحرقونها ، يا « ليفنج »

ماكـين : انها لا تستحق كل هذا العناء .

نيـد : (يدع الوثيقة في جيبه) : على كل حال ، يبدو لى أن احراقها واجب .

اليـوت : انها مكايدة مجردة ليس فيها ذرة من احترام الشعور .

بـيرن : والله لأذيقنك نوعا من المكايدة التى لا تحترم الشعور بضربك على اليتيك ان لم تتحفك في أقوالك .

ليفنج : أرجوك كل الرجاء لا تحرقها .

نيـد : والله لأحرقنها ، يا « ليفنج » .

ليفنـج : انت تحاول استثارتى ، وأنا قد قررت ألا أغضب . فليس هنالك ما يدفعك لتكليفى من المتاعب والهموم ما لا تجنى نفعا من ورائه . ولقد تحقق لى أنك لـن تحرقها .

بـيرن : بحقى عليك يا « نيد » أحرقها . أحرق ما يملك تحرق الرجل نفسه . ولسوف يتلوى في الشعلة مـع تلوى الورقة . ما الذى يمنع أن نحرقه ؟ انه وثيقة شرعيـة مجردة ، وليس بإنسان .

نيـد : سنحرق الأوراق كلها ، كدسها معا وأحرقها .

ليفنج : لن تفعل ذلك أبداً . .

نيـــد : أخرج إلى الساحة وانظر بنفسك .

تارلـــتن : حسنا . . . أحرقوا الأوراق ، أحرقوا المـــصرف ، لعنة الله عليكم . بل احـــرقوا حتى البلدة نفسها ، وارفعوا عنا إصركم وبلاءكم . . .

بـــيرن : كم تحدثنى نفسى أن أدني عودا مشتعلا من الكبريت لتقبيل شاربيك المتهدلين .

ليفنـــج : أتوسل اليك ، ياسيد « كيللى » هب لى بـــوليستى فانك ان أحرقتها أربكت مصالح أسرتي .

نيـــد : ما الذى يهمنى في ذلك ؟

ليفنـــج : أتوسل اليك ان تحتكم لسلطان العقل ، ياسيدى .

بـــيرن : غداً ، في أحد الأيام ، يا محبرة الخسة ،
عند تسلم الراتب ، آتيك .
سأضغط كل قامتك وألويك .
كما قد يفعل النجار باللولب ،
فيبلغه نهايته من التعب .
ساغزو بيتك الأعزل أنهبه . . .
سأسرق ساعة « الكوكو » التى خلفها جدك توريثا ،
وأحرق ـــ فيه ـــ نعليك

وأخطف « البم » الصور ، أبعثر كل ما فيه من الذكرى ،
وأرفس تربة البستان منتهكا لحرمته ؛
وأركض بعد ذات الصون زوجتكم
وألجئها إلى السطح
لتزعق تطلب النجدة كالفرخة .

ليفنج : لسوف يسوءني أن تحرقها ، ياسيد « كيللى » . أنا لست ضدكم ، يبدو أنكم تعتقدون أنني عدو لكم . إن الواجب يفرض عليّ ولاشك أن أحمى مصالح المصرف .

نيد : هذا الغبي الصغير السن ، « ماكين » كاد أن يلاقي حتفه رميا بالرصاص من أجل المصرف . أما أنت فما حيلتك الا الصراخ واللغو من أجل نفسك .

ليفنج : هيا ، بحياتك طمئني ، لن تحرق الأوراق ، على الأقل لن تحرق « بوليصتي » ، أليس كذلك ؟

بيرن : لا تعطه « البوليصة » ، يا « نيد » .

نيد : (يلقى « بالبوليصة » إلى « ليفنج ») :خذ هذه الترهة ، كم تجيش نفسي بالغثيان من مرآك .

ليفنج : كثر الله خيرك ، ياسيد « كيللى » . لقد كانت نفسى تحدثنى أنك لن تحرقها .

نيد : لقد كان بودى احراقها بدون أدنى تردد ، يا أخى ، ولكننى آثرت اجتناب مضايقتك لى .

بيرن : حسنا ، هل نخرج اذن ؟ لا أريد أن نترك « دان » و « ستيف » بمفردهما مدة أطول مما قد مضى من الوقت .

نيد : لا خوف عليهما .

بيرن : لاشك أنهما مثالان للصلابة والخشونة ، ولكنهما مع ذلك ليسا إلا صبيين . ولا ننتظر منهما أن يُخضعا كل المدينة إلى الأبد .

نيد : تأكد أنهما سيبدآن باطلاق النار على « ريتشاردز » لو حصل أدنى مكروه ، فاطمئن . . . اننى مازلت أود أن أقوم بجولة ختامية لأنتزع كل ما يمكن وجوده من مال غير الذى كان فى المصرف .

تارلتن : لقد نفضتمونا نفضا ولم تبقوا لنا شيئا .

نيد : على رأيك . . .

بيرن : نستطيع العودة فيما بعد . أنا لا أود أن يبقى ذانكم الصبيان بمفرديهما مدة أطول مما سبق .

نيـــد : هما بالحقيقة غران على نيتهما ، الا أن « ريتشاردز » أكثر غرارة وسذاجة منهما . واذا حل بهما مكروه ، لا قدر الله ، فلن أتوانى عن مناصرة فردين من عصبتي على أي شرطي من القناصة في أي يوم من الأيام .

تارلـــتن : ألا تكون مفاجأة سارة لك، لو أن « ريتشاردز » قلب موائد الحان واعتقل الصبيين ؟

نيـــد : « أبشر » فلن تأخذنا غـــرة

وعَوْدنا ، لاشك ، عَود حميد

او كنت تدري كُنه إعدادنا ...

أقلعت عن هذا الخيال البليد

فمنذ يومين أتينا هنـــا . . .

في ليلة السبت ، بحذر شديـد

وقبل ذا سالت متون الجبال

بنا وخضنا «المرى» في الظهر

وادخلتنا الخيل « جيريلدري »

منتصف الليل « إذا يسرى »

صدنا رجال العسس الساهرين

كصيدنا للأرنب الغـــر .

وكيف كان الأمر ياصاحبي ؟

خدعنا الشرطة الأغـــــرار :

عند وصولنـــا المركـــز . .

هتفنا نطلـــب النجـــدة :

« واغوثاه ! واغوثاه » ! !

ياللشرطة الأبطال للمقتول في الحان !

فهب « دفاين » من نومه . . . هب كذاك « رتشاردز »

ــ الحاميان حياض « جيريلديرى » .

وياالحما نبيلين

وثوبا تركا المرقد وانطلقا إلى الخارج سهمين

ونحن هناك في الظلمة

وقوفا نستحث الشرطة النجدة

وقد ركضا يسبان ، قد انشغلا بتزرير السراويل

وقد كانا يصيحان :

أتيناكم ! أتيناكم ! فأين الحادث المشؤوم بالذات ؟

وعند الوهلة الأولى . . . لم نقو من الضحك

على أمرهما ان يرفعا الأيدى . . .

ولكنا كتمنا الضحك الطاغي . . . تمالكنا . . وأتممنا اعتقالهما .

وتم لنا احتجازهما وزجُّهما معا في قلب زنزانة

غيابة مركز الشرطة .

ونحن . . . في عقر دار الذادة الشرطة

نعسنا ملء أعيننا بنوم الأمن والغبطة

وكنا — طرداء الشرع والقانون — أربعة من العصبة

لأول مرة بتنا وعين الأمن ترعانا

تهدهدنا ذراعان من القانون والشرع .

واستعرنا البزة الشرطة صبح الأحد

وارتديناها وجلنا بين ارجاء المدينة . . مثلما نهوى . .

فنحن شرطة جاءت جديدة

نفْعُنا لابد منه

ان تجز عصبة « كيللى » فجأة حد الولاية .

وقد وافقنا « رتشاردز » . . . يرينا مناظر البلد

ويرشدنا إلى المصرف

وما يهوى يراه الزائر الطُّلَعة

ملامح أو محلات لها شأن بذا البلد .

بدا « رتشاردز » محتفياً بأضيافه ، لا أكثر

وكانت بندقية ضيفه فاغرة فاها . . .

موجهة إلى ظهره . . .

تركنا « دفاين » في زنزانة المركز . . . ليس « دفاين »
مشكلة . . .

وزوجته هي المشكل . . .

فتغدو تنسق الأزهار في البيعة . . .

وهل تغدو إلى البيعة . . . لتنسيق الأزاهير . . .

وفي منزلها محتلة جاءوا من الادغال . . . ؟

فان منعت يثور الشك في الجيران . . .

وان ذهبت فلا تأمن ثرثرة من امرأة – كما تعلم .

فقد تأمرها نفسها بالسوء ،

فتذكر من قبيل الكلم العارض . . .

أن » مغيرة الادغال » قد هبطت من « بنلا » وقـد
حلت بمنزلها .

ولكن بعد لأى تـَمّ أن تذهب
وان تثنى عن الثرثرة الخطرة
وتم بأن يصاحبها أخونا « جو » . . .
تصور « جو » منطلقاً إلى البيعة
بصحبة زوجة الشرطى . . . . يساعدها بتنسيق الأزاهير .

تارلـتن : أرجو أن تكون قد اكتسبت هداية من دخول الكنيسة .

بـيرن : قرّ قرارى أن أمتنع عن نهب مصرفك ! . .

نيـد : كل ما يود « جو » فعله الآن هو أن يقطف باقة من الزهور الجميلة يقدمها هدية إلى رجال الشرطة فـى الزنزانة لعلها تضفى بعض المسرة والجمال عـلى حياتهم .

بـيرن : يعلم الله أنهم بحاجة ماسة للمسرة والجمال .

ماكـين : أما زال « دفاين » في محبسه . ؟

نيـد : هو محبوس أكيد ، ليس في ذا الأمر شك .

أما « البنى آدم » الثانى ، فإنه في عنق » دان »
وهو مازال يتولى أمره في الحان .

بـــيرن : آن الاوان أن نخرج ، هيا بنا .

نيـــد : نعم ، فلنخرج الآن .

اليـــوت : اذا كان باب الهذر السخيف هذا قد أقفل فانى أرجو أن تسمحوا لى بالعودة إلى المدرسة .

نيـــد : ان فرط هيامنا بك يحتم علينا أن نحرص على بقائك معنا. صاحبنا إلى الحان ، وقاسمنا كؤوس الأنس . . كذا تود عصابة « كيللى » أن تكونوا جميعا معها ، وطبعا سوف تأتون .

تارلـــتن : استمع إلى « يا كيللى » . أنا لا أستطيع ارتياد الحانة على حالتى هذه . ففى الحانة ساقية يجب مراعاتها .

بـــيرن : يالك من كلب عجوز !

نيـــد : لن تقل قيمة في نظرها ، بل انها ستزداد غبطة برؤيتك كما أنت عليه .

تارلـــتن : لا ، أبداً . . . استمع إلى ، عليك اللعنة يا « كيللى » ! أتريدنى أن أبدو عجوزا متبذلا لا يبالى ؟ أعنى أن أدخل الحانة ، على فتاة وقت الغذاء ، وفي يوم الاثنين أيضا ،

وأنا « يارني كما خلقتني » . . هذا غير معقـــول . أضف إلى ما سبق أن فتاة الحان تعرفني . ولا أود أن أكون موضع سخريتها .

نـــيـد : لقد دخلت الساقية قلب « جو » وحسنت في عينه . وهو يحب الساقيات أكثر من حبه للجعة نفسها . فأحسن التصرف واحذر والا فقد أعذر من أنذر .

بـــيرن : وكيف يتأتى له حسن التصرف أو الحذر مادام مجردا من سراويله ؟ فمن الخير أن تأذن له أن يلبس .

نيـــد : حسنا جدا اذن . والله لقد كنت ستبدو منظرا عجبا ، وأنت تمشي في الزحـــام يستعرضك الناس . ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولا . . . هيا ارتد ملابسك .

تارلـــتن : (وقد بدأ يرتدي ملابسه) : أشكرك يا « كيللي » . . . فما أسلم ذوقك وأحكم تصرفك .

نيـــد : لم آذن لك باللبس رأفة بك ، بل شفقة على الساقية من بشاعة المنظر . . . هيا بنا . . . حرك ساقيك . . . وابدأ السير . . .

ليفنـــج : ياسيد « كيللي » أرجو ألا يكون لديك مانع لاعفائي من الذهاب معكم إلى الحان. . . انني أشعر بأنني لست بصحة جيدة .

بـيرن : « الروم » هو ما تحتاج إليه . . أيها « المحبرة » الطافحة الفوارة .

ليفنسج : ليتك تأذن لى بعدم المجيء . . اذا سمحت . .

نيـد : هيا انطلق واشرب معى كأسا ، والا فجّرت مخّك وبعثّرته بددا . . ألم أقل لك أن تقلع عن جدلك اللعين معى ؟

بـيرن : هيا بنا . . . يأيها . . « المحبرة » . . . هيا بنا . . .

يتنزل الستار . . .



الفصل الأول

المنظر الثاني



(في حارة الفندق الملكي في (جيريلدري) . يمتد حاجز الحان من الحائط المكشوف في اليسار ماراً بوسط المسرح ، ويلتف ناحية الحائط الخلفى فيتيح زاوية براحا في ناحية اليمين .

(كوكس) صاحب الحان ، ونديمة شقراء يقفان خلف حاجز الحان .

(دان كيللى) و (ستيف هارت) وهما يرتديان بذلتى الشرطة عند طرف الحانة الأيمن .

(الكونتستابل رتشاردز » وهو يرتدى ملابس عادية يجلس بمفرده مواجها وسط المسرح وتبدو عليه علائم الشقاء .

رهائن عصابة كيللى عددهم نصف (دستة) وقد يقلون أو يزيدون ، يعمهم المرح في أسرهم ويتمايزون

في المنزلة والمعدن ، من متسكع متبطل يجرجر رجليه بين الحانات الشعبية ، إلى راعى الأغنام الكبير المثرى الذى يستأجر مراعى التاج « بـــريت »، وقد حشدوا معا في طرف الحانة الأيسر » دان » شاب فتاك ، مرح في طبعه ، طائش في تصرفاته ، مبادر في حركاته ، حليق الوجه ماعدا العارضين وله شارب صغير .

(هارت) بنيته أصغر وأنحف من بنية « دان » — وهو واقع تحت سيطرة « كيللى » الأصغر ، كما يقع (بيرن) تحت سيطرة « كيللى » الأكبر — ملامحه فتية وسيمة مما قد يسمه بميسم الميوعة لو لم يدارها بخشونة مبالغ فيها افتعالاً ، وبفظاظة واعتداد طبيعيين .

تماط الستارة عن بلبلة حوارية بين الأسرى ، ويبدو القلق الواضح على « دان » و « هارت » لتكرارهما الالتفاتات إلى ناحية الباب الواقع خلفهم ، وقد عيل صبرهم في انتظار عودة « نيد » و « بريت » يميل بجنبه نحو « رتشاردز »)

هارت : أعتقد أن سرقة مصرف واحد لا تستغرق يوما بكامله . لقد حان الوقت لعودتهم .

دان : انا متأكد بأنهم لم يقعوا في ورطة ، والاّ لكانت طلقات الرصاص قد طرقت مســامعنا .

هــارت : إنني أراهن أن ما يعوقهم أحد أمرين : اما يكون « نيد » مشغولاً بالقاء خطبة ، واما أن يكون (جو) متلهياً بشخص جبان مسكين يداعبه بألاعيبه ومزاحه الثقيل . ولا يحق لهما أن يعبثا في أثناء قيامنا بمهمة .

دان : مازال النهار كله أمامنا . فلم العجلة

كوكــس : (أصلع ، أقنى الأنف ، مدور المنكبين ، ضئيل البنية ، يضع عوينة فرداً على احدى عينيه ، يدخن لفافة تبغ غليظة ، وتنم تصرفاتــه عن يساره ، وحسن علاقته بالناس فيما يخص مهنته ، وحماسته الشديدة) . ألا يساوركم القلق أن تأتي الشرطة نجدة من ناحية او أخــــرى ؟

هــارت : لقد عطلنا مكتب البريد فلن يستطيع أحد أن يبعث أية برقيات هذا اليوم . وما ان يمتطي أحد جواده للنجدة حتى نكون قد انطلقنا شوطاً بعيدا من هنا .

كوكــس : أهكذا تنوون ان تفارقونا بسرعة ؟ كم شرفتمونا بحلولكم الخفي علينا .

دان : إنني أراهنك اننا قد شرفناكم فعلا . متى كانت آخر مرة أهبت فيها بالشاربين ان يتعاطوا الخمرة مجانا في حانتك ؟

المتسكع : لم يعلم عنه قط انه دعا أحداً منذ عشرين عاما.

دان : مازال الوقت متسعاً لبقائنا معكم . إملأ لهم الكؤوس كرة أخرى يا « كوكس » .

كوكس : سبحان الله ، ما اعظم هذا الصباح !

المتسكع : سبحان من جعلك تهتف ، أيها الساقي العجوز !

دان : لا تنس أن تملأ كأس « الكونستابل رتشاردز » .

كوكس : قدح صغير ، أيها « الكونستابل » ؟

رتشاردز : (ايرلندى ، ضخم البنية ، متينها ، وحتى هذه اللحظة ، حسن العشرة)

آه ، لا أريده أن يكون قدحا في هذا الصغر الذى تنويه ، يا « كوكس » فلن يتكرر اليوم الذى تفرض فيه على اجازة . ويرتدى بذلتي الرسمية مغير الأدغال. ويحل نفسه محلى ، ويزودنى بالخمرة بدون مقابل . ما أكثر ما مررت بحانتك الشعبية هذه ، وبى ظمأ لا يطفئه أن أعب ماء نهر (الميورى) بما فيه من وغيره ، ولعنة الله على إن تكن نفسى سولت لى

مذاق قطرة واحدة ، وحمداً للواجب على تلك العصمة

بريـــت : نعم ، يا « رتشاردز » انقع بالخمرة همومك واجلها ، ما دامت الفرصة سانحة ، انك في خير حال هنا اذ تأمر لك عصابة « كيللى » بالشراب ، وإلا لكنت الآن تتصبب عرقا مع رجال شرطتك الموقوفين في الزنزانة .

دان : ياصاحب الحان ، اسق السيد « بريت » كأساً .

بريـــت : أريد أن أشار بلك ياسيد « كيللى » .

دان : ولم لا ؟ أريد أن أشاربك أنا أيضا .

(يصب « الروم » « لهارت » ولنفسه من زجاجة بجانبه على الحاجز)

هـــارت : يا « كوكس » انك تبيع عفنا .
(يكب محتويات القدح إلى القاع)

كوكـــس : يؤسفني أن الشراب لم يرقك ، سآتيك بزجاجة غيرها.

المتســكع : هب لى شرابى أولا.لا تحمل هما من ناحية آل « كيللى» انهم قادرون على أن يشربوا بالمجان في أى يوم يشاؤون.

دان : انت محق في هذا ، أيها الصديق أعطه ما يشرب يا « كوكس » .

المتســكع : يتناقل الناس رواية عن « كوكس » أنه منذ زمن بعيد أمر لأحد الناس ذات مرة بكأس من الخمر ، وذلك لأن خبالا انتابه فلم يدر ما كان يصنع ، ولكنــه سرعان ما أحس كأن دلواً من الماء قد انهالت عليه وهو يصب كأسا واحدة مجانا . وقد أفاق من خباله كالملدوغ واثباً . ومنذ ذلك الحين لم يسمع عنه أنــه أمر لاحد بكأس واحدة على حسابه .

هــارت : (متحدثا إلى الساقية) : اقتربى منى ، يا « ذات الرأس النحاس » صبي لى الكأس ، وذوقيه عنى ، وسأعرف ان كان أشهى مذاقا بعدك .

الســاقية : أنا لا استجيب لمن يدعونى « ذات الرأس النحاس » .

هــارت : اقتربى منى ، اذن ، يا « ذات الأساس النحاس » ، وصبي لى الكأس أيضا .

الســاقية : انك « فائق ورائق » ، ألست كذلك ؟

دان : كالعشب المجزوز حديثا .

هــارت : (يحاول أن يميل الساقية بيديه عبر الحاجز) هبينا قبلة فوق الخمرة ، ألا تتكرمين ؟

دان : (يلحظ فجأة أن (بريت) قــد ظل يتقرب مــن « رتشاردز » أثناء اتكائه على الحاجز منحرفا ناحيته) .

عد إلى حيث كنت ، يا « بريت » . إلى أين تعتقد انك ذاهب ؟

بريت : كنت أريد أن أسر إلى « الكونستابل » بكلمة وديّة ليس غير .

دان : قلت لك : « عد » .

بريت : حسناً ، سأبقى حيث أنا .

دان : قلت « عد » .

بريت : هذا المكان هنا يعجبني .

هارت : عد ، يانغل ، وإلا والله لتمرقن رصاصة عبر جثتك . (يهدد راعى الأغنام المثرى بمسدسه) .

نعم هكذا . . ، عد إلى حيث يوجد الآخرون .

دان : (برزانة) : لا نريد ازعاجا .

بريت : ومن ذا الذى قال انني أريد ازعاجا ، ألا يحتمل أنني كنت أود أن أروى نكتة أو اسرد عبرة « للكونستابل رتشاردز » ؟ لكم يبدو وحيدا هنالك . أنكم معشر تثبون مصوبين بندقياتكم لو فركت ذبابة ساقيها في اتجاهكم .

دان : يحتمل أنك كنت تود أن تروى نكتة أو تسرد عبارة

ودية ، ويحتمل أكثر من ذلك أنك قلت في نفسك إن رجلين في ضخامتكما وقوتكما أنت والكونستابل ربما استطعتما مباغتتنا أو اللياذ بالفرار .

هـارت : والله لتكونن أنت الضحية الأولى لو سولت لك نفسك سوءاً .

رتشاردز : وبعد ، اذن ، ياسيد « بريت » يجب أن تدرك أن هؤلاء الفتيان لا يقصدون سوءا ، وأفضل أن تؤجل الحديث بيننا حتى يوم آخر .

دان : لو أنني في محلك لما تحدثت مع راعي غنم ثرى عن آل « كيللى » في أى حين .

رتشاردز : لم أقل إن المحادثة بيننا ستكون عن أمر له إمتاع موضوع عصابة « كيللى » الذائعة الصيت . بل قد يكون حول أمور مملة مطروقة مما يعنينا بصفة شخصية : فنبذة عن سرقة الخيل ، مثلا . وهذا مما لا يمت بصلة إلى آل « كيللى » . وقد أقضى معه فترة من النهار ، فأشير اشارات عابرة عن أشياء مثل السطو على المصارف ، أو اغتيال ثلاثة من خيرة الرجال ، وهم يؤدون واجبهم في مكان ما في سلسلة جبال « ماربى » وليس من كل ما أشرت اليه شيء ذو علاقة بآل « كيللى » . . فهل ترى أنني مخطىء فيما قلت ؟

دان : (يبـــدو متوتر الأعصـــاب) : انطلق وابحث عـــن « كيللى » ، يا « ستيف » . وسأقوم أنا بحراسة هؤلاء المغفلين .

(ما أن يتجه « هارت » نحو الباب حتى تسمع طرقة شديدة عليه تنذر بمفاجأة غير متوقعة « لـــدان » و « هارت » .

هـــارت : انتبه يا « دان » ! هناك قادم . . .

دان : (يجيب بصوت متمالك هازىء بالخطر) : حسنا ، حسنا سآتي . .

هـــارت : لا تذهب إلى الباب يا « دان » ، من تراه يطـــرق باب الخان ؟ ! . .

(يتكرر طرق الباب)

بـــريت : احذر لئلا تصاب بين عينيك ، يا « كيللى » .

هـــارت : (حينما يمرق « دان » كالسهم نحو الباب) : أيها الغبي .

(يفتح « دان » الباب بجذبة شديدة فيدخل « الأب جريبل » مكفهر الوجه ، خافض الرأس ، يـــذرع طريقه بخطى واثقة ، ثم يجيل الطرف فيما حوله وهو مدهوش) .

بـريت : « جريبل » ! سبحان الله ! . .

جـريبل : (يتقدم نحو ريتشاردز) : هل أصدق ما تراه عيني ، يا « كونستابل » هل يليق بك أن تتعاطى الخمرة ؟ (ثم يقع نظره على « دان » و « هارت ») بل كلكم تشربون ! . . لقد بلغني أن عصابة كيللي في المدينة .

دان : وماذا في الأمر إذا كانت في المدينة ؟ . . .

جـريبل : جئت أتدبر الأمر معكم فيما يجب أن نفعل . فقد يحدث اطلاق رصاص . الحقيقة أنني لم أكن أتوقع أن أجد الشرطة يتعاطون الخمرة في الحانة .

دان : كلنا معشر الشرطة سكارى منقوعون بالخمرة .

جـريبل : يبدو أنني لا أعرفك . هل كل ما بلغني اشاعة ، إذن؟ وان عصابة « كيللي » قد ذهبت ولم تعد في المدينة ؟ .

دان : لا لم ننصرف بعد .

صـوت : (ينطلق من بين الأسرى) : هذه هي عصابة « كيللي » . ياسيد « جريبل »

جـريبل : ماذا ! وأنت منهم يا « كونستابل رتشاردز » ؟ . .

بـريت : تفضل يا أب « جريبل » — أقدم لك « دان كيللي » ، و « ستيف هارت » .

دان : سرني لقاؤك ، ياسيد « جريبل » . هل تـــشر نخباً ؟ . .

جـــريبل : لا أستطيع تصديق ما أرى .

المتســـكع : على كل حال ستصدق ما ترى إذا شاهدت « كوكس » يهيب بالشاربين أن يشربوا ضيافة عليه . وسوف تؤمن بالمعجزات .

كوكـــس : (مفتعلا البشاشة) : نعم ، ياسيد « جريبل » ، الفندق مداهم ومحاصر .

جـــريبل : يبدو لى أنك متواطىء مع العصابة . ولذلك تحشوهم بأنخاب الكحول .

دان : ياله من شيطان منصف ! انه يزج بالخمرة زجاً شديدا في حناجرنا . . .

هـــارت : (ينتزع ساعة جريبل) : انظر ما قد نبت على جثـــة القسيس يا « دان » .

بـــريت : لا تؤذوا الأب ، أيها الفتيان .

هـــارت : سأستحوذ على الساعة ، أيها الكاهن(يجرد « جريبل » من الساعة ويعجل به دفعا ليحل محله بين الاسرى) هيا عجل باللحاق بمن هناك .

جـــريبل : (يتقدم نحو المحتجزين متمنعا محتجا) : كيف تجرؤ على دفعي هكذا ، أيها السيد ؟ أيها الثمل المجنون ؟

بـــريت : لقد صدقوك القول بأنهم عصابة « كيللى » . وما كان يجمل بك دس أنفك ، وتدخلك فيما يصنعون .

دان : أتنوى الاحتفاظ بساعته ، يا « ستيف » ؟

هـــارت : نعم ، والله العظيم ! وله أن يستردها مني في الجحيم .

رتشاردز : لن تضار يا « هارت » بإعادة الساعة إلى صاحبهـــا ، فانها لا تساوى شيئاً . . . إذا قيست بما سيغنمه رفاقك من المصرف .

هـــارت : خير لك أن تسد فاك .

بـــريت : لم لا تخلون سبيل الرجل ؟ انه غير ذى بال .

جـــريبل : تأكد أنني ذو بال وأهمية .

دان : لقد قدم علينا لكى يكرزنا بموعظة يلقيها علينا . واذا تركناه يذهب فلربما نوى أن يكرزنا بالنار — مـــن فوهة بندقية .

جـــريبل : بطلقة البندقية أو بجلدكم بالسوط ، تلك هى اللغـــة الوحيدة التى يمكن بوساطتها التفاهم معكم .

هـــارت : بنفس اللغة التى تقترحها نقدر أيضا إفهامك ، أيهـــا الكاهن .

رتشاردز : خلصنا ، الآن ، ياسيد « جريبل » . نصيحتى لك
بأن خير ما تفعله هو أن تدعو لهؤلاء الشبان ، فليسوا
من الضرر بالمكان الذى تتوهم ، بعد كل ما حدث .

دان : سماعاً ، ايها الكاهن
من الانصاف ، والبلدة في إمرة أيدينا
بأن نعفيك الآن
وان نتبادل الأمر .
فليس الوعظ هذا اليوم من شأنك .
عليك اليوم أن تصغى ،
ونحن نقوم بالوعظ .
فلن تطلب من جمع المصلين وتأمرهم ،
بالوقفة ، والركعة والخرجة
نحلك نحن من ذلك
وندعوك ، إلى قدح مشعشعة من الخمر ، إذا شئت .
ونحن هنا ندامى همنا الود .
ومن يهوى بأن يقضى ؟ والخمرة في الدن ،
وفي الخارج شمس تغمر الكون .

عليك الآن أن تشرب ، وأن تنتظر الأمرا
بل تصدع بالامر كما نصدره نحن .

رتشاردز : نعم ، هذا هو المخرج الوحيد ، ياسيد « جريبل » . فلنغتنم خير ما في حياة هذا اليوم ، « وان غدا لناظره قريب » .

المتسكع : ذق نهلة أيها الكاهن ، ذقها بلا مقابل ، على حساب صاحب الحان ، « غالونات ، فغالونات ، فغالونات » وكلها على حساب صاحب الحان الشحيح ، حتى لكأنك تستنزف دم حياته .

دان : دونكم شرابكم من كل صنف مقرقف ،
ضيافة مباحة على حساب المقصف
فآل « كيللى » ملكوا «جيريلديرى» فلنحتف .
اليوم ما أشبهه بالبارح المنصرف ،
فـ « نيد كيللى » اليوم « بن هال » القديم السلف ،
في يده « جيريلديرى » ،
مثل ما كانت بكف ذلكم « كانويندرى »

لكننا بفننا فقناه فيما ابتكرا

كم راوغ القناص كم حاوره وداورا

ونحن في « جيريلديرى »

اصطدنا رجال الأمن من غير مرا

فواحد أسيرنا

تضمه زنزانة

وآخر سميرنا

يسقى على حسابنا مشعشعات الحانه

بـــريت : ليس على حسابكم ، على حساب صاحب الخمارة .

دان : لابد أن القادة الكبار في « كانويندرا »

قد انطلى عليهم ما زوق « القناص » في إيهامه وصورا ،

لربما بدا كذا الأمر لمن يريد أن يرى :

اذ انبرى « القناص » من كل مكان في القرى :

كمن يجد باحثا بعد « مغير » أدبرا ،

مصعدا على الجبال حيث يلقى الصخر فيها أوعرا ،

مصوبا عبر السهول بلَّ بالرشح الثرى ،
يخوض كل جدول بعد « مغير » لا يرى ،
وتارة يقلب صخراً ثم أخرى حجرا ،
إن يلف كهفاً دس فيه الأنف دساً حذرا
كمن يخاف لدغة تصيبه وما درى .
وفي أثناء ما غاب (رجال الأمن) يصطادون أوهاما
تولى « هال » والسوقة أمر البيت في البلدة حكاما
وزوجات رجال الأمن ، في غيبتهم أمسين للمُلاّك خداما .
ثلاث ليال ... كملن بنفس العد — لم ينقصن — أياما

بـــريت : لقد قضوا فترة نعمة قريبة الشبه ، في « باثرست » أيضاً ، أو ليس كذلك ؟

جـــريبل : التندّر بمثل هذا الحديث معه يشجع حصول مثل تلك المساخر هنا ولا سيما اذا تماديت في المباسطة .

المتســكع : لم امتع بمثل هذا العبث والتسلية منذ عشرين عامـــا . اسقني يا « كوكس » لا تبخل علي .

رتشاردز : وأنا أريد أن أذوق قليلا بنفسي . ياله من عمل يثير الظمأ .

السـاقية : ما الذي يثير الظمأ ؟ اتكاؤك على حاجز المشرب ؟

رتشاردز : بل النظر اليك يظمئني .

السـاقية : وارحمتي لك ! خير لك من النظر إليَّ ، النظر إلى رجال شرطتك الذين في الزنزانة .

دان : أقبلت عصبة (بن هال) قبيل المغرب
خمسة تفعل أفعال البلاء المرعب
دهموا « باشرست » ، عاثوا ، فعل من لم يرهب
نقلتهم جامحات مارقات كمروق الشهُب
وهم مثل « القناغير » و « خيل الوحش » أو كالأجم الملتهب
أقبلوا كي يذهلوا التاجر بالخسر الذي لم يرقب
باقتحام المتجر الفياض بالخير ، غدا في السلب .
أبدلوا من غطة النائم أو من وصوصات الجندب
طلقات ملأت أمسية الصيف بجو شائم مصطخب
وفي « باثرست » مقينة لصنع البندقيات
تخطف ما بها المغوار من قصب وطلقات
والبندقية أدنى ما تمد يد اليه عند احتياج في الملمات

وشأنها غير منكور، وكم لعبت دوراً، وكم فرجت هماً وكربات

وفي المدينة حانوت تصاغ به بالجوهر الحر اصناف المصوغات

و « الغاب » فيه نساء ما برحن بما يزينهن ولُوعات حفيّات

وللمغيرين مثل الناس أفئدة تهوى النساء وتسترضى العشيقات

فينتقون الذى يحلو بأعينهم من المصاغ هدايا للحبيبات..

وبعد ذاك خلفوا كل الكلاب تنبح
ووثبوا إلى ظهور عاديات تضبــح
وأخترقوا « باثرست » برقاً في السماء يُلمح
كأنهم عند السرى نار الجحيم تقدح
وختموا التطواف في قرارهم أن يمزحوا
فيمموا وجوههم للغاب كى يروحوا
لكنهم ترجلوا على الطريق فترة لم يبرحوا

ففى الطريق حانة شعبية ماثلة وخمرها والقدح

يا « كوكس » كانت حانة مبذولة لأنسهم لو قرروا
أن يمرحوا

لكنهم قد قرروا أن يسلبوها خمرها ويستعدوا بعـــده
أن ينزحوا

وبعد أن تحققت رغبتهم ونجحوا

خبّت بهم جيادهم نحو الفريق تسبح

وقفلوا بالبندقيات وبالجوهر والحلى والمدام وهو ينفح

وخرجت في اثرهم مدينة تلعنهم تسبهم وتقدح

هذا حديث المازحين الأقدمين

« بن هال » ، « جلبرت » ، و » فين »

ملكوا على سبل البلاد مسيطرين

وأتوا من الأعمال ماشاءت لهم أهواؤهم لا يرهبون

واليوم يخلفهم » كيللى » بعصبة يقودها

يهوى على المدن مثل الجدول الفياض يجرفها

يمخضها منتزعا خيرها

ويعود بالعصبة أدراجها

متلاشيا مستقبلا غابها

ويارب يوم له في المـــدن صالح ، ولا سيما يـــوم
(بيورا) مجلجل ويوم زلزلها والقوم زلزالا

فليتكم تقوون صبرا معى أخبركم . . .

عن المصرف في « يورا »

لقد قمنا بـــ . . .

هـــارت : (يسمع وقع أقدام خارج المسرح) : ها هم أُولاء !
(تارلتن) — بعد أن ارتدى ملابسه — و « ليفنج » ، و « ماكين » و « اليوت » يدخلون ، وفي إثرهم « نيد » . وبينما يتكامل دخـــول هؤلاء ، يفتـــح » بيرن » الباب الذى في ظهر المسرح والمؤدى إلى الناحية التى يقف فيها « كوكس » خلف حاجز المشرب من الداخل ، يندفع واقفاً خلف فتاة الحانة ، ويأمرها معابثا أن ترفع يديها مستسلمة ، تشهق الفتاة ثم تضحك فيتبادلان القبلات . « نيد » يحمل على احد كتفيـــه زكيبة النقود . ويردف على ساعـــد يده الاخـــرى سرجا جديداً كان (لتارلتن) ويلقى بالعبأين كليهما بلا مبالاة على السطح فوق حاجز المشرب)

نيـــد : تفضلوا اشربوا يا معشر الفتية ، ضيوفاً على « نيـــد

كيللى » هيا أملأوا الكؤوس وأنت يا « جو » ، خل
سبيل الفتاة ، ودعها تصب الخمرة المشعشعة ، وأنت
يا « كوكس » ، هيا بادر وباشر .

كوكـــس : لبيك ، ياسيد « كيللى » ، لبيك .

نيـــد : هيا استمروا في الشراب !

سيجىء يوم بعد ما تمضى السنون

يحلو لكم فيه حديث الذكريات فتخبرون

أحفادكم وتفاخرون

بأنكم لاقيتم « كيللى » وعصبته الأباة الظافرين

ورأيتموهم ذات مـــرة ، ذات يوم صائف كـــث
الغبار يشرفون ،

وقد طوى (جيريلديرى) ثقل السكون

وما سرى في جوها الا ذباب ذو طنين

يومٌ أتوا فيه إليها من حنايا الغاب يستلبون مصرفهـــا
المصون

يدعونكم ضيفاً تعاطون الشراب وتسكرون

ويقلبون

« جيلريلديرى » هذى العجوز الحيزبون
رأسا على عقب ، وفي هرج وفي مرج حرون
وكأنما اشتاروا جنى عسل البرارى والحزون
والله سوف تفاخرون
بأنكم يوماً من الايام شاركتم عصابتنا الشراب وقلتم تتنادمون .

دان : الفيتم النقود ؛ كيف آلت نتيجة تحليلكم للتبر من التراب ؟

نيد : (رابتاً على الزكيبة) : استنزلنا رقعة من علم السفينة وتخلينا عن امتلاكها .

دان : ما مقدار الغنيمة ؟

نيد : كان يمكن أن يكون خيرا مما وصلت اليه ايدينا ، يا « ستيف » . ولكنه يكفى لمسايرة حاجتنا ، وبامكاننا أن نعود دائما كلما احتجنا مزيدا .

كوكس : (مازحا هلعا) : لم تنفك قائمة حساب الشراب ترتفع في اطراد منتظم طيلة غيابك ياسيد (كيللى) .

بريت : لكم أنا معجب بطريقة انتهازك للفرص يا « كوكس » !

المتسكع : أرجو ألا يقصد بهذا أن « كوكس » لا يستضيف شاربا

مطلقا . فما زلت أذكر حادث رجل كان يعالج سكرات الموت من داء القلب في هذا المشرب ، وأشهد لله أن « كوكس » كاد يجود عليه بملء ملعقة من « البراندى » لولا أن الرجل أدرك آثار الشعور بالخسارة تطل من عينى « كوكس » فاستحى وانتهى ! . . .

كوكس : لكم أعنت من بشر
برغم انى لست من ملاك المصارف ،
بل كادح ، مصاحب للكادحين .
فلتسألوا من فجر المناجم :
نباشة التبر لطغمة الممولين ،
الراهنين جهدهم بلقمة تؤكل قبل كسبها .
سلوا الذين يفدون
من فتية السبيل :
الحاملين في العياب والصرر ،
ما يملكون من حطام ،
على ظهورهم ،

سلوا جزازى الصوف :
في أى صوب يجدون ،
الناس أهلا والمحل سهلا
في غير حانتى .
سلوا سواقة الاغنام :
السائرين نصف ألف ميل ،
من حيث يقطنون .
شعث عليهم غبرة ،
من وعثاء السعى في المسالك ،
وذفر الاغنام في أفواههم
قد استحال بخراً ،
الواصلين والجيوب خاوية
في قسوة الصخر الأصم .
فانى أفك عنهم إصر ضيقهم ،
أعفيهم من كل ما كلفنى .
الخسر — لا شك — مبين ، أدركه
لكننى ، من أين لى قلب شديد ؟

يقسو على أمثال هؤلاء ،
من عاجز ومعوز .

المتسكع : والله إنه اذا أراق قطرة على حاجز المشرب فسرعان ما يلعقها ، لكيلا يعتاد الذباب طعمها فيألفها .

تارلتن : أرجو أن تتكرم فتسقيني دينا مادام المصرف لا يملك شروى نقير .

كوكس : لاشك أنك تدرك انني نصير لك ، ياسيد « كيللى » ، أو ليس كذلك ؟

انني بطبيعة الحال لا أستطيع أن أبوح بكل ما في فكري .

بريت : عليّ يمين الله ، انك لا تستطيع .

(« نيد » ، بعد أن ظل يلوح بورقة مالية ، ناوياً أن يدفع ثمن المشروب للسيد « كوكس » ، يعيدها إلى جيبه) .

كوكس : ان عدم الدفع خسران مبين عليّ .

نيد : يكفيك تعويضا عن الثمن . . . شهرة مشربك ، لسوف يأتي الشاربون من بعيد ،

ليشهدوا الحـــان الذى فيه تعاطى شربهم « كيللى »
وصحبته .

كوكـــس : يمكن هذا أن يكون ، يمكن هذا أن يكون ، بل إنه سوف يكون ، وانى مكرم ممنـون ، بخدمتك ، ياسيدى « كيللى » ، أنت وعصبتك .

بــريت : لقد طال انتظارى عشرين عاما وأنا آمل أن أدعى إلى قـدح من الشراب على حســاب الحان يطلبــه لى « كوكس » ، ويحسن بالمرء ان يحتجز لكى يدرك ما يتمنى . فما رأيك يا « تارلتن » ؟

تارلـــتن : لم أجد مثلا لهذا في مدى طيلة عمرى
استباحوا مصرتي دون رضائى رغم أمرى
أخرجونى من حمى الحمام مقسورا بجَـــرّ
مثلما جئـــت وليـــدا بـــدء أمـــرى
دونما بضعة ثوب ساتر بطنى وظهرى
(تضحك الساقية)
ماعدا (فوطة) حمام على العورة سترى

الســـاقية : خوذة أو عمامة ؟

تارلـــتن : (فوطة) . . . ان تخفضى النظرة تدرى
نهبوا المصرف ، أصلوا أهله سبا بنُـكر
جلدوا إلية « اليوت » بلا أبسط عذر
بعصـــاه جلـــدوا العاجز نالـــوه بضر
رفضوا لبسى ثوبى ، شفعوا سوءاً بقهر
وسقونى الخمر ، لكنى خيار يوم صَرٍّ

بـــيرن : حقا انك كنت بارداً كالخيارة فى يوم بارد .

ماكـــين : أوشكت أن أحيص من عصابة المغير ،
ألقيت نفسى مارقا نحو المسدس المزوى كالاسير ،
ففوت استعداد « كيللى » فرصتى وانقلب المصير .

نيـــد : لا شك فوتّ عليك فرصة وحَسُنَ المصير .

جـــريبل : أرجوك ، ياسيد « كيللى »

اليـــوت : يااللمتعطلين الاغرار !

جـــريبل : أرجوك ، ان تعيرنى صمتك ، ياسيد «اليوت » لأبلغ بكلمة

بـــيرن : اللهم حفظك ، انظر يا « نيد » ها هو ذا كاهن ! . .

نيـــد : من أين اصطدتم هذه الفريسة ، يا « دان » ؟

دان : أتى يتحفنا بموعظة ، فاستحسنت الاحتفاظ به لكى تستعرضه .

بيرن : ما رأيكم في أخذه معنا إلى الغاب والاحتفاظ به بين حيوانات الأليفة ؟

نيد : من أنت ؟ ما اسمك ؟

جريبل : اسمى « جريبل » .

بيرن : » جريبل » ، أهكذا قلت ؟ القس « جريبل » ؟

جريبل : (ببرود شديد) : « جريبل » . ياسيد « كيللى » ، ان صاحبك هذا . . .

هارت : اسكت .

بيرن : « جريبل » ، انى أرثى لحالك .

ماذا يقول الاسقف ؟

اذا رآك مسرفا في سورة الشراب عند « كوكس »
وعشرة السوء التى اصطفيتها ، من السكارى والذين
مرقوا عن سلطة القانون ، وكان واجب المهنة يقضى
بأن تكون في مجتمع للأمهات

لكنك هنا ، تسىء لاسمك المنمق العريق هذا
« الجريبل »

قد رنحتك الخمرة المشعشعة ، مقارفا العصاة من آل « كيللى » الآثمين .

جـــريبل : (مخاطبا بيرن) : أنا لا أعير شتائمك بالا ، (قاصدا بالحديث نيد) : انني أود أن أتوسل اليك ، يـــا « كيللى »

هـــارت : لقد قيل لك أن تزوى وجهك .

بـــيرن : كب قدحا في فمك ، يا « جريبل » .

اليـــوت : لا مبرر مطلقا لهذه المضايقات المتواصلة الحلقـــات للاناس العاجزين عن مبادلة الاساءة .

بـــيرن : ليسوا اناسا بل قسس ، أو قل: قسس محترفون .

اليـــوت : إنلك تعود للجاج كَرَّة أخرى .

دان : (مشيرا إلى اليوت) : من هذا يا « نيد » ؟ انه ليس مصرفيا ، أم انني مخطىء في تقديرى ؟

نيـــد : يزعم انه مدرس . ولا يميل الينا بأية حال ، ولذلك جرجرته إلى هنا .

بـــيرن : قد مزقت كفله جلدا في المصرف . وتلك هى الطريقة الممكنة الوحيدة لمعالجة المدرسين الجانحين المعاندين .

هـــارت : مارأيكم بجرجرته إلى مدرسته ووضعه في الفلقة على مشهد من الصبية ؟

اليـــوت : كفى هذه الوتيرة من الهراء ، لقد ضقت ذرعا بها .

نيـــد : بل تنعكس الآية ، أيها الديك الهرم ، هل تتصور أنا لم نضق نحن ذرعا بك ؟

دان : لندع الصبية يتولون تأديبه ، ليستقضوا منه بعضا من ضربه لهم .

بـــيرن : والله ، ان هذا لعين الصواب ، فلنفعل ذلك ولسوف تذوق طعما من الواقع الأليم ، يا « اليوت » ، لسوف تَنْحنِي وتلمس مقدمة قدميك .

اليـــوت : (هائجا مذعورا) ، لا ، أجيروني يا « بريت » . . . يا « جريبل » . . . يا « رتشاردز » . . . لا . . .

المتســـكع : لقد هزلت ! مابيد هؤلاء حيلة.

كأنه قد استجار بالكاتبين الستة الخيرة في محكمـــة قاض القضاة.

نيـــد : لا ، يا « جو » ، لقد وجدتها . أعرف الآن ما نصع به . لسوف نكرم الصبية . سنعلن اليوم اجازة عامة. استمع جيدا يا « اليوت » إمض إلى مدرستك وأعلن لصبيتك ان اليوم إجازة تكريما « لنيد كيللى ».

اليوت : لن يمكنني فعل ذلك . ليست بيدى أية سلطة لإعلان اجازة مثل هذه . ولن أتسبب في ايذاء نفسي .

بيرن : لا نبغي لك حالا خيرا من الإيذاء ، وإنك لأهل له.

نيد : أنا أخولك السلطة . لم لا يمتع الصبية بيوم اجازة. هل معك ورقة يا « جو » ؟ ضع له نص الاعلان.

بيرن : (يكتب) : « بهذه الوثيقة يعلن أن مدرسة (جيريلدرى (مغلقة يومنا هذا احتفاء بمقدم عصابة « كيللى » . » — وقعها ، يا « كيللى ».

نيد : (يوقع متباهيا) : هاك إمضائى على هذا بخط يدى ، يا « اليوت » ، تقدم ، تسلم الاعلان (يسلمه الورقة) اقرأ هذا على مسمع من الصبية ، ثم اصرفهم. سآتى لتفقد المدرسة بعد حين واياك ألا تصدع بما أمرت به.

اليوت : (يقع في حيرة شديدة (: لست أدرى ما أنا صانع. لسوف تكون هذه سابقة سيئة للإخلال بالنظام.

بيرن : حسن اذن ، وليختل النظام ! . .

تارلتن : كفى ، بحق السماء يا » اليوت ». خل حيرتك فى الأمر ، ولجاجك الذى لا طائل من ورائه . لن ينالك

من جرّاء تنفيذ الأمر أى أذى . لست الوحيد الذى صار عرضة لهزلهم.

اليـــوت : لن أجبر على أن آتى شيئا من هذا . انى امتنع .

دان : (يمسكه من كتفيه) : بل اصدع بما تؤمر.

بـــيرن : (يفعل مثل « دان ») : بل اصدع بما تؤمر.

(يشد « نيد » إحدى ذراعى « اليوت » كما يشـــد « دان » ذراعه الأخرى ويهرولان به إلى الباب).

بـــيرن : (صارخا بعده) : ستجلد فيما بعد ، يا « اليوت ».

بـــريت : لكم تبلغون شأواً بعيدا في تهييج المواقف حين تضعون ذلك نصب أعينكم ، أو ليس كذلك؟

نيـــد : لن ينسى الصبية الاجازة ، ما حيوا.

بـــريت : ولن ينسى « اليوت » كذلك.

جـــريبل : أرجو أن تكون الآن مستعدا للاصغاء إلى، ياسيـــد « كيللى »

هـــارت : صه ، شل لسانك!

نيـــد : شعشع الخمر لهم ، يا « كوكس » أكـــثر ، وأدر

أقداحها ثانية بين الندامى .

بيرن : عجّل ، والا نهبت الدرج.

كوكس : (مداريا اضطرابه) : لن أعجب أن يصبح مزحك جدا ، يا « بيرن »!

رتشاردز : يخيل إلى أن السيد « اليوت » سيرفع شكوى مجلجلة ضد الشرطة لتخليهم عن الحفاظ على كرامته.

نيد : (كمن استفزت روح المقارعة لديه) : أو في نيتك أن ترد له اعتباره؟

رتشاردز : ولم أكلف نفسي عناء رد الاعتبار لشخص مثل « اليوت »؟

بريت : ما رأيك يا « كيللى » لو انفض الجمع الآن؟ لقد نلتم مأربكم وتلكئى هنا بعد هذا الوقت قد يثير ريب زوجتي فتعتقد أنني موجود في الحانة! . .

ليفنج : بل لقد ارتكبتم كل الموبقات التى استطعتم اليها سبيلا ، حاشا قتل النفس التى حرم الله.

بيرن : مازال في الوقت متسع لاراقتك ، أيها (المحبرة).

نيد : كأنما جئنا هنا ننشد بضعة من قصة لعبرة أو طرفا من الخبر

أو أننا ننشد بضعة . . . من طَرد ومرَح دعابة، ولن
تلوموا فعلنا ، بل هل يلام من قهر،
ترضية لمن قهر ؟
قد رسمت حكومة البلاد أننا . . حِدنا عن القانون
خارجين . . ترضى بذا قناصة الأمن الغجر
واننا لخارجون ، يسرنا بأننا كذاك نعتبر—
من طغمة قناصة زحافة الى سفر
من يضمرون بغضنا ويوعدونا بالخطر.
لكننا لم ينف طردنا من ساحة القانون أننا من البشر
برغم أنا نشبه (الدنجو) نعيش مثله بين الصخـــور
والحجـــر،
واننا نُقنص أو نرمى اذا بدا لنا أثر ، إذ لُحنا للنظر.
وتزهق العزلة فردا واحدا اذا هجر
لكنها ماشملت عصابة الا غدت أقسى وأدهى وأمر.
ونقطع الوقت بجد القول لا نرضى بهزل أو هذر
فلا نناجي شجر اللبان أو نعوى إلى وجه القمر
كالباحثين عن كنوز التبر في غيب الحفر

أو مثلهم من يعملون في انعزال ، في نشاطات أخر
« ومن تُضِل أهلهم قبعة » من جهدهم عند الظفر.
وليس تَبْنِي الببغاء عشها في شعرنا وتستقر،
لكننا تنتابنا جميعنا نفس الشجون والفكر
تظل في رؤسنا تدور، لا ينتابها توقف ولا خور،
فليس نهذي خالطين واضحا بغامض من الصور
من جيشان النفس من فرط الكحول والخدر،
لكننا نرى وجوه بعضنا رتيبة نملُّها ولا مفر
فليتكم جربتم حياتنا ، شقاءنا بذاتكم كمن تأذى وشعر
هي اختفاء في ثنايا الغاب لا نشهد الا شجر اللبان
أو جلامد الصخر
إصاخة السمع الرهيف حينما تنقصف الاغصان أو
ينساخ الشجر
وحينما ينعق الغراب ، . . أو تنساب أصوات أُخر
في هدأة الليل البهيم منذرات بعناء وبِشَر
تمضي بنا شهورنا مملة بطيئة تمطّ ساعات العمر
وكم تثور سورة من التوجس الشديد والحذر

وجامح من الشعور ينفجر
لكى يزاح حائل من الشجر
يحول دون فسحة البصر ،
تنوى بأن تسحقه بقبض كفك لكى تنثره فيما نُثر
أو تنزعن رأسك لا تبقى عليه أو تذر
تقذفه على غراب مسكتا نعيقه اذا انتشر
واوحشتى من وجه « جو » ووجه « دان » ، ووجه « أسطفان »
ومسحة الصخر وسيما شجر اللبان
واوحشتى من وجه « جو » ووجه « دان » ، ووجه « أسطفان » .
اذ لا جديد في الصور ، لحقبة طويلة من الزمان

دان : ولن تجدوا واحدا أبدا .
في كل تلك الأميال
من التـــلال
سوى آل « كيللى » المخرجين من حمى القانون .

هـــارت : أو سوى قناصة الامن المقيتين يعدون خطانا

يقفوننا خلسة في الغاب كالصياد اذ يقفوا الطريدة ،
ويقيمون كمن يرقب وحشاً جن من عطش شديد
ورد السبخة كي يطفيء غِلّهْ فاذا السبخة فخ شد رجله
واذا الصياد ينجيه لكي يحسن قتله

نيـــد : (يتجه بالحديث إلى « بيرن » الذى يستغل انشغال « نيد » بنجواه فيحاول هو أن يتسلل والساقية متخذا باب الحان الخلفى سبيلا) :

ارجع يا « جو » إلى أين تسول لك نفسك أن تذهب ؟

بـــيرن : نبغى أن نذهب لامتاع النظر بمشاهـــدة الأزهار ، والتمعن في دراسة الطبيعة .

نيـــد : لا آذن لك بذلك .

بـــيرن : كفاك تحكما ، يا « نيد » !

نيـــد : لدينا الوقت لهذا . .

بـــيرن : انك تنسى ان احدى المضايقات التى تنغص وجودى معك هى اصغائى إلى نبرة صوتك . ألا يحق لى أن أنعم بالسكون ، والطمأنينة ، وبصوت ساقية رخيم يتردد في مسمعى كزقزقة عصفور في الصباح الباكـــر أو كغرغرة زجاجة آتية من ناحية الغاب .

السـاقية : على كل حال ، فأنا لست خارجة معك . إن توددك وملقك يوحيان الى كأنك قبّلت حجر تحقيق الرغاب ، وليس الاختلاء بك بمأمون .

بـيرن : أنا لم أستلم حجر تحقيق الرغاب قط بغير الإجـلال المتناهى والورع الشديد .

السـاقية : أنت تحسبنى اذن حجراً ، أو ليس هذا هو اعتبـارك لى ؟

بـيرن : يامنية النفس ، لأنت والله عندى الشعلة التى تنشـد كفاى دفئا بها .

السـاقية : خلِّ كفيك لنفسك .

نيـد : اضرب لها موعدا ، يا « جو » ، وعد في ليلة أخرى . همُّنا الملح الآن هو مقابلة ذلك الشخص المحرر فى الجريدة – لقد فاتنى اسمه – نعم « جيل » ، وبعد ذلك ننصرف . من يدرى لعل جبانا ذا حيلة قـد انطلق يطلب النجدة .

رتشاردز : من ذا يسول له حمقُه فعل ذلك ؟ ! . .

دان : انت مثلا ، لو لم نشدد رقابتنا عليك .

بـريت : لماذا تودون مقابلة « جيل » ، يا « كيللى » ؟

نيــد : معنا له مادة ينشرها في جريدته ، نبذة كتبها « جو »

بــيرن : كتبتها بنفسى . . . تحفة فنية رائعة !

تارلــتن : هل هى قصيدة ؟

(لا يجاب عن السؤال ، الا أن رجال الادغال يبدون محرجين) .

بــريت : ماذا ، يا « كيللى » ؟ هل مهزلة أخرى ؟ ما الــذى تريدونه أن ينشر في جريدته ؟

تارلــتن : ستروج جريدته فتنفد كل اعدادها في يومها ، على أية حال . ماهى ؟

نيــد : انها مجرد خبر ما .

هــارت : انها قصة حياة « نيد كيللى » ، اذا شئتم ان يــرضى فضولكم . ان « كيللى » يعتقد انه يستطيع ان يبرر موقفه من قناصة الأمن.. ،تحدثوا كما يحلولكم عن المآسي التي حلت (بأيرلندة) ولكن انتظروا حتى تقرأوا عن المآسى التى حلت « بنيد كيللى » ، وبعد ذلك احكموا .

دان : انكم تجعجعون ، ولكنكم أول من ينفض يده عندما تطل المتاعب

نــد : وهكذا ، فان قناصة الأمن أبناء الحرام ، قد اساءوا

إلى اساءة بالغة ، وأنا لا أبتغى الا الانصاف من أى امرئ كان . انكم تستمعون إلى ادعاءات قناصة الأمن فتنطلى عليكم تلفيقاتهم . ولكن متى أتيحت لي أنا فرصة لأطرح القضية من وجهة نظرى ؟ . .

نارلتن : لكم أنا متلهف حقيقة لكى أعرف كيف أجبرتك اساءة الشرطة اليك أن تنهب مصرفي ، وتجرجرنى من حمامى كما ولدتنى أمى لكى أفتح لك خزانة النقود .

ليفنج : ستكون معرفة السبب في غاية ما يروق ويعجب .

بيرن : وكذا ستكون أنت في غاية ما يروق ويعجب ، اذا أودعناك صندوقا من الزجاج ، واتحنا للناس فرصة التفرج عليك برسم قدره ستة بنسات .

ماكين : يا « ليفنج » . . لكم تلقى بنفسك إلى التهلكة .

جريبل : ياسيد « كيللى » ، من فضلك ، اذا تطرقنا إلى هذا الموضوع نفسه ، أى موضوع سمعتك ، فيوجد شيء . . .

هارت : اسكت .

بيرن : يا « جريبل » ، أيها الثرثار العجوز ، اذا اردت شيئا من الشراب ، فانفذ اليه بلا وجل ، استحم فيه انقع نفسك به ، انغمس في حمياه ، ثم اذهب ثملا

مترنحا إلى مجلس الكنيسة وقل لهم لتذهبوا إلى الجحيم.

جـــريبل : (بنبرة جادة) : أنت انسان خفيف الظل مسل، يا «بيرن».

بـــيرن : اللهم أعني وصبرني . يا (جريبل) لا تدخلني ضمن الذين يرجون الخلاص على يدك من اتباع الكنيسة. فجرأتك على عمل ذلك لأجلي لا يناسب جبلّتي.

جـــريبل : ياسيد «كيللي»

نيـــد : هذا الثور الخصي الذى القى النيرُ عليه معكوسا، يبدو أنه أعلف مالا يناسب كرشه، لذلك ظل يفهـــق في اتجاهي بين حين وآخر. ماذا دهاك ، أيها الخورى أوقف خوارك.

هـــارت : لقد انذرتك ، يا «جريبل».

جـــريبل : ياسيد «كيللي» ، ان تابعك ذاك قـــد اختطـــف ساعتي.

نيـــد : من اختطفها؟

دان : «ستيف» ، الغبي.

هـــارت : لقد اختطفتها فعلا ، وسأحتفظ بها . لقد أثار الكاهن أعصابي.

جـــريبل : تلك الساعة لها قيمة عاطفية بالنسبة لى ، لقد ظلت معى مدة طويلة.

بـــيرن : هل أهدتها احدى عشيقاتك السابقات.

جـــريبل : اذا شئت الحقيقة — نعم . فالامر كذلك ، بصورة ما . . .

نيـــد : أعد الساعة ، يا « ستيف ».

هـــارت : تنفذ أوامرك على حينما تكون ممتطيا جوادك ، أما وأنت مترجل الآن فلن أذعن لأمرك . انى أريد الساعة.

نيـــد : سلمهـــا.

هـــارت : لن أسلمها.

نيـــد : (يصرخ فجأة) : أعد ذلك الشيء اللعين لصاحبه ، والا نسفت مخك البليد بالرصاص.

دان : أعد الساعة ، يا « ستيف » .

هـــارت : عجبي يا « آل كيللى » . لعنة الله عليكم أجمعين ! لا قدرة لكم على أن تنسوا ملوك الطرقات السالفين ، مثل « بن هال » و « باور » والجرىء « الصاعقة » . انحنوا للسيدات ! قبلوا الاطفال في نضرتهم كالزهرات العبقة !

ازحفوا في حضرة الكهان ، الرعاة أصحاب الثراء الطائل،

وتمنوا أن تعدوا في جياد القـــوم أصحاب المروءات الشهام،

« آل كيللى » من جيـــاد القوم أصحـــاب المروءات الشهام ؟! . .

اطمئن يا « نيد كيللى » ، ليس تجرى من دمـــاكم قطرة ليست تعاب

لست يا « نيد » سوى فدم غبي ، وكفاك!

ضحكة للناس في السر اذا واجهتهم،

ضحكة للناس في الجهر اذا دارت قفاك.

نيـــد : تفوه بمجرد كلمة واحدة أخرى، يا « ستيف » ، زد كلمة واحدة فقط ، وستجد حنكك اللجـــوج وقد شلت حركته ، أمداً طويلا. هل تنوى أن ترد إلى الكاهن ساعته ، أم لا؟

هـــارت : (مستخذيا ، وملقيا بالساعة إلى « نيد »):

اصنع بها ما شئت ، لقد اخذتها على سبيل الدعابة.

نيـــد : سلمها إلى السيد « جريبل ».

هـــارت : (ملبياً الأمر) : الأيام بيننا يا « جريبل »، وسأظل لك متذكراً.

نيـــد : ستتذكر رجلا هو خير منك ، صموداً ثابتاً عنـــد كلمته أيضا.

جـــريبل : أشكرك ، ياسيد « كيللى ».

نيـــد : ليس اتباعى لصوصاً ، فاطمئن.

تارلـــتن : يبدو لى أن مجيئكم إلى « جيريليدرى » كان جـــولة مجردة للاقتراض . فما رأيكم اذن باستحلال مصرفي؟ وبنهب سرجي؟

نيـــد : كم أنا آسف لنهبي سرجك ! أما المصارف فهى مما لا يهم .

وليس للسرج شأن . . . إلا إذا شد على ظهر فرس
والخيل ، كل الخيل مما لا يُهِم
سلنى عن الخيل ، دلالا ، بها وبالمصارف،
وكل دلال حرامى بلا منازع
وانى كذلك. . .
ففى بضعة أعوام قليلات تقضت، ما قَلّ ما هُشت
من الجياد،

عن مائتين اثنتين.

رتشاردز : اضافة إلى مصرفين حتى يومنا هذا تعاملت بهوشهما نوعاً ما.

بـــريت : كدت تبدأ تحدثنا عن « يورا » ، يا « دان » .

نيـــد : أمر « يورا » كان سهلا ، وتجربة مبسطة مقدمة لما صار هنا ذا اليوم. . .

ما تكلفنا سوى أن نصل المصرف نحدو عربتـــين بسكينة،

وسرقناه وعدنا بالغنيمة ، تعبر الخيل بنا قلب المدينة ، معنا « سكوت » المدير ، معه زوجته بالحلل الكاملة المثلى مزينة،

وكذا الاطفال يهوون ويعلون على مركبة الخيل الثمينة.
وكأني بهم قد خرجوا ليودعونا

ويرونا عائدين ، غانمين ، ساليمنا.

دان : برغم أن الأمر سهل ، مثلما اسلف يحكيه رئيـــسي والرفيق

كنا على الأهبة أن نطلق من سلاحنا نار الفناء والحريق

حين مررنا على موكب دفن عائد يسعى على طــول الطــريق
أودع التربة مسكيناً عجوزاً قد أبى بعد هجوع أن يفيــق
وكان من مروا بنا.
بين ركاب على خيل عجاف يمتطيها معدمون باجارة
وأناس ركبوا في عربات مزريات موغلات فــي الحقــارة
وسراة زفهم في مركبات العز موفور جلال وإمارة
ثم سرنا في الطريق ، ومررنا :
بعقيلات يلوحن بألوان المناديل الجميلات المزينة
وسراة يخفضون بالتحيات الرصينة ، قبعات العــز والجاه الثمينة
ويخفض « كيللى » رأسه ردا على تلك التحية ،
وكذا يبسم « سكوت » يلبى غمزة الجنب بــراس البندقية ،
ولا يدرك من في الجمع فعلتنا كُنهاً ،
سوى أنا بدَوْنا قد خرجنا نطلب الترويح والنزهة .

وحق الله لو علموا بما لابد أن يدروه في القرية ، عند نهاية الرحلة
بأن المصرف المرزوء قدسرق. وان مديره رهينة لتكمل الحملة
لكانوا قدموا في الحال للديدان لحـــم مغيرة الادغال في حفلة .

تارلـــتن : لابد من أن اقابل « سكوت » في فرصة مناسبة ــ « ان المصائب يجمعن المصابينا » . لقد خيل لى ، ياسيد « كيللى » ، انك لا تشن حربا على النساء . فما رأيك بفعلتك بحرم السيد « سكوت » ، خبرني ؟ فما ليس منه بدّ أنها قد تملكها الرعب والذعر الشديد ، فأخذها رهينة مع زوجها والبنين لا شك أنه قد أخرجها عن طورها .

بـــيرن : (وهو حردان من « نيد » ، يبدو مهموما حانقا ، بعد حادثة حرمان « نيد كيللى » له من الاختــلاء بساقية الحان) .
هذا ان كان قد أبقى لها طورا تخرج عنه !

نيـــد : السيدة لم تبال بما حدث .

بـــيرن : أحسبها قد كانت تخال أن لكل فرد من مغيرة الغاب نابين شاخصين مثل ما لخنزير الوحش . وأن مفاجأتها برويّة « كيللى » وأنه لا يختلف شكلا عن البشر قـــد

هيأت مناخها النفسى لتتهافت معانقة له . فما ذلك الا مثار للنشوة القصوى ، لتحوم الانثى شادية حـــول الذكر الكفوء كالعصفورة المتيمة .

نيـــد : وافترض أنها فعلت كل ذلك ، فهل تنهش الغيرة فؤادك ، يا « جو » ؟

بـــيرن : بل انك تتخيل أنها لابد كانت بانية عشاً لها في لحيتك ، لو أنك تنازلت فجدت عليها بنصف نظرة .

تارلـــتن : كل النساء سواء . . . حتى لكأن أشدهن رصانـــة ، وأكثرهن رزانة ، لا تتورع من أن تتودد إلى انسان فيه مس من الشيطان ، وعليه منه مسحة .

بـــيرن : ولكن المرأة الذواقة ، اذ اوقعها سوء مصيرها فـــى حانة مزدحمة تلتمع فيها عينا « جريبل » الموبختان من جهة ، وتهددها بالفضيحة نظرات « ليفنج » الباردة ، من جهة أخرى ، فلا تستطيع أن تجد الفرصة لابداء مشاعرها الحقيقية .

الســـاقية : وارحمتى لك يا « جو » ! وواتقطع قلبى ؟ ! .

بـــيرن : لاشك أن لشئون العمل حرمتها الواجبة ، ولكننى إنسان ولقلبى على حق .

نيـــد : أين « جيل » ؟

المتســكع : فَلْمَنِ تجده .

بـــيرن : ليس الشقى بقملة .

كوكـــس : لا أكاد أرتاب في هبوطـــه علينا وشيكا ، ياسيـــد « كيللى » ، فقد اعتاد التردد على الحانة قرابة هذا الوقت من النهار كل يوم .

رتشاردز : ان يسمع أنكم في المدينة يبحث عنكم ليحوز سبقا صحفيا اذ ينشر قصتكم المثيرة في صحيفته .

نيـــد : ان لم تسقه المقادير إلى هنا بعد فترة وجيزة ، فسنضطر إلى الخروج لاقتناصه كما يفعل أكلة اللحوم الآدمية :

ماكـــين : أيها الهازلون ، ان فيكم لطفاً وفهماً مرحا للحياة .

بـــيرن : للحياة ؟ أى أنواع الحياة ؟ ياحبيبى . . . !

في غـد يرىَ طرفك النعسان ذى الغور القريب
أنا طيف قد بـــدا يسبح مشـــقوق الجيوب
أغمضى عينيك يا خـــير ملاك وحبيـــب
آن أن أغفو محمولا عـــلى سحر الغيـــوب

نيـــد : يكفيك يا « جو » ، سكراً .

تارلـتن : لِـمَ لم تلحقكم الشرطة بعد مقابلتكم لموكب الدفن؟ يبدو أنكم لم تودعوا الشرطة غيابة الزنزانة في « يـورا » كما فعلتم هنا ، أم هل فعلتم ذلك بالشرطة هنـالك أيضا ؟

نيـد : كان قناصة الامن يقفون أثرنا ليوقعوا بنا في كل مكان – لعنة الله عليهم – ولكن « يورا » لم تكن اذ ذاك فيها قناصة امن .

رتشاردز : كان الشيطان منعما عليكم بحسن الطالع إذن .

نيـد : لسنا ممن يتشبثون بتعليل النفس بحسن الطالع ، ولكننا نتسم بصدق الحدس وبعد النظر فنتحكم . بزمـام المبادرة . أما انتم يارجال الأمن فوسيلة تفكيركم تدنت فصارت احذيتكم ، ونحن لا نتذرع عند التفكير الا بعقولنا .

دان : كانت كأنها غارة « بن هال » على « كانويندارا » تكررت ثانية

لكننا لم نتخذ تلك المدينة مركزا

ففى محطة « ينجز بند » لقينا مركزا مناسباً مقارباً سلسلة الجبال .

فمن هنالك استعرنا العربتين عنوة .
وكان « جو » محتجزا هناك ، نحو ثلاثين من الرجال .
في صحبة الفئران والبق ، في مخزن المحطة
وذاك في أثناء نهبنا للمصرف الكريم .
وكانت الشرطة في البعيد ، على مدى أميال ، ونحن في المدينة ،
المبعدين عن حمى القانون ، كما ترون ،
من بعد قتلنا أولئك الثلاثة الشرطة ، في الممر في « سترنجيبارك » .

رتشاردز : « كينيدى » ، و « لونيرجان » ، و « سكانلون »

نيد : يالك من حفاظة .

دان : وهكذا فيستميت الشرط ليوقعوا بنا . يراقبون من يصادقوننا ، ومن يصادقوننا عليهم لنا عيون . وكل واحد من الشرط ، يود أن ينال ، من آل « كيللى » هدفاً .
نحن هنا ، نحن هناك ، بل اننا نكون ، في لحظة واحدة ، في بقعتين .
وليس يدرى أحد أين نكون فنحن طلقة من الرصاص في الدغل .

بل نحن خبة الحصان، وركضه، ونبحة الكلب الذى عوى،
وابن السبيل الشارد ،
يوقد ناراً عندترعة ــ وقد يهيب من يهيب ، : « تطلعوا
فآل « كيللى » هاهــم حتى ليعتقل الشرط ، ظلالهم
، حين تجارى سيرهم من الوراء ، في نوبة التفتيش .
وتارة يقفون إثر وزغ ، عدة ساعات لانه ، بــدا
مريبا في تصرفه ،
ومدع قد يزعم ، أنه رأى مشبها بنا ، لكنه ما كان
منا مطلقاً .

رتشاردز : بحق ابليس الذى يقود خطوكم ، فأين كنتم اذن ؟

هــارت : تود أن تعرف ؟

دان : أبلغ الشرطة جاسوس جرذ ، أو انه جحش من البشر ،
بأن قومنا ، عصابة المطاردين ، قد رجعت إلى « جريتا »
حيث تقطــن ،
وحيث حصنها الحصين ،
وعند ذاك قال آخر ، وأغلظ القسم ، بأن يسوّد الإله
وجهــه ،
بصفات العار والشنار ، ان لم نكن في « وولشيد »
قد أوينا نستكن ،

فـــذاك حيث آل « بيرن » قـــد ألفوا التردد ، هم
واصدقاؤهم ،

فينبرى قناصة الامن على جناح السرعة ، مـــوزعين
لاعتقالنا ،

في « وولشيد » أو في « جريتا » ، علّنا نوجد في ايهما.

وحالما ينهون ركضهم ويصلون حيث يبتغون ، يعرض
في وجوههم ،

« كلب سلوقي » قعيد منهك يقول : لاهم في «جريتا»
ولا في « وولشيد »

وقد روت لى امرأة ، بأنها رأتهم ، في « وانجراتا »
ذات فجر ماطر ،

حين عبورهم في أحد الأنفاق حتى سكة الحديد .

وينبرى قنصاصة الامن بلا روية ، يبلون ما عـــلى
خيولهم من كل سرج وعنان ،

حثا بلا توقف لـــ « وانجراتا » يهرعون .

عند وصولهم ، يصعدون الطرف في سلسلة الجبال ،
في « واربى »

وبلّها يحك كل رأسه من فشل المسير والمصير .

ولم يفكر احد منهم بأننا كنا في « يورا » آمنين .

تارلـــتن : اذن ، ورنى ، قد خدعتموهم

ماكـــين : وخدعوهم ها هنا ثانية .

رتشاردز : لابد أن مبادرتكم كان مفعولها على خير ما يكون عند حلولكم بأولئك الفتية المغفلين من شرطة ممـــــر « سترنجيبارك » ، أو تقرونني على ذلك ، فلم يكن نداً لكم يا آل « كيللى » النجباء ، « كينيدى » و « سكانلون » و « لونرجان » .

نيــد : خسئوا ان يكونوا لنا أنداداً .

جــريبل : بالله يا « كيللى » كيف تقدرون ، أن تكونـــوا دائما متسنمين ،

جرف الفناء ذاته ؟

فزلة واحدة تكفى لأن يلقى بكم للهاوية ،

وليس تطمعون أن تمد نحوكم يد تقيل عثاركم ،

وإن تهووا فلن يقصر المـــدى وأنتم نحـــو الحضيض صائرون .

نيــد : النشوة التى تعرو الذى يهوى إلى الحضيض عارمة ،

وليس يستطيع أن يدرك كنهها كاهن مثلك .

فالركض بالخيل سريعا مثلما ينماط عرض جيـــل يشتاق نحو سفحه ،

أو أن تهوش الخيل اسراء بها في سدفة الليل البهيم ،
وحولك الكلاب تنبح ، وطلقات النار ، وصرخـــة المـــلاك ،

موعده بالويل والثبور ، وبالمنايا الزرق والفناء .

وتأخذ الاصوات تخفت ، وتبعد ، ونحـــن ننـــأى راكضين العاديات ،

وعندما نبلغ مأمناً ، نوقف خيلنا لتسترد النفس .

ونصغي ، لا نسمع صوتاً حولنا ، الا الجياد تضبح ، جيادنا .

فات المطاردين ثانية ، أن يلحقوا بنا

وليس حولنا شيء سوى الدغل الحبيب ،

دغلنا الكائن الذى نعرفه ظهراً وقلباً مثل أكفنا .

بـــريت : ان استحلال مدينة عنوة أمر مختلف نوعا ما ، ألست محقا فيما أقول ؟

نيـــد : لقد استحل «بن هال» المدن عنوة ، وكلهم فعلـــوا فعلته ، وأنا —

(تمسع جلبة خارج المسرح ، ووطء أقدام ثقال)

بـيرن : « نيد » احترس .

نيـد : (مومئا إلى الرهائن وهو يمسك بمسدسه واثبا نحـو الباب) :

شدد الرقابة على هؤلاء القصَّر يا « دان » .

(بينما يتكفل « دان » بأمر السجناء ، الذين تطـرأ سورة من الهياج بينهم ويتملك الاضطراب صفوفهم ، فان « بيرن » — وهو متنح متجنبا الموقف كأنما لا يهمه من أمره شيء ، مع استعداده الكافي للقيـام بالواجب ، اذا دعا اليه داع — يستند إلى الحائـط الذى خلف حاجز المشرب بكل تهاون . « نيـد » — وخلفه « هارت » مباشرة — يجثو على مقربة من الباب الأيسر ، وهو بكامل استعداده ليطلق النار ، يفتح الباب دفعا ، ويبرز ثلاثة رجال مندفعين إلى الداخل : « رانكين » ، متين البنية ، تاجر موسر ، عليه سـيماء الأهميـة (فلقد كان يعتبر زعـيم « جيريليدرى » المرموق بـين المـواطنين) ، و « هاركين » ، صاحب مخزن يرتدى قميصا ذا أكمام ، ومريلة مما يتخذ البقالون ، ويبدو لصغر حجمه كأن

قد تآكل من عدوان العث عليه ، و « جيل » محرر الصحيفة المحلية . . . وبرغم أن الرجال الثـلاثـة عزل من أى سلاح ، فيبدو عليهم طابع من يود أن يتصدى لشر أو أن يثير عداء . وعند دخولهم ، ينشأ مشهد من العنف والفوضى . ويموج السجناء متدافعين إلى الامام ، إلا أن « دان » بعد برهة من الارتداد المفاجىء ينهرهم قائلا ، : تراجعوا خلفا ! » فيكف الزحف)

بـسـريت : (صارخا) : خذ الحذر ، يا « رانكين » ! انهم على أهبة أن يطلقوا النار بلا تردد :

رانكـين : ما الذى يجرى في هذا المكان ؟

نيـد : (صارخا) : ارفعوا ايديكم وسلموا أمركم ، يا كلاب لقد اتيتم توقظون الفتنة — ولأثيرنها عليكم شعواء لا يخبو لها أوار — ارفعوا أيديكم وسلموا أمركم !

رانكـين : حقا ، يا « جيـل » ، لم أصدقك فهاهم أولاء آل « كيللى »

نيـد : نعم ، هاهم أولاء آل « كيللى » ، فماذا يروق لك أن تصنع اذن ، أيها الابريق المهشم ؟

جيـــل : هيا بنا اذن ، لننجو بنفوسنا من هنا ؟

بـــريت : تلبثوا واهدأوا ، أيها الاغبياء ! أنا واثق أن ايديهـــم لن تمتد اليكم بأذى .

(تغشى جمع المحتجزين انتفاضة تمرد عاتية حينما يحاول الرجال الثلاثة أن يلوذوا بالفرار . إلا أن « بيرن » يتسلق حاجز المقصف ويعزز موقف « دان » في صد المتمردين . يحاول « هاركين » الإفلات من ربقة كل من يتصدى له ، الا أن « هارت » يلقى عليه القبض ويطوح به ناحية « بيرن » الذى يتلقاه بدوره ويلقى به مسلوكا في عداد المحتجزين . يندفع « نيد » خارجا من الباب مطاردا « جيل » و « رانكين » .) .

نيـــد : (خارج المسرح) : اصطدتك ! قف لا تحرك ساكنا ، يا كلب ! يا « ستيف » !

هـــارت : (وقد تخلص من « هاركين ») : أبشر ،أنا قادم اليك يا « نيد » ! .

نيـــد : » ستيف » ، انه يحاول الافلات .

(يندفع « هارت » خارجا من الباب قاصدا » نيد » . تسمع طلقة مسدس واحدة . يدخل « نيد » ، ويكوم

« رانكين » في الغرفة ، وهو يهدده ملوحا له بالمسدس) .

كوكس : (مغمغما) : يعلم الله من رموا .

ليفنج : قتلة سفاحون !

رتشاردز : واجه الموقف بهدوء .

نيد : (يهدد « رانكين ») : ماذا تريد ، قل لى، يامنحط، تريد هذا ؟

(ينخس جانب التاجر بالمسدس) .

هارت : (يعود جرياً) : لقد أفلت يا « نيد » . أخطأته رصاصتى . لقد حاص الجرذ اللعين (يتوسل متحرقا وكأن النار قد أخذت تتأكله من الهياج) خلنى أجهز على ابن الحرام هذا ، يا « نيد » بالله لا تمنعنى من الاجهاز عليه .

جريبل : لا !

نيد : (يزج « برانكين » فيلصقه بحاجز المشرب) : أتيت ترجو قتالا . الآن تلقاه . تتوهم أنك قدير على قتال آل « كيللى » ؟ من ذلك القزم الذى لاذ بالفرار ؟

بريت : لم يكن سوى « جيل » صاحب الجريدة ، ضالتكم التى تنشدون .

تارلتن : لا تطلق النار على « رانكين » يا « كيللى » . انه ذو حيثية مرموقة جداً في مجتمعنا .

هـــارت : أبركه على ركبتيه ، يا « نيد » وسأجهز عليه .

نيـــد : هيا اذن ، أجهز عليه .

(بينما يبدو أن « نيد » و « هارت » يوشكان أن يطلقا النار على « رانكلين » يتأزم الموقف بين المحتجزين ويسمع للاحتدام هسيس بينهم . يزحم « بريت » « دان » بمنكبه جانبا غير مبال بمسدسه المصوب أفقيا على أهبة الانطلاق ، ويتجه قدما فيواجه « نيـــد » بجرأة وحزم) .

بـــريت : يا « كيللى » لن يكون اطلاق نار هاهنا ، لقد عبثتم مثلما شاء لكم عبثكم ، استحللتم المصرف والمدينة ، أسرتمونا واحتجزتمونا ،

ذهبتم وجئتم كما تشاءون ، ولا من مانع لكم ، عثتم فسادا في الشوارع ، ولم تخافوا البندقيات التى تكمن في الخفاء — يومين كاملين

بثثتم سلطتكم على « جيريلديرى » ، ولم يقـــف في وجهكم أحد ،

لم ترتفع يد ولم تنهض بندقية ضدكم .

وتستطيعون الذهاب مثلما أتيتم . « رانكين » أعزل .

لا تبدأوا اطلاق ناركم ، وإلا فإن ربي وحده، يعلم ما الخاتمة الوخيمة :

ان تطلقوا النار على « رانكين » ذا الحين ، فـوالله لتطلقُن النار علينا كلنا .

نيــد : وما الذى يمنع أن نطلق نارنا عليكم جميعاً ؟ فليس شيئاً ما نكلف .

الآن نحن ثلة من خارجين عن حمى القانون ، ودمنا مهدور

ونحن كالكلاب التائهة ، تلك التى ليس لها مولى ليحميها.

رانكــين : (معنفا القول ، بعد أن استعاد جرأته بعد الخـوف الذريع الذى تغشاه) : هيا اذن ، صبوا على ناركم !

هــارت : يا « نيد » أبلغه مناه .

دان : تشريفه بالقتل لا يجد ربه .

نيــد : (يرعد في وجه « رانكين » ، ويرغمه على الركوع) ابرك ، وازحف !

لم اندفعت إلى هنا تشن معركة ؟

(يرتج على « رانكين » . ويتجه « نيد » بسورة غضبة نحو « هاركين » صاحب المخزن التجارى) .

أين الفتى الآخر الشجاع ، ذاك الذى أتى يثيرها شعواء في وجه آل « كيللى » ؟

(يجرجر « دان » « هاركين » للمثول أمام « نيد »)

بريت : اتركوهما ، لم يأتيا مسلحين .

نيد : (مخاطبا « هاركين ») : هل بلغ الوهم بك ، بأنك ما أن تحرك اصبعك ، أو أن تفوه ملقيا قولا على عواهنه ،

حتى ترانا قد تهافتنا أمامك مثل أوراق الخريف ؛

لقد أتيت قاصدا أن تلتقى بنا ، ألم يكن ذلك مانويت ؟

ها نحن أولاء ترانا ماثلين . فما الذى تأمرنا أن نصنع ؟

رتشاردز : (لهاركلين) الرجاء ، الهدوء . .

هاركين : (مرعوبا) : لم نرد شرا بكم . بلغنا أنكم ، استحللتم المصرف عنوة . جئنا لكي نرى ما تصنعون . « جيل » الذى أتى بنا إلى هنا .

بدا لنا ، أن الحضور هاهنا ، البعض ، من واجبنا .

بـــيرن : وحالما رأيتمونا هاهنا ، بدا لكم أن من واجبكم ، أن تغادروا بلا إبطاء .

بـــريت : يا آل « كيللى » انني مخطركم بان « جيل » قد انبرى في طلب النجـــدة ضدكم . خير لكم أن تمتطـــوا جيادكم ، وان من أنذركم قد أعذر !

نبـــد : « جيل » الذى جئت أبغيه لنصرتنـــا

قد انبرى يطلب « القناص » يأسرنا

دان : لن يبلغ منجديه قبل رحلتنا

نيـــد : « رانكين » قم ، قم ، فليس اليوم موعدنا

غـــداً قـــريب لمنظـــور ونـــظـــــار

اليـــوم تنجو بجلد كـــدت أسلخـــه

فليسلم اليوم إذ قـــد سلم البارى

بحثت بالجهل عن حتف وجئت هنـــا

مثل القـــذيفة تلـــقى دون انـــــذار

بـــيرن : اذا عزمت مرة أخرى أن تذعر آل « كيللى » وتنفرهم ليلوذوا بالفرار فأحضر معك مدفعا يا « رانكين » ، وليس مجرد نفخة بطن من التظاهر والادعاء الباطل .

فإن السيطرة على موقف والتحكم فيه ليس مجرد اجتماع من اجتماعات مجلـــس « المقاطعة » .

هـــارت : أليس خيرا بأن تمضي ؟

نيـــد : بلا عجل

دعه يثير علينـــا سائر البـــلـــــد
ويستحث رجال الأمـــن تدهمنـــا
فليس نـــداً لنا – حمالـــة العـــدد
لا يحسنون سوى زحف البطون دجى
ويطلقون رصاص الغدر من رصـــد
ليس المصارف والقناص من خطـــر
ليس الصحافي عند الروع من احد
فكلهم ضدنـــا شـــر سواسيـــة
هم الخفافيش في الارهاب واللدد
لا يحرصون على الإنصاف ان برزوا
ولا يلاقوننـــا في النـــور بالعـــدد
الا كما يحمينْ « رتشاردز » صاحبه
« رانكين » من خطر المغوار ذي اللبد

هم ناظرونا بشر يبتــوه لنــــا
فلنتظـــر ولنبيّت ردنـــا لغــــد

دان : كان « مورجان » وقد أبصر للشرطى ظلا قادماً
حطه الفانوس مرسوما على جنب خباء غائمـــاً
انزوى يرقبه في ظلمة المكمن حتّى يستقر قائمـــاً
ثم تشدو البندقية . . .
بالذى راق لمن يدرك معــنى العــدل لحناً صارماً

رتشاردز : كنت في نجوى مع نفسى ولم يمض علىّ بضع ساعة،
عجباً يا آل « كيللى » ، عجباً من لطف ماتبدون من زيف الشجاعة
أنتم أربعة جردتم من قوة أو من مناعة ،
ماعدا أسلحة النار بأيديكم ، وما فيها براعة .
ضد هذا الهيكل الفدم تماديتم رقاعة
لم يقلد من سلاح ، قشة ، أو بعض عود ، أو يراعة ،
ربما فاه بقول لو تقبلتم سماعه .
وقفتم كالرجال وليس منهم . . .
أذللتم « رانكين » ، رعتموه ، سلبتموه قوة الكلام ،

سلبتم المصرف من نقده .
هكذا وحدكم لم تستعينوا بغير سواعدكم .
وغير البندقيات ، والتهديد بالقتل .
كان خيرا لكم لو لذتم بأكناف الفرار ،
غير أن العجب أغراكم بأن تبقوا ، وتمنوا « رانكين » بانهيـــار .
وهو تأكيد على أنكم في الروع خُواض الغمار ! . . .

نيــد : (مهددا « رتشاردز ») : أنت يا « رتشاردز » أيضا ،
هل تريد الآن أن تمنى ، بذل ، وبرعب ، وبعِـــيّ وانهيـــار ؟
انت تدرى أننى — ياحامى الأمن — بتأديب حمـــاة الأمن دارى .

رتشاردز : اننى ياصاح دارى .
أنت بدر القبة الزرقاء ما أنت هلال في السّرارِ .
لمت « رانكين » الذى قد نسى الأمر فألقت به رجلاه إلى هذا القرار .
جاء ، اذ جاء ، كمثل الريح مدفوع المسار ،

ثم لما ذكر الأمر أخيراً ، لات حين الادكار ،
هـُدّ قلبا مثل ريح هدأت بعد مثار .
هل أريد الآن أن امنى بذل ، وبرعب ، وبعـى وانهيـار ؟
ذاك يا « كيللى » سؤال لا يزكيه قرارى .
اسمى « رتشاردز » ، لا « كينيدى » ، لا « سكانلون »
ولا « لونرجان » ، لا تدارى
من يكن مثلى ، و « رانكين » وما ناء بأوزار ثقال وكبـار ،
وله ذاكرة ليس عليها من غبار ،
لا يمنى نفسه من آل « كيللى » بأمانى قلال أو كثار .
أنتم في الروع — من ينكر — خوّاضُ الغمار
من يلاقون عِداهم دائما دون وقاء أو ستار ،
كمنوا بين الشجيرات البديدات الصغار
ثم غالوا ثُلَّة الشرطة ، في شعب « ستر نجيبارك » في ضوء النهـار

نيـد : وفدوا يبغون شراً ، فطوتّهم بالردى كف الدمار ،
وستبلى أنت أيضاً بدمار وخسار وعثار .

ســيرن : خلصونا ، أتركوا الفتنة ، ياناس تنام .
قد عرانى من أحاديث (سترنجيبارك) والقتلى السآم .
نظف النمل بقايا الدم فوق العشب والشرطة فــى الاجداث ناموا .
انسوا ما قد فات ، هل يجديكم هذا الكلام ؟

نيــد : سأنسى عندما « رتشاردز » ينسى ،
وهل ينسى وقد ألــف النزاعــا ؟
فليــس الشمس محــرقة هــواه ،
ولا الأمطار تمحــو له انطباعــا
ولا يأتى عــلى مــافى نهــاه ،
دؤوب النمل ما اجتمــع اجتماعا
ولكــن الــرصاصة إن تدو . . .
« تداو . . . رأس من يشكو الصداعا »

جــريبل : أصغ إلى ،
هذى المدينة ، سوف تتركها وقد أثقلت بالنهــب الضمير وناء حملا ،

لكننى أرجوك لا توقره قتلا ، فوق ماقد صار قبلا ،
دعه وشأنه ، كن لهذا النصح أهلا .

نيـــد : « جريبل » أنت سكران .

جـــريبل : ان تشأ تضحك منى فاضحك . . . فلا لوم عليك لا عتـــابا ،

فهو خير لك من إضمار قتل النفس لا ترجو متابا .
عندما تضحك في المقصف لا أحسب للشر حسابـــا ،
لا أخال القصف من فعلك يطويها جبالا وشعابـــا ،
والبكاء الصاخب المشئوم والإعـــوال مما قد أصابـــا
والدم المهـــراق يروى الارض أو يصبغ كفيك خضابا
يا « كيللى » أرجعت لى الساعة فاحترت وما حرت جوابا
فيك خير يرتجى ؟ أم فيك شر ينذر الانسان والارض عـــذابـــا ؟

نيـــد : يدرى بـــذا الأمر « رتشاردز » ،
ولـــيس في الامـــــر خـــيرة ،
فإما الحياة وإما الـــردى
يمـــوت هـــو وأحيـــا أنـــا أو
أمـــوت أنـــا ويحيــــا هــــو

يعيـــش الـــشرطـــة الشـــطـــار

أو يحيـــا « مغيرو الغاب » من آلى ،

رتشاردز : وعلى من تراهن ؟

جـــريبل : في الوطن الأول ، في (انجلترا) ،

حتى الغياض ، والحقول ، والنهر

وكنائس (النورمان) ، واللبلاب أو صلد الحجر ،

في كل هذى ما يشبع الحس بالجمال والنظام .

تلك تقاليد تأتت وتسامت بالعمل ،

بالحب ، والصبر الجميل صافعا وجه الخطر ، . .

(واستراليا) بلد العنف المسيطر الشديد

ترابها بذاته معذب

يجأر غاضبا في وجه ضوء الشمس

سهولها فجاج قد بدت مشققة .

ومثل تلك الارض قد طوت برملها

شر الثعابين التي تصمى الضحايا من خلال الرمل وهى لا ترى

يتعذب الانسان ، يجأر غاضبا ، ويقتل

فهْمي لهذا الموطن الجديد:
من خلال الحب والعطف الشديد ،
لم يعد فهمي له بأنه ذعر مبيد ،
كذا فهمت آل « كيللى » . . . انه فهم أكيد.

بـــيرن : يبدو أنك ماعدوت بما فهمت، طقوس أدعية الجنازة والصـــلاة
وذاك أقصى مايود بأن يكلّف فهمه من مثل شكللك في غبـــاه.

تارلـــتن : يا « جريبل »،
في الأمر أكثر مما سردت فيما تقدم.
اترك حديدة الركاب برهة، في وهج الشمس أو خزان بندقية،
واقبض عليها تحرق كفك عند لمسها
بهذه الطريقة ، تلهب « استراليا » لبّ الانسان:
تلهبه حرارة تفوق ما يقدر على حمله البشر ،
يارجل ، (استراليا) هى التحدى
بكل مافيه من الضراوة ،

بكل مافيه من المدى الطويل في اتساعه
بكل ما فيه من اللهب ،
يدفع الناس ليهرعوا نحو الحياة كالدواب
تغذّ بالركض إلى منابع المياه :

فبينما يهيب بالناس مهيب : « هيا إلى مناجم الذهب »
يهيب آخر : « هيا إلى ما بعد تلكم القمم » ، وراءها !
وراءها ! شدوا الهمم .

نار الفريق في حنايا الغاب ، فيه الاشتعال ،

يبدأ في الذهن كما يكون بدؤه في قمم الجبال .

نيـد : يكاد ما قيل يكون ، أكثر صدقا بقليل
يأيها الكاهن ! (أستراليا) ، أرض بها يقدر أن يركب خيلا الرجل

بـريت : أو يهوش خيلا الرجل ، تقرنى فيما أقول !

المتسكع : هات لى كوبا من الجعة ياساقي الندامى .

نيـد : هاكم رجلا يعرف شيئاً عن استراليا — لبِّ طلبه يا « كوكس » .

بـيرن : متى كانت آخر مرة شعرت بها بأن (استراليا) تلهب ذهنك كما تلهب خزان البندقية يا « ليفنج »

ماكـــين : إنه يلتهب الآن ! ..

بـــيرن : كمثل برميل القمامة، يحتدم ببطء ولكن اشتعـــاله مضمون أكيد.

جـــريبل : كم تركض الخيل بكم في ذى البلاد الحارقة

وكلكم صنو « ابوللو » ضاربا ومارقا كالصاعقة ،

يركض خيل الشمس في جو السماء مارقة.

واضيعة افتخار فارس الهيجاء ! واضيعة الرشاقة!

واضيعة الجلال والفحولة!

في ذلك العنف القبيح ، فاقد الاحساس . . .

في . . . شعب « استرنجيبارك» ، بـــل واضيعـــة الرجولة!

فى هذه المقتلة الوحشية،

هذى التى كدنا نراها الآن رأى العين في »جيريليدرى».

بيـــد : ما كنت أنوى قتل « رانكين » كنت مازحا .

(يربت على ظهر « رانكين »).

هات يا « كوكس » له كأساً من » البراند

الســـاقية : وارحمتى ، بالمسكين كله ممزق مهلهل حطام.

جـــريبل : أعتقد أنك كنت لابد قاتله .
قتلت من قبل ، ومن بعد لتقتلن ثانيه .
تظن ما تفعله هزلا مجرداً للهزل يفعل ،
وذاك عندما تهبط عصبتك ،
على مدينة ،
كأنها الصرصر هبت فوق مركب الجياد ،
بنا تـُدوّم ، دائرة ، دائرة ، لا تنثنى أو تقف .
لكن صرصر الفناء لا تشعر أو تحس ،
تفنى جماع ما بنى الانسان أو تهلك ما زرع ،
ويقف الموت الزؤام وقفة معتدلة
وسط صميم الصرصر الساكن لا يريم .
قبل بدء الهزل ، أو اثناءه ، أو بعده
رجع صدى لطلقات النار من سلاحكم
صدى لقتل النفس والجريمة .

نيـــد : تدعو الذى نفعل قتل النفس والجريمة .
تغثى لما تقول نفسى ، يتغشانى الدوار و (القرف) .
لست هنا بواقف موقف مجرم متهم أمامك ،

أو أمام أى واحد على الثرى من البشر .

بـــيرن : « ليفنج » قد أقام محكمة وحاكمك .

ألفاك يا « كيللى » مجرماً ، وجرمك .

ألم تؤد ذلك الــواجــب ، يا « ليفنج » ؟

ليفنـــج : لم التحرش بى في كل فرصة تلوح لك ؟

أنا لم أقل شيئاً .

بـــيرن : فيك سيماء الثعبان ، ومصابرته ، وحسن نيته ! !..

جــريبل : ما تفعلون لا يسمى غير قتل النفس والجريمة ،

ليس له اسم آخر .

كان بامكانك أن تعمل ، ان تركب صهوة الجواد

تتسقط الآثار في مناجم الذهب

تنقب الغابات ، والجبال ، أو ما بعدها الصحراء ،

مكتشفا جزيرة خضراء ،

مفيدة للناس في هذا المحيط اللاهب ،القاحل واليباب.

أن تختار في الارض سبيلا واحداً من ألف واحد

تريح في اتخاذه دمك

من سورة التمزقات والقلق ، تغدقها عليك (أستراليا) ،

من ثورة التمرد المقيت تضفيه عليك (ايرلندا) تراثاً باقياً ،
أو من مرارة الشعور من معتّقات الذكريات
بأن من كان أباك مجرم قضى مشردا عن تربة الوطن ،
من أي شر آخر ، يسلبك الهدوء والمنام .
لكنك اخترت طريق الشر والشقاء ،
طريق قتل النفس والجريمة .

هـارت : اخرس ، – خسئت – اقفل فمك .

جـبريل : « كيللى » ، اليك توسلى ،
ليس إلى صبيتك الأغرار أغبياء الطيش في الشوارع
ليس لهارت أو أخيك
أو « بيرن » ، ذا الشيطان ذى المهازل ،
المائع الهزيل لا يعلم ما المصير
ساعده يحيط بساقية ، ورجله تسعى به على طريق الهاوية .

بـيرن : صدقت ، يا أخى ، صدقت لست أزعم ،
بأن انّى طاهرة ،
تصلحنى ، وقد تردنى إلى الصراط المستقيم .

تارلـتن : محتمل تصلحها أنت اذن ، وقد تردها إلى الصراط المستقيم .

بـــيرن : (إلى الساقية) : كيف ترين الأمر ، ياحبيبتي ؟
من يصلح الثانى أأنت أم أنا ؟

الســاقية : لو كنت قائمَ ماعون من حديد لا نسلخ القائم مــن مكانه أسفل الماعون برما بشدة هذرك وتدفقه .

بــيرن : أنا أتهيب التقرب من قائم ماعون من حديد ،

نيــد : ترى، يا « جريبل » ؟ نحن في وداعة الحمام .

من ذا الذى أرديته أنا ؟ لم أرم الا ثلة ، ثلاثة مــن شرطة لا يحسبون . ذلك لا يعيبنى . فلم يكن في الأمر من محيص : من أن يموتوا أو أموت .

كأنى صدت ثلاثة من أكلب الوحش (بأستراليا) كم صاد مثلى أكلب « الدنجو » ، كثير آخرون .

رتشاردز : لن تفلتن » كيللى » من المأزق من بعــد الوقوع في الشبك .

قل ما تشاء ، لكن بالمرصاد لك :

ثلاثة موتى من الرجال ، سيقفون موقف القصاص والحشر يكذبونك ــ (سكانلون) و (كينيــدى) و (لونرنجان) .

جـــريبل : « كيللى » ، لم يعدُ « رتشاردز » الصواب ، فى قوله.

فأنت فينا ، ها هنا ، تضحك تارة ، تمزح تارة،
لكن قبل أن تجيء ها هنا ، قتلت انفسا،
وبعـــد أن تغادر المكان من هنا لتقتلن مرة أخـــرى
وتجرمن .

نيـــد : لا يخف من آل « كيللى » بعض سوء أى انسان على
وجه البسيطة
إن تخل عن أذانا . . . وتركتنا وشأننا .
انما الشرطة مازالوا يودون أذانا ، ويسدون علينا السبل
في كل مكان .

رتشاردز : لن يكفوا، سيظلون يسدون عليكم طرقات الشر في
كل مكان.

تارلـــتن : أبداً لن يستطيعوا أن يكفوا . ..

دان : ضالة الشرطة بالذات بأن نؤذى وأن نطارد .

نيـــد : لم يخلوا سبيلنا قط من بادىء بدء.
حينما ارصد « فتزباترك ــ دان »، قاصداً ايذاءه .
فجلونا وجهة الغاب تتخذناه مقاماً.
فلو كف « فتزباترك » كف القذارة.

عن فتياتنا آل « كيللى » ، لما صرح الشر ما بيننا.

رتشاردز : عين الهراء ما تقول والكذب .

دان : بل انه الصدق الصُّراح .

نيسد : « فتزباترك » أراد « كيت » لنفسه

وسجلت فاتحة المشاكل . . . جميعها .

رتشاردز : بل كانت البداية .

عندما جئت إلى هذا الوجود ،

بل، قبل ذاك عندما ، جىء « برد كيللى » أبيك ،
المجرم الطريد

من أرض « ايرلندة » إلى هذى الجهات

لقتله مالك مسكنه .

نيسد : ألم تقل، إن رجال الشرطة قناصة الأمن المحنكين :
تربصوا بنـــا ، وأرصدوا لنا ، لأن « رد كيللى »
العجوز

كان طريداً ، قاتلا ، جىء به من ارض (ايرلندة)
إلى هذى الجهات ؟

ولن تقول ، بأنه ما كان للشر أثر

حتى أتانا « فتزباترك »
متوددا لأختى « كيت » ، مبددا للوقت عابثـا ،
متسكعا متعطلا .
ولن تقول ، بأننا في حين أفلتنا أنا و « دان » فـى
الغياض منكم
أسكتَّ غضبتك ، يأيها الخنزير ياجبان بأسر أمنا .
أين هى الآن ؟ وما مصيرها ؟ في سجن « ملبورن »
الذى أودعتها غيابته .
صببت جام الغضب الملوث على النساء .
ساء ما فعلت .

رتشاردز : بل قبل ذاك بكثير ، عشر سنين دأبا
قد اتخذت الغاب وجهة ومستقراً ومقاما
صحبة « باور » الطريد
وفي طوال ما حييت من سنين
هشت الخيول والبقر
لم ترع سلطة تنفذ القانون في مصلحة البشر .

نيـد : « هشت الخيول » ما الخيول يا أخا البقر ؟

طردتنى ، شردتنى ، جعلتنى في نظر القانون كالوباء
والخطــر

لكننى مازلت أتحداك ، لو كنت القضاء والقدر .

رتشاردز : لم تصر في نظر الشرع طريدا ، لنهبك الخيول

لكن لما جنت يداك ، في قتل ثلاثة من الرجال الخيرين

« سكانلون » و « كينيدى » و « لورنيرجان »

نيســد : اضطررت وصحابى . . . لقتلهم

طاردونا في الغاب . . سلاحهم ضد سلاحنا

لكنهم لم يفلحوا ، اذ كنا نحن السابقين

في ضغطة الزناد .

رتشاردز : خرجوا لاعتقالكم ، لا لقتلكم.

نيســد : وساء فألهم ، لم نعتقل ، أم هل تأتّى لهم اعتقالنا ؟

وذاك ما آل اليه ، انذاركم والوعيد .

كم آخرين غيرنا سارت خطاهم مثل سيرنا .

آل « كلارك » قتلوا الشرطة مثلنا .

كان صنيعهم مثل صنيعنا ،

لينذروا الشرطة كى ، يجتنبوا طريقهم ويبعدوا .

بوسعهم أن يمكثوا داخل « ملبورن » ولا يزعجوا
يحمون تلك الترهات الناعمة ، من ساكني المدن ،
ويتركون الغاب يرعى نفسه بنفسه .

دان : قسماً بالله ان الغاب يقدر على حماية نفسه .

تارلـتن : هيهات أن يقوى اذا . . . كان في الحمام موقعه .

بـريت : كم تخيلت دائماً ، انكم قلدتم آل « كلارك » ،
في تلكم الفعلة في شعب « سترنجيبارك » ،
وليتكم لم تفعلوا مثيل تلك الفعلة الشنعاء .

دان : آل « كلارك » . . . كانوا رجالا مثلنا .

نيـد : لم أقلد آل « كلارك » بما أتوا من صنيعهم .
لكنني اضطررت أن أحذو حذوهم ،
ألقن الشرطة درساً قاسياً يفيدهم .

جـريل : هذا الذى تقوله من الكلم
وكلما يحفز فيك دافع القتل المصر والعدم
مجردات طاغيات حدها الجنون ، فالقتل دم
كم جثة تثوى بلحد القبر رهناً للعفن
من بعد ما كانت سوية

كانت الجسم الذى تحضنه ، قرينة في هدأة الظلام
بمنتهى عذوبة الغرام .
بل كانت الروح التى في ذاتها تذوب ، تفنى ،
مثلما تفنى مياه الجدول المنساب في بحيرة ،
يلفها صفاؤها ، يضمها هدوءها ، وينطوى الزمن ،
ويدا الزوج المُسَجّى كانتا ، تصارعان العالم الخشن
تنتزعان للعيال لقمة .

نيـــد : لم تصل كفى بريئاً بأذى .

جــريبل : ألن يحين الوقت أن ترى :
ان رجال الأمن من سميتهم « مصائد » ، نبزتهــم
ولم تهاود « قناصة الأمن »
ناس من البشر ؟

نيـــد : ليسوا من البشر . أحسبهم « مصائد »
وكل مازال معلقاً بيننا سنهتدى لحله ، نحن وهم على
المـــدى .

رتشاردز : تلك اذن حقيقة تكفى الفطن .
لا تعدم الشرطة حيلة

لقمع « كيللى » والرفاق ، في قابل الزمن .
فنحن ندرى صنفهم .
ويعلمون ما الذى ينتظرون ، عاجلا أو آجلا .

دان : ليس سوى الكمين ، أو أن ترسلوا تجريدة
خمسين شرطيا لكى يقابلوا أربعة
لكن دون ما تؤملون ،
خرط القتاد . . . فحصلونا أولا ! . .

رتشاردز : لعلنا نفعل . .

جـــريل : « رتشاردز » كم تهمزهم ليركبوا رؤوسهم ويستسيغوا الاندفاع .
تنخسهم فليس يلوون على شىء كثيران الصراع
ليس الذى يجرى بثأر قبلى بينكم ، يجوز أن تحسم فيه حدة النزاع ،
أنتم يا شرطة ، أنتم يا مغيرة الادغال
كأنها حرب تخصكم سجال :
فآل « كيللى » فئة انقلبت ضد مواطنيها ،
وانتم ارادة الشعب التى لا تنثنى تلقى تحديها .

حتى وان أصدرت الأمة أمرها اليكم لتتصيدوهم
عقوبة لهم وثأراً منهم .
فالأمر أمرها في آخر وأول
فلستم بذاتكم بطرف في المشكل
بل أنتم الاداة لكن لستم بالفيصل

رتشاردز : بل اننا لطرف ذو ثقل في المشكل ، فهؤلاء قتلوا رفاقنا في العمل

جـريبل : حتى ولو قد فعلوا ما فعلوا بسيء الطوية ،
عليكم أن تلتقوهم بالحنان الجم والروية .

نيـد : حسبك لا تنبس بذى الشفاعة البخراء يارزية
بقدر ما نالهم من الحنان ، من الذين قبلنا — آل « كلارك »
ننيلهم بكل جود شفقة
بقدر ما جادوا هم من الحنان ، على الذين قبلنا — آل « كلارك »
ننال نحن منهم — فتحة حبل المشنقة

جـريبل : تدرون ما مصيركم ، ثم تصرون على ألا يفوتكم بسوئه .

نيـــد : قبل الذى يبغون أن ينفذوا فينا ، لابد أن يمسكونا .

جـــريبل : لم يفتهم آل « كلارك » ، أمسكوهم وشنقوهـــم . وكانت تلك نهاية البادرة اللطيفة لتحدى المجتمـــع كله ، بقتل البسطاء من رجاله الذين كانوا أداة محركة فيه . لماذا لا تقلعون عما أنتم مقارفون يا « كيللى » ؟

بـــيرن : لقد فات الأوان

نيـــد : هل هى محاولة لارهابى ؟

جـــريبل : ليست هذه محاولة لارهابك . . . ، بل هى محاولة منى لأوعز اليك وأدخل في روعك الغر المخدوع شيئا من التعقل وبضعة من الاتزان . هل سنحت لك يا « كيللى » فرصة للاطلاع على ما نطق به « السير ألفرد ستيفن » قبل اصدار الحكم على آل « كلارك » .

نيـــد : لا يهمنى ما نطق به . الحقيقة أن آل « كلارك » كانوا أغبياء ، اذ مكنوا الشرطة من أنفسهم .

جـــريبل : آل « كلارك» تمكن الشرطة منهم ، ثم صاروا بعد رتق فتقا.

و « نيد كيللى » ــ مازال . . .حبلا على الغارب . . . حرا ، طلقا.

و « بايزلي » — قضى معلقاً ومات شنقا ؛ و «ديفير »
— قد فاز بالاعدام حكما حقا؛

و « جاردينر » قد ناله السجن سنين : عشرا وعشرين،
شغلا شاقا؛

و «جلبرت » — أردته بندقية تدوى طلقا ؛

و « بن هال » — عاهلكم ، يقطعها سبلا ، ويغـــزو
طرقا ، أردته بندقية تدوى طلقا ؛

و « باو » و « فورديس» — نالهما الاعدام حكما
حقا؛

و « أوميالى » — أردته بندقية و « بيرك » مثل حتفه
تلقى؛

و « جوردن » و « دن» طالا على المشنق واستدقا
وحرما حركة ونطقا ؛

و « دنلفى » — قـــد لقى الاعدام حكما حقا ؛ و
« لورى » — أردته بندقية تدوى طلقا؛

و « فين » — قد ادخل السجن سنين يشقى، و «فولى»
— سنى سجن عدة تبقى؛

و « مورجان » ذلك البهيم الاشقى ، من يغتـــلى
أثرة بسوئه ويبقى ،

في شخص «هارت » دون أن ينقى ، أيضا وفــى
أخيك حاز السبقا ،

و «بل سكوت » ــ حليف آل « كلارك » ، قاتليه
غيلة وخرقا ؛

وفي الختام . . . آل « كلارك » الحمقى ، كمثلكم
هم إخوة أشقا ،

ما فرقوا ، إذ علقوا جنبا إلى جنب وماتوا شنقا ،

في سجن « دارلنجهرست » : ظاهرة كالذهب المنقى
باطنه فاق المرارة زوقا ،

منذ بنته حجرا كف الجناة المبعدين شرقا ،

نيـــد : قل ما تشاء ! لا أبالى بمن شنق

فلست الا مثبتا ، بأننا على الصواب ،

في خوضنا معركة البقاء ، ضد مصائد الفناء.

جـــريبل : لست على الصواب ! آن الاوان كي يسود الأمـــن
في هذا الوطن .

ما أكثر الشقاء ! ما أكثر الحطة والاذلال والمهانة !
وما أشد الرعب في جو البلاد المشمس الصحو البديع !
وكم تفشى العبث الطائش ، بعده ، القتل عمـــداً والجناية !

الموت للبرئ ، والموت للجانى على السواء ،

الموت للشرطة يدخلون على الوحوش الضارية ، أغيالها تحدياً ،

والحزن ، واليأس العميق ، للأمهات الثاكلات وللأيامى واليتامى ،

وكل هذا علام؟ على لا شيء ، يا « كيللى » ، على لا شيء.

ماذا الذى تكسبون ، من كل ما تتجشمون ؟

هل تعيشون عيشة الأمراء؟

بل تعيشون كالضوارى الطريدة.

نيـــد : هل ترانى أبدو كإحدى الطرائد ؟

جـــريبل : يخيم الرعب والإجرام في قلبك .

هـــارت : أف لهذا الكاهن المهذار ، أسكته يا « كيللى » !

بـــيرن : صن المواعظ للذين همهم سماعها ؛

أما أنا ، فلابد أن أوفيك عهدا نسيته ، بالامتناع عن المسكرات .

نيـــد : دع الكاهن كى يهرف ياصاح بما يعرف .

جـــريبل : شظية مشعلة من مستدق الحـــطب

قد تحرق الغاب فيغدو مارجاً من لهب .

وهكذا : جرائمكم ستؤدى بكم إلى القتل عمـــداً وسفك الدماء ،

فيسود وجه الأرض مما جنيتم . . . ،

ويقودكم سفك الدماء العامد ، إلى الموت شنقا وفاق الجـــزاء .

نيـــد : لى فرس سباقة تفوق نار الغاب ما سرت مع الرياح ،
لن يلحقونى راكباً في الوادى والبطاح .

جـــريبل : في كل مرة ، تركب صهـــوة الجواد .

في حملة جامحة يـــدفعها العنــــاد ،

تشارف الشنق المحيق ،

يأيها المسكين ، يا صديق .

نيـــد : لعنة الله عليك.

أتظن أني لست أدري ما مصيري كله، يكفى بأني مدرك ما أفعل.

جـــريبل : دمك المشبوب نهر ، رهين مجراه إلى النكبة، بل سوء المصير.

نيـــد : أعرف عن دمى، أفضل مما تعرف .

دمى أحبه ، فهو دم بوصف (ايرلندى) يشرف.
جىء به بدون أدنى ثمن ، عدة آلاف من الأميال،
عبر بحار بالفناء تقذف.

في مركب الجناة ، في نفيهم عن البلاد يصرف.

وها هنا عتقه ، عبر السنين ، القيد والسوط دمـــاء يرعف.

ورفسة الشرطى واللعنة والتنكيل حقدا ينزف.

دمى دم ورثته عن والد وفاوه لا يوصف،

مات وفي قبضته حر السلاح يهتف.

ورثته عن ام حسن لم تنل ، غبراء ربك مثلها مـــن توصف،

في سجنها الآن « بملبورن » الدموع تذرف.

وقد يكون في دمي ملح أجاج مقرف.

فى سفرة النفى خلال البحر يغليه هواء صائف

وقد يكون في دمي من عضة القيد حديد في الصلابة مسرف

ومن حياة السجن صخر وحصى لا ترأف

اثغ ثغاء ليس بى ما تبدلن أو تضعف.

تظنني طريدة يؤمل الشرطة باصطيادها أن يحتفوا.

وذات يوم سأصيد و بل آل « كيللى » سيصيدون وآلى أعنف.

أرجو بأن تستطيع صبراً فترى طرائد الشرطة فى مصائدى ترتجف.

تارلتن : ان كان هذا كل ما تؤمل؟ فانني سأنصر الشرطة لا أتردد.

كان « جارديز » شخصا عاقلا، فاستعر واحدة من حيله.

طلق الشر ونم نوم البيات

مثلما تعمل في بعض الفصول ، بضعة من مسبتات الكائنات

انتبذ منزل أمن وسلام ومنام،

في الأعالي في « كوينزلندة » اعتزالا للأنام.

في « كوينزلندة »—

رجال الشرطة بل « قناصة الأمن» كما تدعوهم

بديل الشوارب ينمو في وجوههم عشب يعـــيرونه كل اهتمامهم.

دان : قد اقتفوا أثره إلى هناك ، واحتالوا في القبض عليه، ماذا جنى فائدة من اجتنابه لهم؟

نيـــد : نال « جاردينر » عفواً في النهاية.

لماذا لا ينال عفواً آل « كيللى» ؟

رتشاردز : لثلاثة أسباب وجيهة:

« كنيدى » و « سكانلون » و « لونيرجان» .

نيـــد : تباً لعفوهم.

فلو أردت العفو كنت نلته . سوف أذيع القصـــة المستمرة.

ستطبع القصة لكن نشرها لن يعجب الشرطة دون شك،

سوف اشهر بهم . وأستطيع أن أنال العفو من دون عناء،

بوسعهم أن يمنحوني العفو أو أن يمنعوه ، كلا الأمرين في عيني سواء.

كلاهما يرضيني.

لكنني سأطبع الذى أعرفه ، عن قوة الشرطة، عن انصافها،

وكل ذاك كي أُشهر بهم.

ماكـــين : هل كان ذاك مادعاك بأن ترى «جيل» ؟

نيـــد : أردته أن ينشر القصة في صحيفته ، قصة آل «كيللى» و «قناصة الأمن» بحذافيرها . ولسوف يؤثر نشرها تأثيرا كبيرا . لنا أنصار كثيرون يدعمون قضيتنا، ولكن نشر القصة سيضيف جمعا كبيرا كاملا إلى عدد أنصارنا . سيعلمون السبب الذى من أجله أودعت أمي في غيابة السجن، وكفى بذلك هدفا . لقد دون «جو» القصة بكاملها.

تارلستن : اذن فـ « بيرن » هو محامي قضيتكم ، أليس هو كذلك ؟ ألا تعتقد بأنه سيكون ميالا للتعصب للقضية بعض الشيء؟

ماكين : يزعم أن « بيرن » هو الذي يدبر الخطط لغاراتكم هذه. يدبجها كتابة مسبقا ، يحلل الغارة بكاملها على الورق قبل البدء بها. فهل هذا سر نجاحكم في الافلات دائما من الوقوع في المآذق؟

فيد : لا يهم مطلقا أن تعرف كيف ندبر خططنا . ولكن الذي لا مراء فيه أن « جو » يملك عقلا نيرا .

بيرن : أي ، نعم ،

هذا أنا أمامكم ، شخص ذكي المعى ،

فحل كأكرم الجياد ، اتخذ الغابة وجهة ،

يخطب ود مهرة وحشية ، ما طوعت ظهرا لراكب

تلقب الحرية الحمراء ، يولدها مهارة فحولا ،

بيض العيون تصطفى ركوبة ، لآل « كيلي » الأكرمين .

كان منالى قصبات السبق ممكنا ، أثناء سير العرض في الميدان ،

وبعد كسبي السبق والفخار ، أمضى لرعى العشب في المروج ،

بين مهارة الحظيرة ، مصطكة الركبات ، تلكـــم الصدفاء ،

من طول ما قد أنست وألفت ، تعجز أن تحيد عـــن جادة السبيل

لكنى شمست قافزاً ، فوق السياج المزدهر .

فربما أكون ، أبغضت في حلبة السباق ، طابعها الممل اذ تدور دونما انقطاع

وقد أكون ، عفت شكيمة اللجام ، وساءنى المهماز .

وقد سئمت القزم القميء ، لابس الحرير ، لو أستطيع قذفه من فوق صهوتى .

يركضنى مجارياً كوكبة الجياد ، بين الحواجز .

ليفنـــج : صنعت بنفسك خيرا كثيرا ، ألست محقا في قولى ؟

بـــيرن : أنا ، على الأقل ، لست (مجبرة) ، تنتحر الذباب اذ توّم باطنى .

لكن ، حمداً لله خالقا ، ها أنت ماثل ، يامسخ ، محبرة .
قد كان ممكنا بأن أكون كاتبا موظفا في مصرف ،
وكان ممكنا بأنني قدمت ، أو بين السطور ، جثتى تصلبت ،
في دفتر الحساب كالتابوت .
وكان ممكنا أن قد قضيت عمرى المديد ،
أجمع أرقاماً ولا أعرف ما جملة ما جمعت .
وكان ممكنا بأنني علقت حول عنقى ، قرينة ومنزلا ، وعملا ،
وقد غرقت في قرارة الحياة .
والله ، يا « ليفنج » ، ربما قد كنت أنت ذاتك ،
أو حتى ربما ، يمكن أن قد كنت ، بالمثابرة ، على أشدها ،
« اليوت » تلك الآلة البليدة الصماء ،
أرسخ الدروس بالعصا ، على مؤخرات صبية الكتاب ،
ويعلم الاله وحده ، لغير أجر اليوم أكسبه ، لم فعلت ما فعلت .

نيـــد : لا أدرى ، أأعلن الاجازة للطلاب أم لم يعلنها ؟

دان : لن ينسى « اليوت » ما عاش ، عبثنا به .

بـــريت : بل انه لن يتجاوز عن فعلتكم أو يسامحكم ، سحابة حياته .

تارلـــتن : كنت مستعدا أن أبذل ورقة بخمسة دنانير — لو لم يحل القحط والافلاس بوجودكم أيها الاشقياء فلم تتركوا لى حتى ورقة واحدة — لمجرد أن أسمعه يبلغ صبيـــة المدرسة بأن « نيد كيللى » قد أعلن اليوم اجازة .

بـــيرن : اذن ترى يأيها « المحبرة » ، بأننى يمكن أن قد كنت أنت ، أو كنت « اليوت » السخيف

أو ربما كنت « جريبل » — وكنت أستطيع أن أثغو مثله

محييا جماعة الكنيسة — يا اخوتى الأحباب والاعزاء ،

وكنت أستطيع أن أكون واحدا من الكباش ،

أطوف ثاغيا على بيوت التابعين ، ممن أؤمهم عنـــد الصلاة ،

أشرب فنجانا من الشاى هنا ، آكل الكعكة هناك ،

وكان بالامكان أن أكون ذلك الكبش الخصي ، أبارك الاعراس،
أثغو لكل نعجة تجلى إلى خروف.
وكان بالامكان أن أخط :
(بعاء) !)بعاء) ! تبا لكم يا آل « كيللي » السيئين ،
لكنني ربأت بالنفس ولم أسف.
اخترت أن أغوص في الخطيئة. وذاك خير مايروقني .
تغمرني مشعشعة — من حان كوكس — تغنى بها النفس وتقرف،
لا أنثني مصطحبا للساقيات اللاهيات، ممن عرفن لذة الحياة ..

السـاقية : اسحب تلميحك.

بـيرن : ما كان قصدى أنت بالذات ، فلا تنزعجى.
قفى هناك ذاك حسبي وكفى!
لأنت كالبدر الكبير الأحمر ،يتوق مدى رانياً منجذباً بشكلك البديع ،
فقبليني أو فاتني ، أغرق في نفسى وأنتهى.
(يتعانقان).

رتشاردز : يبدو لى أنكم لا توجهون كل اللوم إلى الشرطـــة، أستطيع أن أوكد ذلك نيابة عنكم.

بـــيرن : ليتك لا تقاطع.

أنا بأعلى طبقات الوجد مدا صاعدا،

وأنت في ذاتى تعكر الفناء في الحبيب ، يا أخطبوط !

يامنتهى سوء العذاب !

اغرب عن وجهى . تحدث إلى « كيللى »،

حجتنا في كل ما يمت للشرطة بسبب.

رتشاردز : لا تضطهد الشرطة أحدا . يخونك التعبير ، أيها الفتى ، حينما تطلق على ما تزاوله الشرطة أداء للواجب، اسم الاضطهاد . ولن تكون موفقا في أن تسمى ذلك بأى اسم غير العدالة والانصاف، وتتأكد الشرطة من أن كل مخالف للقانون يوقف أمام القضاء ويحاكم .

دان : هل كان قناصة الأمن يترصدون لاقتناص آل « كيللى » في شعب « سترنجيبارك » ، أو لم يكونوا؟

المتســكع : والله كانوا !

رتشاردز : أنا لا أقول بأنهم ما كانوا يبحثون عنكم. ففى مصلحة العدالة ، فعلا ، كانوا يترصدون لكم.

نيســد : اذهب إلى الجحيم مع عدالتك ؛ فإنها عمياء ، كـــذا يقال ،

وانها عمياء دون شك . عمياء مثل فرس جاحظـــة العينين حولاء النظر .

عمياء كالثور الخصى ، اصابه العته ، ينطح كل ما يصادفه :

كل عمود قائم ، وكل جذع أثر لشجرة ، مرتبكا لا يدرى وجهته ، واواهما ،

وبعدها يخجل ثم ينفر ، من أى شيء تم عن صلابة ، أو أنه حقيقة راهنة اعترضت طريقة في الظلمة الخاوية السوداء ، في عماه .

كأنما حق لكم هدر دمائنا وصيدنا ، لأننا اغتلنـــا ثلاثة من الشرطة :

« كينيدى » و « سكانلون » و « لونيرجان)

ولن تكلفوا نفوسكم ، بأن تعودوا للوراء ، بفكركم ، ستة أشهر ،

لتعلموا بأننا قد كنا مجبرين ، أن نقتل العداة .

كان علينا أن نعد للقتال ما استطاع جهدنا وأن نقاتل الشرط ،

انى ثقفناهم ، بلا هوادة .

لأن ذاك الجرذ اللعين « فتزباترك » ، أصاب معصمه طلق رصاصة

ووجه الملام ، لآل « كيللى » الأبرياء .

شاركنا الجلوس حول نارنا ، وذاق شرابنا ، وقد علفناه طعامنا ،

وظل بابنا ، حسب اعتيادنا ، منفتحاً له مثل انفتاحه ، لذادة الأغنام أو حمالة العياب ، أبناء السبيل .

لم نعتبره غير واحد من أهل دارنا ،

أنا و « دان » والبنات ، كذاك امنا — المرأة التى خطفتموها من هنا ،

من جانب الموقد حيثما اعتادت تعد الشاى «لفتزباترك» لتمسح البلاط والاحجار ، أو تبلى وتندثر ، في سجن « ملبورن » الرهيب .

كم ليلة ، اعتاذ أن يطرقنا الشرطى « فتزباترك » مرتديا بذلة مهنته ،

وكم تسامرنا معه ، أنا و « دان » ، وكم بذلنا الرحب والسعة .

عيناه كانتا تخالسان الفتيات النظرات ، ولم تكن نظرته « لكيت » بريئة طاهرة كنظرة العدالة التى يمثل باردة عمياء .

كم مرة كان يند خاطر أو خاطران ، على لسان « كيت » عن الشرط !

نحن تستعيد لمحة عابرة قصيرة أيام كنا نازلين بيتنا ، غير مشردين :

قد غرنا اللعين « فتزباترك » ، أتى الينا الفأر ذات ليلة محاولا يوقف « دان » يعتقله ، بتهمة قد لفقت باطلة تدور حول سرقات الماشية ؛ تعلة شاء بها التهديد كى يحظى « بكيت » !

الرجل الذى انزل بيننا في بيتنا ، وذاق عيشنا وملحنا ، ذاك « اليهوذا » القذر

ما همه يبيع رفقته ، يهوى على فؤاد أم ، يفرغه ، من محتواه .

لأجل شارة تزين ساعده ، أو أنه يحظى بوصل من فتاة ، تحتقره .

رتشاردز : ولهذا أطلقتم النار على « فترباترك » ؟

دان : لم نطلق النار عليه .

نيد : ماهانت الأمور مثلما تصور الجبان ، يمضى بمن شاركنى الاخوة .

بدون أن أهز ساكنا ، ولم يكن يحمل حتى ما يفوضه ، بالاعتقال .

وبينما كان النزاع والشجار بيننا محتدمين ، جر مسدسه وانطلق السلاح خادشا معصمه اللئيم .

رتشاردز : أوئيدك على أن حبكة القصة محكمة ، إلا أنها كاذبة بقدرما هى هزيلة .

نيد : لم ، اذن ، حسب تصورك ، لم نرده بطلقة ؟

كان بوسعنا بدونما صعوبة نرديه كالثعبان ، يستأهل الردى .

لكننا لم نعترض سبيله ،

فلم نرد أن نشنها حربا على الشرط ،

شئنا بأن نعيش مثلما نحن عليه . لذاك لم نقتله .

لم نعترض سبيله ، لكنــه انبرى معبرا عن الوفــاء والجميل .

مستصدرا لكل واحد من اهل بيتنا ، تفويض قبض واعتقال .

لم يستثن حتى الوالدة ، لذاك زجت سجنها

أما أنا و « دان » فقد فررنا وجهة الغاب بجلدنا ،

ومن هنا تبدأ قصة الانصاف والعدالة ! . .

رتشاردز : هل أنت طامع بأن أصدقك ؟

تارلــتن : أتح لهم فرصة يارجل . .

نيــد : لا يستطيع . . . الشرطى ! . .

حال عناده تظل دائما كما هى .

كنت غلاما يافعاً ، ما جاز عمره أربع عشرة ،

غرر بى لامتطى ، مهر مهرج .

وبينما المفروض أن تكون ، نظرة الانصاف والقانون :

أن صبيا لا يعى حقا وباطلا أكثر مما قد تعى قــبرة بريئة ،

نطقت المحكمة العادلة الحنون ، بغير ما تصور الواعون :

السجن أشهراً ثلاثة لخارق القانون .

أى صبى يختلى بالعنفوان ، يجن بالخيل وبامتطاء صهوة الحصان ،

يترك فرصة تفوته ما سنحت له بذات مرة من الزمان .
ستضحكون وكفى مما جرى ، لكنهم ما ضحكوا لفعلتى .

لأننى من آل « كيالى » الآثمين سلفاً :

نحن الذين كم تصب فوقنا التهم ، بلا مبرر

فإن يضع حصان ، لأحد الرعاة الموسرين :

فآل « كيللى » أخذوه . . وتنفر المهرة نحو الغاب عندما

تشم ، في الهواء ، من خيل البرارى ريح فحل :
فآل « كيللى » أحرزوها .

بعض العجول عندما تعرض للتفقد تبدو قصيرة ، وقد تتيه بقرة :

فـآل « كيلـلى » ـ مغيرو الوسمات فوق البقـر المسروق ـ كذاك نوصم

هم سبب للتيه والقصر ، في عالم البقر ، تعجبوا فكل شر نحن صانعوه .

عيوننا شريرة تصيب كل ما ترى بالعين و الحسد .

فإن نر الدجاج ، لا تبض ،

وحيثما سارت بنا الطريق يفسد « الغلال » ، يأكله الدباء والجراد .

رتشاردز : إذن هى ـ الآن ـ الجراد ، قاتلة الشرطة في شعب « سترنجيبارك » :

« كينيدى » و « سكاتلون » ، و « لونيرجان » .

نيـد : ما كان قصدنا أن نطلق النار عليهم . البادئون ، كانوا هم .

انقضى « لونيرجان » خلف مكمن وشاء أن يقتلنى بناره .

ونحن ما شئنا سوى إنذارهم .

بـيرن : هذا هوالصدق الصراح .

فلم نكن نقصد قط ، ان نطلق النار عليهم ، لكننا اضطررنا .

جـــريبل : اضطررتم . لسوف تضطرون دائماً . وتحسبون أنكم أحرار

لانكم في الغاب تخلدون للمنام لكن نومكم نهب الكوابيس المؤرقة

شرعتم قانونكم لذاتكم ، بئس القوانين قساوة

الحرية التي يتيحها لكم أقصى صنوف الهزء والسخرية.

فأنتم مكرسون منذورون ، للقتل والجريمة .

رتشاردز : اركبوا خيلكم حيث شئتم ، إلى اقصى مدى وبأقصى سرعة .

حبل العدالة حول اعناقكم .

نيـــد : حيثما تذهب يا « رتشاردز » فاجث حيث شئت ، ستحس شيئاً بارداً ، كالصخر ، في القذال في قفاك ، تلك رصاصة . « رتشاردز » تعال إلى سلاسل الجبال واحصل على رداك .

هـــارت : لابد من تلقين ذا الكاهن درساً قاسياً ، « يصلحه » .

ماكـــين : لن تفعلوا ذلك ، إننا نعارض ! .

بـــريت : ماقاله الكاهن معقول وفيه موعظة ، أتركوه وشأنه .

قصده ، يا « كيللى » أن ينذركم — أمعنت تفكيرا بأمركم —

هل تعلمون ما الذى سيهوى بكم .

بـيرن : قشرة موزة .

نيـد : من الذى أوقعنى ذا اليوم ؟ « رتشاردز » أم « رانكين » انظر اليهما ، يأيها الرجل .

بـريت : « جريبل » سوف يوقعكم .

ان لم يكن بنفسه ، فالمبدأ الذى يعتنقه ،

بل الرجال كلهم ممن يؤمنهم ، بكل خوفه من خطر الدغل الرهيب ،

هم الوف من رجال بسطاء ، يخشونكم ويبغضونكم أو أنهم بكل ما في الأمر من بساطة ، لا يـدركون كنهكم ،

أما أنا فأحبكم ، يا آل « كيللى » ، لم يمسنى منكـم أذى ،

لقد تغيرون على حظيرتى ، وتنهبون فرسا أو تسرقون ماشيتى .

وسوف أطلق رصاصة عليكم كمثل إطلاقي لها تجاه صقر غير قاصد لصيده .

ولن تغيظونى ، ولكن قد تسلونني .

فما حصان واحد أفقده ؟

وما الذى يهمنى مما جرى في « سترنجيبارك » ،

ان كانت الأمور ، قد آلت إلى ما آلت إليه .

فلا محيص أن تحاربوا .

لن تعدموا أنتم والشرطة وسيلة لتصفية الأمور بينكم .

بــيرن : آمل أننا سنستطيع .

بــريت : لن يترك الشرطة وحدهم لحمل عبء التصفية :

ان الرجال البسطاء بعدهم ، هم الذين سوف يدفعونهم بلا انقطاع ،

هم الذين سوف يوقعونكم عند ختام المعركة — من أمثال « جريبل » وأمثال « ليفنج » .

ليفنــج بالله خلونى بعيدا لا تزجونى بذا الحديث .

المتســكع : بل اقطعوا رقبته ! .

بـــريت : لا تعر هذين بالا ــ ولأنهم لا شك يحسدون ، حرية أنتم بها منعمون ،

ويحسدون ، هذا التبختر الذى تبدونه على ظهـــور الخيل في ركوبكم ،

و « بيرن » محسود على نعمته بالغانيات ،

لسوف يبغضونكم بحسب ما أنتم عليه ، وسوف يهوون بكم من حالق .

وأنتم لن تستطيعوا تركهم وشأنهم . وذاك ما يزيد كل الطين بلة .

وحيثما تمضوا تلاقوهم وتغضبوهم ،

أكنت أنت ، أم يكون « بيرن » ذا اللسان المصلت ، أم يكون « هارت » ؟

ذا الأحذية الضخمة والتمرجل .

أعمالكم تسومهم سوء العذاب ، لأنكم تدرون أنهم يقلونكم ويبغضونكم .

« ليفنج » سوف يبـــذل الجهد لكى يهوى بكم ، توقعوا ذلك من كل « ليفنج » .

فهو مثال الرجل المهادن البسيط ، ألا ترون ؟ وانه على بساطته ، ليس بلامع الذكاء ،

يكفيه أنه تهمه الوظيفة التي بها يكلف ، وانه صاحب دار وعمل ،

وهمه يرعاهما معا ، وليس يبغي فيهما تدخلا .

لكنكم لم تتركوا سبيله ، ارهبتموه ، ذكرتموه .

أن رجالا مثلكم ، وأن رجالا مثله اللدة أعداء .

أدخلتم ، أيديكم في جيبه ، وكم يهم المال مثله ،

قد بذل الحياة من أجل اكتسابه ، وحاشا أن يغفر ذنبكم .

وتنفرون عائدين وجهة الغاب مقركم ، لكنه يعود صوب الدار .

وكم يحس أنه غدا في منتهى الحطة والقماءة ، فحاشا أن يغفر ذنبكم ،

لكنه سيحرث البستان ، يقلب أرضه وينتظر ، متى

تهوون وتقبرون .

بيرن : لكننا لسنا بديدان .

تارلــتن : تلك هى بعينها المصيبة .

بــريت : أنا بذاتى ، لا أرى بأنكم قد تسخطوننى ، ولا أرى بأنكم قد تغضبون « تارلتن » ،

فهو امرؤ محنك وواسع الخبرة في الحياة ، لم يتخذ من عمل المصرف الا لعبة.

كذا « جريبل » ذاته لن يحمل الغل أو الحقد عليكم أبداً .

لأنه يعيش فى حلم جميل ، يأتيه نوره

من خلل الكوى الملونة الزجاج ، ومن خلال الأمل المنشود أن آل « كيللى » يهتدون .

لكن « ليفنج » امرؤٌ ما أن يقاسى الألم ، حتى يظل ذاكراً لأثره .

كذاك « اليوت » ، مسختموه معزة ، في مشرب عام على مرأى من الجميع ،

كذا جعلتموه معزة أمام صبيته ، في المدرسة :

لن ينسى بغضكم طوال عمره . وليس سراً أمــر « رانكين » :

الرجل المرموق في المدينة ،

جاء كمن يود أن يلقى فيكم خطبة ، محاضرة : هددتم حياته ،

جعلتم المسكين يجثــو راكعاً ، جعلتموه ضحكــة للحاضرين .

كيف ترون الرجل الشجاع ، يحس نحوكم

حين تجرونه من غفوته وتحطمون أعصابه على رؤوس الشاهدين ؟

هــارت : كيف تحس الآن ، يا « رانكين » ؟

رانكــين : دعني وحالى لا تنغص عيشتى .

كوكــس : لقد تلقى صدمة أزعجت أعصابه .

نيــد : أرح له أعصابه بقدح من (البراندى) آخر .

(يبعد « رانكين » القدح المقدم له بحركة رافضة من يــده) .

بــريت : دع الرجل — دعوا الأناس البسطاء

فانهم مثل الذئاب لا يروقهم الصيد إلا بالقطيع

يبغون صيدكم وهم جماعة لينشبوا الأسنان في لباتكم ، حناجر الجناة .

هيا اتركوا « ليفنج » واتركوا « رانكين » واتركوا « ايلليوت » ،

حتى « كوكس » اتركوه وحاله ،

فان تكلفوه ، يصب خمراً زائداً عما سلف ، يسمه لكم .

كوكس : المستعان الله ! هل أسمهم ؟ حاشاى فعل ذاك .

مقدمهم عليّ كان مقدما سعيداً في يومنا هذا .

أضفوا على هذا المكان مسحة من الحياة الطلقة الممراح .

المتسكع : والله لو الفيت طفلا عاجزا وليدا ، يمتص سدادة قنينة ، لما تراجعت بتاتا ان تسمه .

ليد : ياصاحب الحانة ، يا أخى ، املأ الكؤوس ثانية

ثم أدرها ساقيا هذا الندى على حساب آل « كيللى »

المتسكع : مرحى ، مرحى !

نيد : (يستخرج من جيبه أوراق نقد) : سأريكم ما الذى ساصنع .

نحن على وشك أن ننهى آخر دورة من دورات الكؤوس .

يؤسفنا فراقكم فسنعود إلى صميم الغاب ثانية .
يسرنى أن أدفع الحساب ، عن الشراب .
(يسلم « كوكس » النقود) . هاك النقود ، يا أخى .
كى لا تقول إن آل « كيللى » ما عاملوك بالتى هى أحسن .

كوكس : شكراً لك . ما كان ما يدعو إلى دفع النقود ،
وانى متأكد مما أقول .
ومادمت قد أصررت إلا أن تسدد الحساب ،
فانى ليس لدى غير إزجاء الثناء ، على الشهامة والرجولة في خير مثال .

نيد : « كونستابل رتشاردز » ، « جيريليدى » تعود اليك ثانية .
عد إلى زنزانة التوقيف حيث شرطتك ، أخرجهم .
اذهب إلى المصرف واطمئن ، ان لم يسرقه أحد .
وقم بنزهة ان شئت لا تخش مكدرا .
« جيريليدى » تعود اليك ثانية .
« رتشاردز » —

رتشاردز : نعم ؟ . .

نيــد : تقدر أن تكتب محضرا عما جرى وما اقترفناه هنا :
قل للذين يرأسون عملك ، بأننا عثنا بكم ، ثــلاثة أيام بطولها .

رتشاردز : سأكتب التقرير دون شك .

نيــد : لا ريب عندى أن ستكتبه .

بــيرن : يا « كونستابل رتشاردز » —

رتشاردز : وأنت ماتريد ان تأمر به يا سيد « بيرن » ؟

بــيرن : اذا رأيت من تشك في ذواتهم ، أوقفهم ، اعتقلهم
مهما تناه حذركم من مغيرة الأدغال ،
لن تصلوا لغورهم .

نيــد : هيا بنا يا أخ « جو » . لن تدرى في أى حين سوف تساوره الشكوك فيعتقد ، بأننا مغيرة الأدغال . ! . .

بــيرن : في هذه الغرفة أشياء أربعة ، أبغض أن أفارقها .
احدها هذه (الروم) البديعة ، والثانى « الكونستابل رتشاردز » ،
والثالث صديقى العتيق « ليفنج » هذا المحبرة الناطقة ،

أما الأخير وليس الآخر فهو القمر الأحمر ، قمـــر الحب ، المتهادى باطلالته هناك من خلف المشرب .

السـاقية : عد لى ثانية حينما تصبح شخصا محترما .

بـيرن : واأسفاه ، لم أعرفك في سن الثانية من عمرى . في ذلك السن كنت طفلا محترما جدا .

نيــد : كدت أترك الكيس المزدهر ورائى ، بما فيه ، ثلاثة آلاف دينار !

هيا بنا ، أيها المهرجون ، والا لعدت لايداع المبلغ في المـصرف .

دان : على بركة الله ، يا « نيد » . بادر يا « ستيف » .

هـارت : على مهلكم سأشرب ما تبقى في قدحي .

بـيرن : إلى اللقاء يا حبيبتى .

بـريت : سأخرج لوداعكم .

نيــد : ابق حيث أنت ، لا يبرح أحد مكانه

وأنت يا « رتشاردز » اذا دسست انفك خارج باب الخان ، سوف اقتلعه بطلقة واحده لاحتفظ به فـى قنينة .وأنت أيضا يا « ليفنج » ، لا أريد أن أرى متطفلين ، يختلسون النظر ، يراقبون أين نذهب .

ولا أريد من يقلد الأبطال ، يطلق طلقة خلف ظهورنا.
ابقوا كما أنتم وحيث أنتم ، حتى تتأكدوا بأنكم لا
تسمعون أبدا حسا لوقع خيلنا ،
وبعد أن يهدأ ثائر الغبار .
وبعدها فأنتم أحرار تصنعون كل الذى يحلو لكم .
وداعاً ، ياسيد « جريبل » .

جـــريبل : وداعا ، يا « نيد كيللى » .

(يغادر آل « كيللى » المكـــان

ينزل الستار

* * *

الفصل الثانى

المنظر الاول

(في كوخ بين سلاسل الجبال ، وفي احدى ليالى شهر يونيه (حزيران) ١٨٨٠ ، وذلك بعد عام وأربعة شهور من الاغادة على بلدة « جيريلديرى » الريفية . الكوخ المهلهل البناء ، والمكون من غرفة واحدة والذى تتخذه العصابة مسكنا تختبئ فيه ، أثاثه في فوضى ، قذر ، منعدم الترتيب . تنتشر الملابس القذرة فى انحائه ، والمواقد في حالة سيئة ، على المائدة أطباق أكل لم تغسل بعد الاستعمال ، البندقيات والمسدسات بادية للعيان هنا وهناك ، وتتدلى ركوة غلى ، كما يتدلى تنور مخيم ، وهما يتأرجحان من سلسلتين مهببتين سوداوين فوق المدفأة المفتوحة المدخلة من ناحية الحائط في اليسار . « ستيف هارت » ، بنفس منكسرة ، ينظف المائدة بعد وجبة المساء . ينقل أطباقا ثلاثة واحداً بعد واحد ، لغسلها بالماء الساخن عند النار ، ثم يجففها ويمسحها ويصفها على المائدة .

ينفتح الباب في ناحية اليمين ويندفع « بيرن » اندفاعة مزعجة ، وعندئذ يسقط منه على القاع عود متين من حضنة الحطب التى دخل بها).

هـــارت : (مذعورا غاضبا) : لينسفك الرصاص القـــاتل المردى

ألا تقدر يا « جو » تدخل الدار ، بلا قصف ولا رعد،

لقد أفزعتنى حتى كأنى وثبت من جلدى .

بـــيرن : بحق (يسوع) أن تهدأ ، أن تبقى فوق الرأس شعراتك

وهيا التقط العود الذى زلزل من ذاتك .

هـــارت : أذعرتنى ذعرا شديدا ، ياصديقى .

بـــيرن : عندما تدهمنا الشرطة فعلا ، لن يظنونا سوى (قناغرا)

كل كياننا غدا تنططا ، ما ان يجيئونا لضبطنا ،

حتى نكون قد نفذنا من حنايا الغاب واثبين .

هـــارت : صرنا (قناغرا) ، بلا مراء . لكننا جلودنا قيمتها أكثر من معظم جلدها

ألفا جنيه قيمة لكل جلد مفرد ، (ونحن أربعـــة)

وحق ربنا يجدر صيدنا ،

بالأكلب السوداء ، تعدو خلفنا تقتص اثرنا .

(يجلس عند النار ، كئيبا مهموما)

بـــيرن : (يذرع الغرفة جيئة وذهابا وهو قلق) : وتلك نفس القصة القديمة ، تعيد لى القرف .

فلنفترض أنهم قد أجزلوا المكافأة ، بعد «جيريلديرى»
وبلغت ألفى جنيه ثمنا لكل رأس .
ماذا يهمنا في كل ما يزايدون ؟
فلسنا نساوى الآن في المبيع أكثر مما كان سعرنا القديم .

هارت : بل إن ما نساويه بالجنيه مبلغ كبير .
ثمننا قد صار آلافاً ثمانية.

بيرن : وقبل أن يقضى علينا قد يكون مبلغا أكبر مما قد ذكرت.
إن تقع الُجلّى التى ما انفك « نيد» لاهجا بذكرها
سيجمعون أمرهم جميعهم على كفاحنا، وحين تغدو استراليا ذاهلة،
فانهم سوف يزيدون الثمن ، مضاعفا. دعهم على أسوأ فرض أن يضاعفوه
لن يلحقوا بنا من المكروه ما يؤملون،
لله ما أفضل أن يظل سعر المرء دوما في ازدياد.

هارت : المبلغ المقرر الآن كبير ، ليس يستهان به.
ما أكثر الذين يحلمون بكسبه.

بـــيرن : أهلا بهم يجربون حظهم. عندئذ فآل « كيللى » يبتغون نفقا في الارض يختفون، لن تقدر الشرطة أن تنبشنا من التراب ، ولن تدلهم على مأمننا كلابهم ســود الاهاب خطومها فعـــل الخنازير تدس في الثرى، تنسما لوقع خطونا.

هـــارت : (باستخفاف) : غدوت تهذى مثل « نيد ».

« كل شيء ممكن الا بارضنا « كذا يقول: تلك الكلاب السود اللقيطة لها عيون قد تستطيع أن تـــرى حيث يكون طائر قد نبش التراب خلف دودة ، لها أنوف قد تشم ، حيث تكون نملة قد وطئت أرجلها فوق صفاة ، جلمد من الحجر ،

فآل « كيللى » يركبون، متن الهواء بلا مراكب بلا جياد ، ولا يخلفون بعدهم أى أثر.

بـــيرن : لا أرتضى بلوغ مثل القول هذا مسمعه،

فقد غدا ، قائدنا ، في هذه الآونة الأخيرة، معرضا لسرعة الغضب.

هـــارت : أين تراه قد ذهب؟

بـــيرن : يجوس في الغابة باحثا عن النمور.

قناصة الأمن ومقتفى الأثر . . . أو أنه مخاتل « أم قويق » في تلافيف الشجر ،
أو أنها تخاتله. فاليوم ما انجَسه وما أشر .
لاسيما في موسم التلقيح والسفاد بين أنثى وذكر.

هــارت : التلقيح والسفاد . . . بين أنثى وذكر ؟ ! ..
هذا الشتاء بين قُر ومطر ؟!

بـــيرن : اليوم طير ذاهل ، وهكذا أنا.
في هذه الليلة يبلونى ذهول ونى.
فقد أكون في العراء فترة أنعب مثلها ، أختار وحدى غصنا.
ذاك اذا طَلَّق بالى فكرةً وشجنا.
قد تعترينى غبطة توحى بسعد وهناء،
اذا أقمت وأنا ، كالحجر الصابد علىمتن الأشم مذعنا . ألف سنة.
حتى اختلاف الجو لا ألحظه ، أسَيئا أم حسنا.
لو كنت مثل « نيد » واهما،
لكنت في الخارج في الغابة عنده ومثله أبدو مهاجما،

وكنت مثله صوبت بندقيّى إلى . . . لا شىء مطلقا ،
أفجؤه مداهما ،
وآمر اللاشىء أن يرفع ساعديه ، مستسلما ،
ولكنى بشر ، لا خشب ولا حجر ،
وعقلى ليس محصورا على التفكير بالشرطة لا تشغله
خاطرة أخرى ،
ففى الدنيا مجالات وأشياء سَمت قدرا .
بعد أن أبعد أميالا خلال الغاب من هذا المكان
والمدى يقصر عن عزمى وعن شوط حصانى
هذه الليلة ألقاها فتاة الحان . . . بل « فاتنة الدنيـــا
وحسناء الزمان »
وردة في شعرها يا « ستيف » تدعو للقاء الارجوانى
ثغرها أكمل ما سوى للتقبيل بض اقحوانى .

هـــارت : يالك من منفلت طلق سعيد
منطلق أنت إذن ؟ وها هنا أنا وحيد
ما أطول المدة مذ لاقيت انثى ذات حين ، هل يعود ؟
أنا هنا في هذه الحفرة تثقلنى تهاويم القيود ،

ثور هوى في سبخة وحوله الكون يميد ،
ينتظر الغربان أن تهبط كي تنوشه وحتفه أكيد .
اعتدت ان تخرج لا تعبأ بالحدود ،
و « دان » يقضى طيلة النهار هذا اليوم مثلما يريد
و (الغرة) الصغيرة الحسناء كم تأتى هنا للقاء «نيد» ،
أما أنــا ، متى ، متى تكون لى والحب بعض مــن
وعود ؟

بــيرن : « دان » في الخارج يا « ستيف » ليستكشف أخبار
العدو ، حذرا ،
لا ليستكشف ما زرت عليه متع النسوة أو ما زررا .
ما الذى يدعو لكى تتذمرا ؟
أنت تحظى بالخروج قدرما نخرج حقا كافيا مكررا .

هــارت : صدقت ، لكن ليس لى خليلــة صغيرة تحيل صابى
كوثرا .

بــيرن : لسوء الحظ ، لن أقدر أن أدعو ساقيتى التى أهوى ،
تجىء اليك كى تغمر ضراعك والأحزان والبلوى .
ولكن « نيــد » قد يقرضك (الغرة) إن تسأله
للسلوى ،

فقد ضاق بها ذرعا — كما يروى .

هـــارت : اختك الحسناء ترضيني خليلة ، بعدما خلفها «شيريت» من غير خليل .

بـــيرن : يغلب الحسبان ان تصفيك الود احتفاء بك شهما ولطيفا بالسيلقة ،
لم لا نخطب منها الود من غير وساطة ؟

هـــارت : حسنا ، يا « جو » فقد أتبع نصحك .
فأنا أحرص على أن أعرف عن « هارون شيريت » أمورا ،
هي تدريبها ، ولا شك سترضى نقلها عنه إلى .

بـــيرن : إن « شيريت » لا غبار عليه .
ليس من همى أن يختار عن أختى بديلة ،
فهو مازال صفيىّ ورفيقى .

هـــارت : ذاك من أوجه أسبابى لكى أفصح بالحب لأختك .

بـــيرن : ثق فأختى ليس تدرى عنه شيئا ،
إنه أحرص من ان يطلع المرأة سرا .

هـــارت : أنت موهوم ، فقد حدث في الحان فتاتك

وبذاك السر قد حدثتنا أنت بنفسك

بـــيرن : لم أقل ذلك اطلاقا بتاتا .

إنما قلت بأن قد سمعت أنا لأمر جلل كنا نخطط .

وأنبرى « دان » وشايعته أنت تجزمان :

أن « هارون » الذى أبلغها سر الذى كان يدبر .

هـــارت : ومن أين لها أن تعرف السر سوى منه ؟

وليس لنا صفيّ بين كل الناس لا نكتمه سرا ســـوى « هارون » .

« فهارون » بلا شك التلغراف ، جهاز البث والارسال لا غيره .

بـــيرن : في كل أنحاء المدينة يلهجون بذكرنا ، يتساءلون . .

ويعجبون . . . أنى ذهبنا ، وماذا نحن صانعون

وأين مظهر أمرنا في كرة أخرى تراه أن يكون

فاذا تناهى ما أشيع إلى مسامعها ، لم تتقولون

ان الـــذى أفـــضى اليهـــا بـــه « هارون »

إن الإشاعة في عموم الناس طبع وحديث ذوشجون .

هـــارت : ولكنه يتعاطى الشراب ، في ذلك الكوخ رث البناء .

بـــيرن : ربـــاه ! واضيقاه !

وذلك الحان مرتاد لكل فتى مثرثر كغراب الشؤم هذار

ماذا يصير اذا ما زل مقولـــه وأهرق السر جما أو بمقـــدار ؟

وما الذى ضرنا من أجل هفوته ان كان زل بـــلا قصد واصرار ؟

هبه أراد افتخارا أو مكابرة بأنه بخفانا عالم دار :

هذا جزاء رخيص عن صنائعه من أجلنا اذ نلاقيه بإعذار

جاسوسنا في رجال الامن مجتهـــد وكم أتانا بأسرار وأخبار

وذى مجازفة تودى بعاتقة — كما ترى — دون تحذير وانذار .

هـــارت : أى أمرئ مشابه « هارون » في استعداده

يفضى بلا تحفظ بسر عصبة كآل « كيللى » الآمنين صحبته

جزاؤه المودع في انتظاره أوفر من إعذاره

عن زلة النفخة والتبجح ، لدى غوانى الحان والساقيات ثمانية آلاف دينار .

بـــيرن : شكك والريبة قد فاقا الحدود !

هـــارت : بل ما أشدها سذاجتك !

فالفأر لا تدرك كنهه ، الا اذا رأيته ، لحما وعظما ماثلا لناظريك .

بـــيرن : إن هارون زميلي وصديقي ،

ذهبنا سواء إلى المدرسة ، وزاملته في العمل ،

ولولا رفض « نيد كيللى » لكان الآن خامسنا ومن أفراد عصبتنا .

هـــارت : آلاف ثمانية ، من الدنانير

له خير وأبقى من قرين خارج عن حرمة القانون .

وآمن جانبا أيضاً وأسلمه .

بـــيرن : « هارون » ان يخذلنى أو يخنى ، فلن يبقى فـــوق الأرض معنى للثقة

وسوف أولى ثقتى كفى وبندقيتى

مفجرا رأسى الذى أوت به سذاجتى ،

وذاك أقصى ما يؤاتى قدرتى

وسوف آتيه بكل نية صادقة وفرحة

ان الحياة قدر لا ترضيه رغبتى .

هـــارت : يا « جو » هل ركبك الجنون ! . .

فما « هارون شيريت » واياك ؟ لأنت أسمى وأكرم .

بـــيرن : « هارون » لى عصفورة السعد التى تزقنى بالأكل في صحراء تيهى هذه .

يحمل لى الخبزْ يعيد لى أخبار بيتنا وأهله وكل ما فيـــه وحوله .

يعيد لى ذكرى الغلال ، القمح مخضرا مع الربيع ،

ومذهبا في وهج الصيف ودفئه .

وليس « هارون » طريدا من حمى القانون ، آخـــر حلقة تشدنى إلى الحياة .

وفوق كل ما مضى ، لقد ترعرعنا معا في ميعة الصبا المقدسة .

هـــارت : اذن ، أحضر البندقية ،

وأطلق النار على نفسك خيرُ البر عاجله .

ان رفيق ميعة الصبا المقدسة ، خوّانها ، هيهات أن يوثق به .

لِمَ أراد أن يكون خامساً لنا ؟ حبا لنا ؟ أم أنه يبغــى النقــود !

لِمَ يحوم حولنا ؟ من أجل ما نلقى له من الفتات.

تبا لمن أزعجتنا به رفيق ميعة الصبا المقدسة ، تبا لك ،

المال ما يسعى اليه دون شك أو مراء .

واعجبي من سخف الطريقة التى تشدك به .

بــيرن : يسعى لسانك في فمك ، كحية تنساب في جحرها .

هــارت : أواه ، يا « جو » لا تُشطن بك الظنون .

فليس قصدى كالذى خيل وهمك المأفون .

بــيرن : القصد ما أردته بــلا مــداورة : تقصد أننى سوف أخونكم .

أنا أخون « نيد » ، والله يا « هارت » لتستحقن الرمى بالرصاص .

هــارت : (بفتور وتبرم) : قد قلت اننى لم أقصد الذى خيل وهمك .

وأنت تحكى لى كلام الرمى بالرصاص :

قد تندم . كلانا يستطيع الرمى بالرصاص .

بـــيرن : (ضجرا ملولا) : « ستيف » ، إني آسف ، فمعذرة.

لقد بدا لى صدق قصدك الحسن .

لكنها طريقتك ، تجرى على علاتها . ولن يفيـــدنا النزاع .

لقد سئمنا ديدن النزاع ، والشجار ، والمناقرة ــ كأن ذاك كل همنا .

وكل ما نزاول ، بل ما فعلنا كلنا ــ منذ نهبنا البنك في « جيريلديرى » ،

بل كل ما يبقى لنا لنفعله ، معتكفين بين هذه الجبال ، في سجننا مع ذواتنا ، منعزلين .

لقد سئمت هذه الرتابة المخيمة ، لقد سئمت منطـــق المناقرة .

كما سئمت هذه العشة والجبال .

وقد سئمت كل هذا المعرض اللعين . رباه ، ماأخوى الحياة ،

فارغة ، قاحلة ، صخرية ، كل حياتنا .

فنحن أربع من الشجر ، ذاوية يلفها الغروب .

هذا المساء بعد شرب « الشاى » بينما كنت تنظف الصحون ،
صعدت في متن الجبل ، جلست فوق صخرة المطل مشرقاً أراقب ،
أدخن الغليون ،
وكان » نيد » قد مضى يجوس في شعب الجبل ،
سلاحه في كفه يبحث عن لا شيء —
والله لن يقدر خصمنا يلقى لنا هنا أثر —
لكن « نيد » قد تعدى غاية القلق ، في فترة الترقب الشديد هذه ،
بل فترة الالحاح والايذان أن يحل الخطر البعيد ،
وقد بدا يسترق الخطو ويدنو حذراً ،
كهدأة الصمت التى تخيم قبل تصبب المطر ،
وهل يظل « نيد » جالسا منتظرا وهادئا ؟
وأنت تدرى كيف صار « نيد » مرهف الاحساس في الآونة الاخيرة .
جلست في المطل ، أدخن الغليون ،

ويعلم الاله وحده ، مقدار وحدتي هناك .

تمتد حولي في القريب والبعيـــد ، على مدى أميال ، وحشة الفراغ ،

وحيثما صوبت ناظرى تمثل لى موحشة شجرة اللبان ، تغشي المتون واحدا فواحدا ، أمواج تلك الشجر التي تغرقنا ،

فشجر اللبان من أمام ، وشجر اللبان في الخلف وراء ظهرك ،

تمتـــد حتى الشرق في المدى ، وتتلاشى شعلة مـــع المغيب ،

فلا نرى بيتا ولا اشتعال نار عندما يخيم الليل البهيم ، واشوقنا إلى خوار البقرات ، في المستراض بجـــوار البيت سائمة ،

واشوقنا إلى نباح الكلب والعواء :

على مدى الاميال تمتد الشجر ، وعندما يغادر النور غصونها

كأنما الشتاء يخلف الخريف ، وعندما ينسدل الضباب ويطمس الوديان لا يبقى لشكل أثرا ،

سوى المتون السود تلك الضخمة المنعزلة المستوحشة ،
وهذه الغصون فوق رأسى المثقل بالشجون ،
ليس بها وريقة تخف أو تهز ساكنا ، تطل فوقي في سوادها المقيت .

الارض هذى موطن لشجر اللبان ، وطنها من قبل أن نأتى هنا .

وسوف تبقى موطنا لها من بعد أن نزول من هنا .

كانت ومازالت لها المنبت منذ سالف القرون ،

كم تنشب الجذور في الصخور ، وتلبس المتون مسحة مجللة ،

وتحفظ الميعة منعا للجفاف واليباب ،

وتلتوى الاصابع الخضراء تمسك الحياة ثانية ،

عندما تلهبها النار وتكتسى السواد ،

وتستمر في النمو — لا تموت ،

والآن ، بينما ، نُعْوِلُ أنت وأنا في ظلها ، تظل تنمو دونما انقطاع ،

كم عادنى التأمل العميق ، في أمرنا ،

أربعة من الرجال وحدهم ،
في كل هذه الأميال من اشجار هذى الغابة المنشرة ،
والبندقيات لنا منتظرة ، في أى يوم نجترئ ، أن نخرق النطاق .

هـــارت : عرضك للأمور ، بهذه الطريقة اليائسة الحزينة ،
يبدو كأنما تظن أننا لم نحظ مطلقا ببارح الفرص ،
وشارد الحظ السعيد ، كمثل حظ « بكلى » . . .

بـــيرن : حسنا ، اذن ، صدرى أنا منقبض . . .
وهذه الليلة انني اضيق بالغاب على أية حال
أشعر أننا في الغاب مسجونون .
لكن في غد أغير الرأى وأقلب البغضاء حبا وحنانا .

هـــارت : يا « جو » ، أنت شريك غريب اطوار .
لست بصالح للعيش في الغاب .
ولست مدركا لم انضممت الينا .

بـــيرن : إنني في التيه مثلك لست أدرى .
لكنني أظن أنني لم أنضمم اليكم بلا سبب .
من أجل « نيد كيللى » التحقت بكم . . .

هـــارت : أنا أيضا ، من أجل « نيد كيللى » التحقت بالعصابة لو لم يكن من أجله . —

بـــيرن : لو لم يكن من أجل « نيد » لكنت أنت والدا لعشرة ، أما أنا فربما كنت ، مطران « ملبورن » . ولات حين مندم . . .

لاننا اخترنا الذى صرنا اليه ، وحدنا ، بمحض مـــا نريد .

وليس « نيد » بالملوم .

هـــارت : (مصعدا كضمة نفسه لكى يعبر عن فيضه) :

ماذا ترى عما جرى في المعبر المشئوم في « سترنجيبارك » ؟
هل نحن — أنت وأنا — مقترفا الفعلة تلك ؟

من الملوم ، عما جرى في ذلك المكان ؟

من الذى أردى بطلقات الرصاص ، الشرطة الثلاثة :

« كينيدى » و « سكانون » و « لورنجان » ؟

بـــيرن : اسمع في صوتك رجعا من صدى « رتشاردز » ، أحس قلبه المثقل بالهموم ، ينبض في جنبك ،

كأننا مازلنا في « جيريلديرى » ،

وصوته مازال يدوى مثلما يخور ، ثور خصى :

« كينيدى » و « سكانلون » و « لورنجان » .

هـــارت : « رتشاردز » في الحاحه كان محقا ومصيبا ،

« بكينيدى » و « سكانلون » و « لورنجان »

قد صحت الفتنة من منامها ،

فقتلهم أدى لأن نصبح كلنا ، من طرداء الــشرع والقانون ،

« فكينيدى » و « سكانلون » و « لورنجان » — لا البنوك . —

الحافز الذى يدفع بالشرطة في أعقابنا

يصحبهم قطيعهم من الكلاب سود الاهاب

« فكينيدى » و « سكانلون » و « لورنجان » — ومعهم « نيد » الذى قتلهم —

هم الذين في الختام

سيدفعوننا في المسلك المحتوم .

بـــيرن : لكن لا تقدر أن تلوم « نيد » .

وربما صح أن يكون ، « نيد » العلوم . لكن لات
حين لوم .

هـــارت : (باندفاع عاطفى) : لكن من يلام غير « نيد » ؟
هل أنت من قتلهم ؟

بل هل يوجه الملام لى ؟ وأنت تدرى جيدا بـــدون
لبس أو غموض

بأنه قال لنا إننا لسنا بحاجة لقتلهم ، بل ننزل الروع
بهم .

وعندما جئنا الخباء ، كان فيه اثناهما ،

« لورنجان » و « ماكنتيار » ــ والسافل الذى أفلت
من قبضتنا ــ

وعندما يلمس « لورنجان » مسدسه ، ليس لغير ان
يريح كفه عليه ،

يغدو الذى أتاه من تحرُكٍ مبرراً « لنيد » :

يرديه مقتولا ، كما نوى قتل البقية جميعهم بدورهم :
ويدخل الخباء « كينيدى » و « سكانلون »
معتقدين أننا لم نبلغ الحد ولم نَعْدُ المجون

بـــيرن : (مهموماً) : بالله لا تحك عن الذى جرى .

لا تنبش الذى ثوى تحت الثرى .

هــارت : ما الذى يمنع أن نبدى بل نعيد ما جرى ؟

فهل قتلت أنت « سكانلون » لما انقض يبغى الشجرة ؟

أما أنا من أجل « سكانلون » فلن أشنق أو اجرجرا .

وهذا أيضا دمه اراقه « نيد » وأهدرا .

من الذى أطلق ناره على « ماكتيار » لما خطــف الحصان

وفر لا يلوى على شيء أشد من جماح الخيل والحران

هل كان أى اثنينا ، يا « جو » ، أم كان مطلــق الرصاص « نيد » و « دان » .

بـيرن : لم تطلق الرصاص أنت ؟

لقد بدا لى أنك اشتركت .

هــارت : حتى إذا اشتركت ، ما اصبته وما قتلته .

لم أدر من هول الدماء والصراخ حينذاك ما فعلته .

قد طاش حلمى والصواب وأنت مثلى . . .

وعندما أصاب « نيد » « كينيدى »

ووقع الجريح أرضاً سابحاً في دمه المراق ،

يجأر مستغيثا ، وضارعاً مسترحما ،
رميته أنت رصاصا ، وأنا جاريت فعلتك ،
خلفه رصاصنا على الثرى ممزقا :
لكننا أنا وأنت ، لم نقصد الذى وقع ،أو نَنْوه . . ؟

بيرن : « ستيف » لا تعد ذكرى الذى وقع ،
حاولت جاهدا نسيان كل ما جنت يدى . . .
لكنها وصمة قابيل التى لا تنمحى ،
موسومة بالنار في ذهنى وما زال أوارها يمضنى ،
ندبتها ما برحت في العقل موقدة .
بالله حدثنى حديثا آخر غير حديثها .

هارت : لا أستطيع أن أكتم الذى اريد قوله عن « كينيدى » ومصرعه .
كان على الثرى يحتضر في نزعه الأخير ،
وعند ذاك ، أصليته أنت رصاصا من مسدسك
وهكذا أنا فعلت مثلما فعلت أنت .
فما الذى دعا إلى إطلاقنا الرصاص ؟ . لأن « نيد » أمرنا أن نطلق الرصاص .

كنا مسيرين ، للاشتراك في إراقة الدم ، جماعة قبلتنا موحدة .

لكى يضيع دمه ما بيننا ونحمل الجرم معا على السواء

والآن نحن في صميم الجرم مغموسون — حتى رقابنا .

ويقع الاثم علينا وجريرة اغتيال « كينيدى »

نيابة عن « نيد » بل من أجله . . .

بيرن : كلنا شركاء فيما حصل .

هارت : جميعنا ننوء بالجرم معا ، نعم جميعنا معا في وهدة الجحيم ،

وكل ذاك ، سببه « كيللى » لنا .

فقد يكون اضطر أن يلجأ للرصاص ، يطلقه عليهم — فلست ملقيا بالا إلى الشرطة أو مصيرهم ، وليكن الجحيم

قد حفروا لحتفهم بظلفهم —

لكننى يقض مضجعى أن يقع اللوم علّى وعليك ،

وأخوا « كيللى » هما اللذان قارفا الاثام دوننا .

بيرن : أنا نفسى الآن لا يهمنى كثيرا أمر الذين أرديناهم برصاصنا . فلقد ماتوا وأسدل الستار على حياتهم .

وهم أحسن حظا – في نظرى – من ذلك الشقى « ماكنتيار » الذى أفلت من يدنا ليقع في سوء المصير . إننى أفضل لو كنت « كينيدى » ينزف دمه على الثرى مما لو كنت « ماكنتيار » قابعا منزويا في مأوى حيوان « الومبت » خائفا يترقب إيقاعنا به .

هـارت : مصدر اختفائه هذا ، اذا صدقت الرواية ، نبذة كتبها والمح بها إلى ما حصل .

بـيرن : يروى بأنه قال : « دهمنا » نيد كيللى » والآخرون اليوم ونحن متخففون من سلاحنا عزل . وقد اردى « لورنجان » و « سكانلون » رميا بالرصاص . أما أنا فانى مازلت مختفيا في مأوى حيوان « الومبت » حتى يجن الظلام . وأضرع إلى الله أن يكلأنى بعنايته ورحمته » .

هـارت : أؤكد لك أن يده كانت ترتعش أثناء كتابة تلك الملحوظة .

بـيرن : ولِم لا ؟

فشدة الخوف طغت على بصيرته ،

لم يحتمل وطأتها ، فكتب الذى كتب

مخففاً من همه الثقيل .

رباه ، لابد أن يكون بعضه لنا مجاوزا كل الحدود

هــارت : لكنه خصص في ملحوظته ، من الملوم ، كان منصفا .
وقال « نيد كيللى » الذى دهمنا .

بــيرن : « ستيف » مهلا . . .

قال في ملحوظته : « دهمنا « كيللى » وآخرون »
لا آخرين غيرنا ، وغير « دان » .

ولم يحد أيضا عن الصواب ، فيما أتى به .

فاللوم واقع على الرؤوس الأربعة .

ليس على « كيللى » بمفرده ، وإن يكن « كيللى »
الذى قاد هجومنا .

فنحن كنا عارفين سلفا ما فعلته عصبة « الكلاركس ».

وقبل ذاك ، كم دار فيما بيننا النقاش عن فعالهم .

وكنا ندرى أننا سوف نهاجم الشرطة ، كعلمهم بما
أرادوا يفعلون ،

وكان عزمنا ننقضُّ فجأة عليهم، وكنا ندرى أنهــم
سوف يقاومون ،

وكنا ندرى ــ حسب ظنى ــ أننا نعمد أن نقتلهم .
وحمْلنا سلاحنا ، كان لعلمنا بأننا لابــد أن نلجــأ لاستعماله . . .

فأمرنا غدا : « لابد مما ليس منه بد »

إما سكوت مطلق إلى الأبد ، أو أننا ننطق بالرصاص ،
وقد نطقنا بالرصاص . لكننى أظن أننا لم نعُد أن نكون أغبياء ، أغبياء ، أغبياء . . .

ولات حين مندم ولا رجوع القهقرى .

هــارت : حسب اعتقادى ، ليس ما تقوله ضربة لا زب .

بــيرن : ماذا تريد أن تقول ؟ هيهات لا حيلة في اليد .

ان الممر طافح يغمره سيل الدماء ، ولست أنت وأنا بقادرين على أن نوقف النزيف .

دعنى أرح للقاء الساقية ، حبيبتى .

هــارت : أصغ إلى ، « جو » ،

البث دقيقة ، لابد ان تصغى إلى ،

بالله لا تمض ، ولكن اصخ السمع دقيقة إلىّ .

بــيرن : (متعجلا ، وهو يستعد للمبارحة) :

هيا إذن ، ماذا تريد أن تقول ؟
كلي آذان إليك مصغية .

هـــارت : صبرك . . . لا تكن مستعجلا .
المرء لا يقدر أحيانا يحدثك .

بـــيرن : خيرا إذن ، فما الذى تريد أن تقول ؟

هـــارت : ما شئت غير أن أحدثك .

بـــيرن : ان الحديث دائما لم ينقطع ما بيننا .
وتارة أمل ، من كثرته ، لو أن ربي خصني بنعمة الصمم .
فما القضية إذن ، بعزة الجحيم !

هـــارت : كل الذى يهمنا يدخل في القضية التى نرزح تحت عبئها .
وأنت تدرى كيف تجرى عندنا الامور ، وأنت تدرى أنها سيئة وشر ،
بل أنت تدرى كم تضيق حولنا في كل حين ، انشوطة الشرطة ،
يدنون نحونا بلا انقطاع .

ثلاث مرات يكاد حظهم ، يوقعنا في يدهم ،
وقد قبعنا حيث نحن منزوين ،
تصلهم أخبارنا ، لأن واحدا يكشف سرها لهم ،
ونحـــن في هـــذى الجبال نختفى ، بل إننا منتظرون نرتجف

بـــيرن : أدرى بهذا كله . فما الذى تظن أننا نقدر على فعله ؟

هـــارت : يا « جو » أنت وأنا رفقتنا لا تنفصم ،
الست صادقا فيما أقول ؟ بلى فنحن رفقة مؤكدة .

بـــيرن : لا شك في رفقتنا . ونحن في ذا الهم مغمورون دفعة واحدة .
وقط لم أقصد مطلقا بأن أكدرك .

هـــارت : إن الذى تقوله حق فنحن رفقة .
في الهم دفعة واحدة ، إذن فلا بد أن نكون رفقـــة وفية . . .
فلا أنا من أخوى « كيللى » ولا أنت كذا .
فالأمر واضح دقيق
أنا وأنت من جهة ، و«نيد» و « دان » من جهة .

شخصان « كيلليان » ، واثنان آخران

بـــيرن : ما قصدك ؟

هـــارت : قصدى لا شيء ، ولكنى أردت أن أضع الامور في النصاب .

« نيد » و « دان » عروة لا تنفصم ، يمتطيان صهوتينا لا يباليان ،

على يديهما تم اغتيال فتية الشرطة في « سترنجيبارك » في الممر .

ونحن — أنت وأنا — ننوء بالجرم الذى اقترفه « نيد » و « دان » .

نحن اللذان سخرانا كادحين ، لينعما بجهدنا الجهيد ، واستأثرا بالخير كله من دوننا .

وعندما تجثو مدينة تحت سلاحنا ، ونكسب الخيرات

من العظيم بيننا وصاحب الآيات المعجزات ؟ لا شك أنه « نيد » بلا نظير . كم ينثر النقود حوله ، كأنها نقوده وحده ، ليست نقودنا وحقنا ، مشاركة — وكم يهيب بالشراب ، يغدقه على ندامى « البار » من علية

الرواد فيه ، ونحن نبدو كصغار القمل صئبانا حرمنا نعمة الكلام .

بل إننا كلاب « نيد » الحارسة

بيرن : لابد أن يكون ، لكل عصبة زعيم .

هارت : بل إن « نيد » يجنى ثمار ذهنك المدبر الخلاق .

بيرن : بقدر ما يكثر « نيد » مما يفيد من بنات فكرى ، يقل في ذاكرة الشرطة ما يصيبهم من خطرى .

هارت : لنفترض يا « جو » أن قد حل مكروه « بنيد » ، فما العمل ؟

بيرن : ستغرق الفلك بنا ، جميعنا .

هارت : لكنك العقل الذى به تدار دفة السفينة

ويستفيد الركب من افكاره الرصينة

بيرن : لا تنس أن « نيد » قلب الطاقم النابض بالحياة

ما إن نجده ضاحكا حتى يكاد ضحكنا جميعنا

يزلزل الجنوب ، يقصف الضلوع في أجسامنا ،

وإن يقطب الجبين ، نهب للروع أسودا عابسين

حتى لنسلخ اللحاء جلفا ونُعَرّى شجر اللبان هاتكين
ستر ها .
يكفيه أن يأمرنا بأن نغير —

هـــارت : حينذاك تفعل المعتاد .
تصادم الشرطة من أجل عيون « نيد » ،
من أجله نحارب ، من أجله نسقط في معارك الفداء ،
من أجله نطيح في الطريق للفناء، من أجله نَرِمٌ بـــل
نسعى إلى العفاء
لنفترض أن مكروها يحل بالفتى ؟
فقد يكون الخير في ذاك لنا .

بـــيرن : لا يجروُ المكروه أن يدنو من أمثال « نيد » :
من رجال القدر المنتصرين دائما .
يقول « نيد » إنه ينوى أن يلبس درعا حينما
يكيد للشرطة في إغارة قادمة كيدا محتما ،
لكنه ليس بحاجة للدرع ، إن حظه يكفيه درعا مـــن
عراه محكما

هـــارت : مسألة فيها نظر ، لكن « ليس تسلم الجرة كل مرة »
وليس في الرهان عما قلت ما يطمئن المراهنين .

بـــيرن : هو في كثرة ما يبقى يجوس في العراء
في العالم المكشوف حيث الحظ سيء ، والحـــدثان ممكن . . .
كالصخرة الصلدة ، بل كالشجرة ،
أو أنه تمثال شخص ماثل للأعين .
ولن يصيبه الا الذى كتب له ،
وذاك حينما تقضى مهمته ، وتنقضى من أجلها حياته ،

هـــارت : ما « نيد » الا مثلنا — مثلك أنت وأنا :
فقد يكون أى شيء سببا لأن تزل فرسه
وقد يخر من على صهوتها ، يلقى بذاك قدره ،
وقد تقيم الشرطة الكمين ،
وربما في ليلة من الليالى ، حينما يجوس في الغابة وحده .
يطلق مجهول مقذوفا ثم لا نكشف من كان الذى قد أطلق القذيفة .

بـــيرن : (متوعدا برزانة) :
لكننى مستبعد ، « ياستيف » ان تحث شيئا مثل هذا أن يصير ،

أم أنت مزمع ، مبيت له ؟

هـــارت : هل أنت دار بالذى يقدر « نيد » فعله ؟

في ليلة من الليال . بينا يكون في سراه ، في مثل ما هو عليه ،

قد يتوارى ويغيب ،

يهجرنا حين نكون في أمس الحاجة ، إلى بقائه .

بـــيرن : رأسك حوض طافح بالسمك الملون الجذاب

يعجُّ أفكارا تشع كلها لطافة تسفر كى تعانق الهواء .

هـــارت : والله ان « نيد » يحيا لأجل نفسه كُلّيةً . . .

وفي الختام ، يخذلنا ، ولا يفى لنا .

بـــيرن : أغثيت نفسى ، أنت لا تطاق .

هـــارت : لعنت ياهذا . . . أنت عارف بأنه مجنون

بـــيرن : بل هو عاقل مثلى وما به جنون .

هـــارت : بل إنه مجنون ، وسوف يودّى بالجميع للجنون .

ونحن في قرارة الخندق قابعون ، والشرطة العطاش للدماء حولنا يَطّوّفُونْ

وأكلب الأثر ، تشم ريحنا وتقتفى لاهثة آثار خطونا

وليس نأمن الذى يخوننا ، « شيريت » أو آخر غيره ،
وقد يكون « دان » ، لكى يصون جلـــده ويأمـــن العقاب

ينبىء عنا فرقة « الشرطة » — وما الذى يفعله « نيد » إذن ؟

في حين لايقدر أن يفعل شيئاً ، غير أن يغادر المكان ،
ويقصد الشمال راضخاً مساويا سطح الثرى

بل إنه يكفيه أن يترك ذا المكان ، مقتنعاً بغيره بـــلا اختيار ،

وكل همه أن يستأنف القتال . لن نستطيع أن نناوئ
القارة (استراليا) بأسرها ،

وفي ولايتى « فكتوريا » و « جنوب ويلز الجديـــدة »
الشرطة الركاب يبرزون ،

وأكلب الأثر سود الاهاب أنزلت جميعها تلهث بعد
دمنا من الأعالى في « كوينزلند »

أين المفر ؟ سدت الطريق في وجوهنا ؟

و«نيد» يبغى أن ينجز الامر الجليل المرتجى،يشهر نفسه
يروم شهرة في مثل هذى الفترة التى نعيشها

بـــيرن : (معبرا عن يأسه) : إذن ، فكيف تنتهى كل الأمور؟
كيف تكون الخاتمة ؟ ونحن نحيا كالوحوش ،
أسنان كل واحد منا تعض وتنوش كل أعناق الرفاق
الآخرين .

هـــارت : لا تبتئس يا « جو » .
ما قلت الا يالها من ورطة بها نقع ، جميعنا
لو حل مكروه « بنيد » . يا « جو » أنت تعرفه
لسوف يصغى لك إن تنصحه لكن ليس لى ،
أخبره أنه مجنون ، أخبره أننا لا بد أن ننفضّ ، والزمام
ما زال مرخى ثِنْيه بيدنا .

بـــيرن : ليكن ، مجنونا ، لكننا جميعنا في سورة الجنون مثله .
لم ابتدأنا السير في هذا الطريق ؟ فعندما ترتبك الأمور
أعيش تحت وطأة الكابوس ، ينهار كل العالم الصلب
أمام ناظرى
كفى ، أصابعى ، وهيكل الكرسى ذا ، والطاولة ،
وكوخنا هذا ، فليس أى شئ واقعا ولا حقيقة المسها ،
وكل شئ يستحيل شبحا ، ظلا بلا كيان
ومجمع الظلال مملوء مُدى ، خناجراً .

أريد امرأة ، أحتاجها .

ومن يضم امرأة كمن يضم عالم الدنيا ، ينزعه من وهدة الجحيم .

هــارت : (يسمع « نيد » قادما) : ها هو ذا الحين قادم . . . أخبره أننا نجزم أنه مجنون .

فالاختفاء ها هنا أو المحاربة ، كلاهما أخطر مايكون: لا بد أن ننفضّ . قل له هذا الذى أقول .

بــيرن : بل أنت قل له بنفسك .

(يدخل « نيد » حاملا بندقية) .

هــارت : هل كل شئ هادى ، يا « نيد » ؟

نيــد : الليلة الصقيع في الخارج قارس شديد

(يقصد المدفأة ليحمى كفيه)

والله هذى نعمة وان تكن ليست بذات شأن ،

وإنه خير بأن يعيش المرء تحت سقفه ويلقى ناراً تدفئه ، وليس ذا خيراً عميما ، ربما ، لكنما « البسم » تدارى عيشها

بما يقل عنه بالكثير .

وقد صنعنا ما يريحنا هنا على الكفاف ، رغم الذيـــن يضمرون .

شرا بنا قناصة الأمن القساة .

ونستطيع المكث ها هنا ، في دعة ، وآمنين ، عدة من السنين .

هـــارت : نمكث ها هنا رهن الركود والعفن .

نيـــد : هل أنت يا « ستيف » تميل للعفن ؟

خيل لى بأنني شممت عرفاً فاسدا عطن .

بـــيرن : ان الذى شممته ليس سوى العرف النتن

من جوربيــــه

ليس ذا مستغرباً ، فقلبه بطبعه ، في نعليه مرتهن .

نيـــد : اخرج إذن وسر ، وانفض من داخل نعليك قلبك النتن

ان كنت شاعراً كمثلنا بأنه لا بد ينفضن .

لكم تهيم اذ تجول سارحاً بلا شجن .

ويالها من ليلة جميلة ، مقمرة وهادئة .

فمن مسافة على مدى عدة أميال بعيدة تقدران تســمع صوتا مبعداً ،

لقد سمعت « دان » آتيا ، في الدرك الاسفل فيالعقيق
كان نائياً ،
وعثرت فرسه فصاح زاعقا ، وقد يكون في سراه ثملا

هـارت : هل الذى سمعته « دان » مؤكداً ؟

نيـد : على العموم ، ما كان من سمعته « الملكة فكتورية) .

بـيرن : إذن ، فهذا الحديث قد ذكرنى ، أنا خارج .
تسمح لى ، يا « نيد » ؟

نيـد : هل أنت يا « جو » ذاهب الى الفتاة الساقية ، ثانية .

بـيرن : الحلوة اليانعة . الخمرة المعتقة ، في الدن قرناً كاملاً .

نيـد : إذن خذ « ستيف » معك . فَرِقة الهواء قد تنعشه وتنفعه

بـيرن : كذاك قد تنعشه وتنفعه ، ساقية ناضرة . . .

هـارت : لست على استعداد ، فالطقس لعين قارس ، أشد مما أحتمل .

نيـد : سوف يكون الطقس طلقاً دافئاً ، في حين ننفض ونثوى في « كوينزلند » ، ألن يكون الجو يا « ستيف » لنا ملائماً ؟

هـارت : ما قلت ما تلمزنى به .

نيــد : أكاد أسمع للتفكير في الموضوع مــن ذهنك صوتاً صارخاً .

بــيرن : هيا بنا الى الركوب وانس الذى قيل وما يقال .

هــارت : اذهب وحيداً خلنى .

نيــد : اغتنم الفرصة لا تفتك ، فقد تكون هذه آخر فرصة..

هــارت : قد تكون ؟ ما السبب ؟. .

نيــد : هى فكرة عابرة طافت بخاطرى .

بــيرن : قد وسوست له بها « أم قويق »

نيــد : هل تنوى يا « جو » أن تلم عابراً بأمك ؟

بــيرن : لا ، لا تخف ، فلست أنوى ذلك .

مهمتى الليلة عاجلة ! أضف اليها فالمزار خطر . . .
في ليلة من الليالى ستغير الشرطة المتربصة ،
تكمن لى في بيتنا منتظرة .

نيــد : تبا لهم جميعهم !

لا يستطيع المرء أن ينزل عقر داره ، أو أن يلم عابرا بأمه ،

مخافة الوقوع في شر الكمين .

هــارت : يا « نيد » ان تشأ ، ألمم بأمك ، فلن يردك أحد .

بل إنهم سيفرحون ، أن يجدوك عندها .

نيــد : « ستيف » خل الوالدة ، وشأنها . وصن لسانك الطويل في محله

من رأسك الذى قد لا يفيده الهذر .

فالشرطة الذين قد زجوا بها في غياهب السجن سيحيون

ليندموا على الذى جنوه .

قد تدرك الآن لماذا قلت : ذى الليلة قد تكون

آخر فرصة لكم لتقصدوا الحان وتشربوا

قر قرارى أن أكون حاسما ، أوقف ما نحن به من الخمول .

: سوف نحارب . . .

هــارت : « جو » قل له .

بــيرن : هذا الجنون عينه ، يا « نيد » .

نيــد : لعنة الله عليكم أجمعين !

ستفعلون ما أريد ، أو أنني اترككم وحظكم :

لن تصمدوا وقتا طويلا وحدكم ، قلبت كل الرأى في الغاب

أو ان وحدتى . ثم توصلت إلى قرار .

أنا الذى أدرى بما أفعله . وأنتم لا تعرفون .

هــارت : أنا عارف ان السباق قائم ونحن فيه راكضون .

لكن لن ترى نتيجة السباق . فأنت لا تريد أن ترى خاتمة المطاف .

(يسمع ضجة عند الباب)

رباه ، يايسوع ماذا الذى أسمعه ؟

(يتواثبون ذعرا ، يقبض « نيد » بكفه على بندقيته ، ويشهر « هارت » مسدسه)

نيــد : ليس الذى أقبل غير « دان » ، ياللك من غبى !

(يدخل « دان » . قد سكر حتى ثمل وهو نشــوان مرح) .

دان : تحية يأيها المتكبرون !

نيــد : (يتجاهله ، ويصرخ غاضبا في الآخرين) :

والآن هل ترون ، لم أقول : إن علينا أن نوقف الذى نحن عليه عاكفون ؟

فنحن خائفون ، يخاف كل واحد منا خطى أصحابه .

هـــارت : أعلم أنا خائفون .

هذا الذى من أجله لابد أن نفر في الاوان .

نيـــد : انا لن أفر أو أريم ذا المكان .

دان : (هازلا متفكها) : عدتم تلتون وتعجنون ثانية .

بـــيرن : أين قضيت سهرتك ؟ هل كنت في مصنع جعة ؟

نيـــد : يا « دان » كيف سارت الأمور ؟ هل من خـــبر ، عن الخصوم المقتنفين بعدنا الأثر ؟

دان : صبرك حتّى أروى الخبر . قابلت أثناء الطريق مشرف الشرطة .

قابلت « هير » نفسه .

نيـــد : لا لم تقابله ! أجداً ما تقول ؟

دان : أجل لقد قابلته . بل إننى أيضا تبادلت الحديث معه .

نيـــد : إذن ، فهل عاملته بما يليق ، من احترام منك منتظر ؟

دان : قلت له أين يسير ، وما الذى يعمله .

نيـــد : لله ما أجلفها معاملة ، لا لم تكن حقيقـــة جلفا كمـــا تقـــول ؟

دان : صدقني حقا إنني مازدت أو أنقصت في الحديث ، عما جـــرى .
ولم يفه بلفظة واحدة . . .

نيــد : كيف جرى ما قد جرى ؟
وأين كان ، يا « دان » مشرف الشرطة ؟

دان : كان الجبان هائما ، قـــرب « جريتا » بعد أن ضل الطريق في الدغل .

هـــارت : وأين قد يكون الآن — ربما تركته يقتفي أثرك . . .

دان : قد اعتلى شجرة من شجر اللبان . ألم تع ؟ قلت إنه ضل الطريق في الدغل ،
قرب « جريتا » ، يركض دائرا في حلقات مفرغة ،
يحاول الليلة أن يخرج من ورطته ملتقيا بنفسه . . .
وليس عنا باحثا .

بـــيرن : إذن « فهير » أرنب مثل اسمه وقد غدا كلبا سلوقيا يحاول أن . . . يصطاد نفسه .

نيــد : ليستعن بأكلب البوليس كي ترد نفسه إليه .
ما القصة التي جئت بها عن الصحاب ؟

دان : ألممت عابرا بدار آل « سكيلين » . . .

نيـــد : هل لا يزال الشرطة الانذال حائمين ، حول البنات ؟
تلك كانت غلطة ، الوغد « فتز باترك » ، من أجلها
أغتالهُم غداً .

دان : قد داهموا « كيت » ضيوفا ثقلاء .

نيـــد : ما خبر « الغرة » ؟ أرجو أن تكون خير ما يرام .

دان : (الغرة) الآن بدار آل « بيرن » .

نيـــد : مافعلوا « بكيت » ؟

بــيرن : بل إننى أعجب ماذا فعلت « كيت » بهم .

دان : صبرك حتى أروى الخبر .

نيـــد : فلم تجد « هير » إذن بحانة الكوخ المهلهل البناء ؟

دان : بينا أنا في أوبتى اليكـــم ،
قد أخذتنى غفوة على الحصان ، وقد جلا عن خاطرى
الشئ الكثير غير أنى مازلت ظامئاً وتائقاً الى الشراب ،
حينئذ صهلت الفرس وبرز الشاذ أمام ناظرى ، في ملتقى
الطرق الثلاث بعد « كوين » ممتطياً حصانه الضخـــم
الكميت الهيكل .

نيـــد : ياليت لى ذاك الحصان .

دان : والله قدتقت الى اختطافه حينئذ ، لكن خطف الخيل
سهل حين لا يحتل فارس من الشرطة سرجها .
أتيته عفواً بلا قصد ولا إبداء كيد أو مراوغـــة ،
لقد تطلعت ، وكان ماثلا أمام ناظرى .

بـــيرن : وما الذى فعلته بالفارغـــة ؟

دان : وتلك أيضاً قد شربتها .
صدقنى أنه كان أمامى ماثلا بلحمه ودمه .

نيـــد : لا بد أن تكون قد ذعرت منه .

هـــارت : تقصد أن يكون « دان » قد رماه بالرصاص .

دان : كنت كأننى هبطت من علٍ فوق الجبان هبطة مسددة.
وبينما كنت أفكر فيما يؤديه مغير الغاب حين يلتـــقى
بمشرف الشرطة وانه لا بد أن يقول : « عمت نهاراً،
سيدى » ،
ألفيت نفسى قائلا له : « عمت نهاراً سيدى » .
وقال لى : : « بالله قل لى أيها الرجل العزيز ،
أى طريق « لحريتا » أتخـــذ » ؟

نيـــد : وهل دللته الطريـــق ؟

دان : قلت له : « أنا بنفسى ها هنا غريب » .

لكن هل حاولت أن تمر في ذى الناحية ؟ فقال لى : فعلاً لقد حاولت .

قلت له : إذن فهل حاولت تلك الناحية ؟ فقال لى : وتلك قد حاولتها .

ثم أريته ، المسلك الآخر قائلا : وذلك المسلك هل جربته ؟ قال : نعم .

وعندها قلت له : حسنا إذن ، أرجو أن تكون قد جريت ذى الطريق ، في قفا الخنزير ؟

بيرن : لا ، لست جاداً ؟

دان : ليتك يا « نيد » رأيت البسمة البلهاء ندت عن محياه البليد ،

دبت كثعبان سرى في شاربيه ، فأشرعا وتركزا . فلم يقل كلمة أخرى ،

بل وكز الكميت بالمهماز وكزة شديدة ، وخف لا يلوى على شئ ،

مخافة على حياته في الاتجاه الخاطئ ،

واشتد بي الضحك ، ولولا أنني لصقت بالسرج لدق عنقي .

نيـــد : يا لك من محظوظ على حظك تغبط ، والله لن أبخل بالمال لكي أمتع بالذي متعت به . لكن هل تظن أنه أدرك من تكون ؟

دان : لا بد أن تكون نفسه قد أوجست له بمن أكون ،

لأنه قد خر نافراً مثل الشهاب الثاقب ، والحمر المستنفرة

نيـــد : إني أراهن بأنه ما زال حتى الحين نافراً .

بـــيرن : وفي نفوره ، ملتفتا من فوق كتفه . . .

ليستبين ما المدى بينه وبين ذاك المارد الذي بدا له يلحقه من الوراء .

هـــارت : ليتك يا « دان » قصفت عمره .

دان : أتى علي وأنا في حين غفوة . . .

وكان في مروقه كالبرق خاطفاً حتى ليسبق الرصاصة المنطلقة أضف الى ذلك ، حسب أقصى ما علمت من نبأ ،

فالغاب كان مكتظاً يدب فيـــه مشرفو الشرطـــــة ووكلاؤهم ،

وفئة المفتشين، وكذاك الرقباء ، ومالا يعلمه إلا الله من
انواع الأفاعى الاخريات
بقدر ما أخفت » هير » كنت منه خائفاً .

بـيرن : لقد أتوا ، وقد رأوا ، ونفروا نحو ديارهم مثل الأرانب

نيـد : ياليت شعرى اين خلفوا كلابهم قصاصة الأثر ،
لو صاحبوها كنت يا « دان » وقعت في الكمين .

دان : قـد فاتنى يا « نيد » أن أنبئك ، أن الكلاب الآن في
« ملبورن » في مهمة جديدة .

نيـد : هل نقلت الى هناك ؟ هل كلها قد نقلت ؟

دان : قد نقل القطيع كله ، كل القطيع الآن في « ملبورن »

نيـد : من أين جئت بالخبر ؟

دان : مصدره « كيت » . ولكن الكلاب ستعود ثانية ، كما
تقول « كيت » ، قد نقلت الى هناك في مهمة جديدة ،
لكنها سوف تعود .

نيـد : سوف تعود للغربان والذباب .

دان : يقال إن هذه الكلاب ، سود الإهاب
ليست فحسب تستطيع أن تقتفى الانسان في مساره . .

بل تستطيع أن تقتنى سحلية تسير فوق الصخرة الجرداء
وبعد أن تجئ ها هنا ، فلن تطول مدة اختفائنا .

بيرن : ليقتفوا السحالى ، لينبشوا الجذور والديدان وليتشبثوا بها .
لكن ليقلعوا عن اصطياد الرجل الأبيض .

نيد : لست أطيق مثل هذا الموقف المشين .
فأنا « كيللى » رجل أبيض من أستراليا ، لن أبقى مثلما أنا
تصطادنى سود الكلاب ، لم أحرك ساكنا .
فسوف يحدق الشرطة عاجلا بنا جميعنا .
تحفنا كلابهم كما تحف بَوْشا من طرائد الوحوش
يقنصها الصياد دونما عناء .

دان : لقد ألموا « نيد » بدار آل « سكلين » .

نيد : ياليت « كيت » بعثت لى من يبلغ الخبر — وكان ممكنا أن تأتى « الغرة » بالخبر — كنا كسحناهم ولم يبق لهم أثر .

دان : لم يتغير منهم موقف « كيت » أختنا ، ولم يفيدوا من من جديد من لقائهم لها .
فأنت أدرى « نيد » من جميعنا بكومة التبن القديمة المحنكة .

بـــيرن : أية كومة تبن قديمة تقصدها ؟ تعنى بذاك « كيت » ؟

نيـــد : سوف تجازيك جزاء قاسيا ووافيا لنبزها بذا اللقب.

بـــيرن : بحق رب الرحمة الرحيم ، لا تنقلوا ما قلته عنها لها
أخشى على جلدى من أن تسلخه ، وأنا حى .
ماهمنى قتال « قنعز » مستأسد على أشده
له مخالب سود كأظفار أخينا « ستيف » ،
كما يهمنى قتال « كيت » .

دان : يا « نيد » هل تذكر كرمة التبن وراء العشة المهلهلة ، في المرج قرب بيت آل « سكلين » ؟

نيـــد : لست بذاكر كومة تبن .

دان : في المرج حينما انطرح « جو » أرضا مع تلك التى من « بنلا » حضرت في ليلة الرقص ، أتذكر ؟

بـــيرن : بالله دعنا من حديث ليس منا ذاكر له

في تلكم الليلة كنت قد سكرت سكرة ملعونة

لم أدر من جرائها ما الفرق بين التبن والبنت التى كانت معى ،

قد ملأ العوسج كفى بشوكة .

نيـــد : لا أدرى ما أصابكم فقد خرجتم عن صوابكم .

ماذا تفيدون من الحديث ، عن كوم التبن ، وشوك العوسج ؟

وما الذى يهمنى أنا بالذات ، عن كومة التبن التى عنها تثرثرون ؟

دان : لكن مقتفى الأثر ، من فرقة الشرطة ، بأمـــرهـــا يعنون .

نيـــد : بالله لا تقل لى إنهم قد عبثوا بعش الحبيب ، ولوثوا مثواى .

دان : هل أنت دار أنهم جميعهم في الكوخ يسرحون ؟

فمشرف الشرطة فيه ، ومعه ثلاثة من الكلاب السود ، ما أنتن ريحها !

كذاك شرطيان .

فما أشدهم على البنات ، كأنهم ضراوة نار الجحيم
الموقدة ، هم يعرفون أننا نأتي إلى البيت متى نشاء ،
وليس يقوون على إمساكنا ،

والفتيات كلما استُجوبن لا يقلن شيئا ، و « هير »
لا ينساه .

ذاك الحين عندما تابع « كيت » مراقب، محـاولٌ
يقفو الخطى من بعدنا ،

وغررت به عدة أميال ، وتوهته ، فوق الجبـال ،
وبلغت به ما ليس يدريه من المكان .

وبعد ذاك جلست تضحك فوق كتلة من الخشـب
مقهقهة ،

ساخرة منهم وفي وجوههم .

هم غاضبون الآن واحتدامهم مثل الجحيم الموقدة .
فمقتفو الآثار حائمون لعلهم يتنسمون خبرا ،

و« هير » لا يفتر ملقيا أسئلة وأسئلة : وأول الذين
يسألون ، فتاتك المدللة ،

لكنها ليست تجيب بل تظل ضاحكة ، فينبرى مشدداً
على خناق « كيت » .

قد أصبحت شغلا له وشاغلا ، وهكذا فالغرة الصغيرة تفلت من شدة قبضته ، وتنبرى تهمس في اذن فتى من مقتفى الأثر .

بـيرن : يا « نيد » احذر ، ياله من منافس خطير !

دان : تهمس في أذن الفتى الشرطى قائلة :

« في كومة التبن التى هناك حفرة فيها الشباب مختفون .

نيـد : وهذه تضليلة أخرى بها يورطون ، لله در « الغرة » ما أشطرها !

دان : وينقل الشرطى — مقتفى الأثر — ما جاءه سراً من « الغرة » إلى صاحبه « جونسون » وذا يدوره يهمس بالسر إلىلى المشرف « هير » . ثم يبارحون منسلين قد رسموا على وجوههم براءة الاطفال ،

وانعطفوا بسيرهم ناحية المرج كأنهم قد قصدوه صدفه — ياللعجول السائمة تنسل تبتغى العلف — وبعد ذاك اندفعوا بكل ما أوتوا من القوة نحو الحفرةالمرتقبة . لقد وقعنا في أيديهم واشتفت قلوبهم

فكومة التبن كبيرة ، والحفرة المرتقبة ، طويلة ونفق مظلم .

يصغون ثم يثبون ، وبعده يصغون .

ويسمعون نأمة في داخل النفق . ويقسمون :

« والله إن آل » كيللى » وقعوا في يدنا بلا فكاك »
وينبرى « جونسون » قائلا : اسمع حسهم يتنفسون »

بـيرن : وجدتها ، وجدتها !

عرفت ما قد سمعوا . . ألا يكونون قد سمعوا صوت
الخنازير التى تقبع في النفق ؟

نيـد : هي الخنازير ، نعم .

دان : الخنزيرة العجوز السوداء .

يحفها من الخنانيص الصغار ، اثنا عشر .

هـأرت : لاشك أن « هير » كان ينط فرحا مجنونا .

نيـد : ياليتنى كنت هناك كى أرى وجهه في حالة فرحته .

دان : أصابهم ذعر من الدخول في النفق . ظلوا مليا عند
فتحتـه ،

يصغون ، إن آل « كيللى » يشهقون ، يزفرون في
داخل النفق .

وبما أن « جونسون » العجوز لم يكن مشرفاً في فرقة الشرطة —

يقع الأمر عليه بالدخول للنفق ، لأسر آل « كيللى » المحصورين

ويزحف المأمور عابراً في النفق الطويل في الظلام ،

وتلتقى به الخنزير المحتجبة .

« فهير » في الخارج راقص من الفرح ، و« جونسون » في داخل التبن . . .

يصيح زاعقاً من الفزع ، ولا تسل عن القباع ،

دوت به الخنزير المروعة ، وجملة الرضع من صغارها.

وتعترى البنات سورة من شدة الجذل ، لا يستطعن دفعها .

قد جنت الخنزيرة المروعة ، لكن « هير » كان جنونه أشد من جنونها وأعنف .

وتفلت « الغرة » من قبضته لاجئة في بيت آل « بيرن » ،

وليس يقوى « هير » أن يلوم « كيت » ، فالذنب ليس ذنبها ،

ثم اكتفى بما حصل ، لكنه الآن مغذ ركضه وراء
دمنا ،

ومثله « جونسون » .

نيـــد : بنتان ليس غير ، قدرتا أن تخدعاهم دونما عناء .

هــأرت : اخشى على « كيت » من الإفراط في اعتدادها بنفسها ،
وحينذاك ، يجرها ذلك إلى طريق السجن مثلما ،
جرت اليه المرة الأولى .

دان : قد حاولوا سم الكلاب .

بـــيرن : من الذين حاولوا ؟

دان : « هير » وصحبه .

بـــيرن : لله ما أشنع ما يحاولون ، لكنني لست بقادر على
على التصديق .

هـــارت : لو استطاعوا سمنا جميعنا لفعلوا .

دان : لأنهم كانوا إذا جاءوا استراقا للخُطى ، يتسللون في
الظلام ،
كي يكبسونا ، في مقامنا ، عند أخواتنا ، أو عند
من تهوى قلوبنا ،

كانت كلابنا تنذرنا بمقدم الانذال . لذلك قد سم
كلابنا « هير » وصحبه .

نيـــد : أحسس أن خطوهم وراء خطوى في السباق ، قد
أوشكوا بى على اللحاق .

بل انهم يعترضون خطوتى على الطريق ، أكثر مما
قد يطاق .

سموا الكلاب ، وروعوا « كيت » وروعوا محبوبتى ،

اقدامهم تدوس أرض المنزل الذى تشتاق نفسى
لزيارته ،

ثم يجوسون إذا جن الظلام حوله بلى بلى يعترضون
خطوتى على الطريق .

يالهم نملا تخف لا تكل فوق صخرة حامية بحثاً عن
الغذاء !

لكننى والله لن أكون ، للنمل مأكلا .

بـــيرن : (كمن يبحث عن النمل) :

ما كنت أحسب أن يمتد بى زمن ، حتى يجئ زمان
فيه يقرصـــنى . . .

من معشر النمل فرد ليس يعدلـــنى ،
« هير » الذى قد اتى في آخر الزمن . . .

نيـــد : يا « جو » قد أحلت ما أقول نكتة ، لكننى لست بها زلٍ .
ولست ممن خلق ليلدغ ، لا سيما واللدغات من سمومٍ ناقعة .

بـــيرن : إذن ، فما العلاج الناجح من لدغات النمل ، هل تغرقها أم أننا نحرقها ؟

نيـــد : نحرقها ؟ ياليتنا نحرقها ياليت لى نارا أشبها
واحفر الأخدود في طريقهم أكبهم في قعره ،أحرقهم جميعهم ،
وليس أبقى منهم « أبداً » ، ياليتنى .

بـــيرن : لله درك ، فتى به تفخر أمه ان الذى يشبه أمه فما ظلم .

نيـــد : أمى في السجن فخلها حيث هى .

بـــيرن : مهلا ، يا أخى ، هون عليك !

نيـــد : لا يصلح التهوين في الامور مطلقا في هذه الظروف

بـــيرن : حتّى وان كانت بنية ، ساقية في الحان ؟

نيـــد : مازلت تبدى من ضروب الهزل والعبث ، ما قد تقضّى وقتهُ

وحان أن تدرك أن عهدها جميعها قد انتهى .

لقد نهزت والغواة ما كفانى قسمة ، وقد شببت الآن عن طوق العبث .

اصغ إلى ، قد انتهى المزاح ، بل تمت اللعبة ، بل قد اسدل الستار .

هــارت : كما انتهى عندك كل ذاك ، فعندنا أيضا قد انتهى .

دان : لله ، يا « هارت » فما أسرع مادرت كما قد دارت الزجاجة .

نيــد : إذن اتفقنا ، نستطيع احراق النمل ونخلص . . .

بــيرن : بــل ، أحرق المطران في « ملبورن » ، كم أنت مشحون كلاماً فارغاً !

محلقاً في الجو في دوامة من الكلم .

فليس موجودا هنا ما نستطيع حرقه ، انزل إلى الواقع من علياثك المهومة .

واجل الغمام من دماغك ، واضغط عليه وســط قبضتك ،

حتى يصير بارداً صلبا كمثل كرة الثلج المصمتة ، ، وبعدها ندخل في المناقشة .

فما الذى تعنيه حينما تقول : « هيا احرقوا . . . » ؟
هل أنت مدرك مقدار نفسك ؟ أم هل تريدها إغارة أخرى مكررة ،
وذات مظهر سمح مبهرج مثل الاغارات التى قد سبقت ؟
أم أننا نعيدها يوم « سترنجيبارك » في ممرها ؟
تبغى مزيداً من دم الناس على أكفنا .

نيـــد : اذن فأنت خارجى آخر . . . ؟

بـــيرن : بل انني غبي ، فدم مجرد
تمتعنى نفسى مادامت على قيد الحياة . . . حين أكون في الدغل ،
احتضن امرأة ، بين ذراعى فتنسيني متاعبي ،
أو أنني أحضن جذع شجرة ، وآلف التراب —
وذاك يكفيني منالا طيعا مستعجلا .
أما الرجال العقلاء مثل شخصك الحكيم
فإن صمت الغاب في جلاله ، يوحى لهم بأن يعودوا حاملين خطة مدبرة ،

كى يحرقوا النمل ويخلصوا من شرها .

يا « نيد » أنت عائش في حلم وفي خيال .

نيـــد : بل أنت مخطىء ، فانني يقظان .

أنت الذى يعيش في حلم وفي خيال ، تطارد أنثـاك في شعب الجبل .

بيننا التلال كلها آيلة إلى السقوط في يد العدو .

كنا موفقين في كل غارة ، فما الذى يمنع أن نشن غارة أخرى ، لك الجحيم !

ألسنا يا « جو » آل « كيللى » عصبة لا تقهر !

شدنا لنا اسما ذائعا مجلجلا ، لن نستطيع أن نعـود القهقرى ،

اذن فلابد من السير أماما دائما . يكفى بأن نجبرهـم أن يصرخوا وينبحوا .

هذا اذا لم نستطع انجاز شىء مطلقا ، في كل غـارة ما يستثير الضحك دائما .

بـيرن : ظننت أنك انقطعت عن أن تمارس الضحك ،

نيـــد : فعلا قد انقطعت عن أن أمارس الضحك ،

لكنني مازال في جسمي النفس ،

دان : عما قريب سوف نندفع مثل عواصف الجنوب ،

وسوف نستولى على مدينة أكبر مما سبق ، كما فعل

« هال » في » باثرست » .

بيرن : لكم مللت « هال » .

نيد : الآن لم تعد « هال » كرامة تنفعنا .

إنا نواجه المصير وحدنا ، أمامنا من الأمور ما يفوق

خطراً

كل التي واجهها من قبلنا . لقد ظننت أننا نقدر أن

نعيدها .

لعبتنا القديمة بنفسها — لكن بنوع من مهارة تفوق

ما اعتدناه في سابق عهدنا —

أن نستبيح المدن عنوة ، وأن نراوغ الشرطة ، ونقبل

الهزل

يجيء مثلما تأتي به الظروف ، لكن تلك اللعبة القديمة

المواتية

قد انتهت ، قد انقضى زمانها : والآن كل شيء قد

غدا أصعب مما قد مضى ،

أصعب مما قد مضى ، وضاقت الارض بما قد رحبت في وجهنا .

قد أجبرونا أن نعود القهقرى ، وطوقونا بسياج حولنا ،

ليس أمامنا من مخرج سوى أن نطأ الاسلاك لا ترحمها أقدامنا ،

وننزع الأعمدة التى تشدها لعزلنا ، أما اذا انهرنا وفُل عزمنا

فاللعبة انتهت وآل للأفول نجمنا .

هم يحسبون الآن انها انتهت . ان السياج طوق الغاب لخنقنا .

لكن خاب ظنهم ، مازال فيوسع القدير ان يذلهم ، يغلبهم .

هم يعلمون جيدا بأنهم قد بلغوا في مستوى الكيد المدى :

لاسيما وأنهم قد أطلقوا السود لكى يقتنصوا بها بيض الجلود مثلنا ،

ورفعوا الأجر على رؤوسنا حتى غدا بقيمة الدينار آلافا ثمانية ،

هم يدركون جيدا بأنهم قد أبلغوا السيل الزّبَى ،

وهمهم ان يطبقوا على رقابنا اليدا . لكن هذا ليس كل همهم ،

بل انهم يبغون جعل الغاب موضعا مختلفا عما عليه عهدا ،

مطوقا ، ومستكينا ، مزدرى بصفة شاملة ثابتة وأبداً .

ليس به من يركبون خيلهم في وجه سلطة الأمن تمردا ،

وها هو الدور الذى نكشف فيه وزق اللعب وتنتهى المقامرة .

فيخضعوننا ويخضدون شوكنا ، ويصبح الغاب مسيجا ،

وليس في سلاسل الجبال فارس يذرعها على هواه نازلا وصاعدا ،

أو أننا نغلبهم ، ويجبرون مدركين أن يخلوا أرضنا لنا .

بـيرن : لكنهم لن يتخلوا عن سبيلنا . وكل من يقتله رصاصنا ، سوف يقوم في مكانه عشرون في وجوهنا .

نيـد : لا . . . ، لن يستطيعوا .

إن لنا في الناس أصدقاء .

ومن هنا إلى مدى مائة ميل ، لن تجد امرءاً يحجم أن يعيننا . .

لن يكون عونهم لنا بالنار والحديد ، أدرك ما أقول ، بل بالأخبار ،

بالقوت والمأوى ، سوف يعيقون الشرطة حين يزحفون نحونا .

لكنهم الآن يبدون كمن قد فقدوا بنا الثقة ، وسيصبحون ضدنا ،

سوف يبيعوننا ، إنهم الآن يحاولون ،

لكن هيا واكسبوا لنا معركة واحدة مجدداً .

هيا بنا نلقن الشرطة درساً واحداً وحاسماً مجرداً ليبعد الشرطة عن طريقنا وبعد ذلك نكسب الأنصار ثانياً ، وتصبح البلاد ملكنا .

بـيرن : أهكذا بكل ذى البساطة الميسرة !

نيـــد : لا ، ليس مثل ذاك ، لا استسهل الامور ،

لابد من أن توجد الشرطة دائماً ، لكنهم لن يلحقوا بظلنا ، يطاردوننا

سيبعدون عن طريقنا كلابهم سود الاهاب ، وسيغضون عيونهم

حين يلاقونا على الطريق راكبين خيلنا ، من خوفهم رؤيتنا .

سوف يخلون السبيل رغم أنفهم أمام قومنا

بـــيرن : سنستطيع أن نفزع الشرطة .

واحداً ، ثلاثة ، أو عشرة ، لكننا لن نستطيع أن نخيف ، حكومة بأسرها .

ان الذين يبغضوننا هم أهل « ملبورن » الذين لم يرونا مطلقا ،

هى المصارف الكبيرة التى ترعى المصالح المالية المجردة ، هم الرجال البسطاء ، المعتقدون أننا نسلبهم مايدخرون ونعتدى على أعراض من يلون من بناتهم .

من الذين ابغضونا أكثر البغضاء في « جيريليدرى » ؟ « اليوت » ، « ليفنج » وذاك نملك الذى تريد حرقه

أولئك الذين لن تنالهم نار الغريق من ثنايا الغاب أو تضرهم .

لا تظن أننا في حومة الصراع وحدنا ففى البلاد غيرنا أكثر منا حول (بتشورت) كذا حول (جريتا) لا يريدون الشرطة يهمزون ويلمزون ، يتنسمون سرهم . بشئونهم يتـــدخلون ، وليس هؤلاء ، مجـــرد الذين يزيفون وسمات الماشية ، لكن منهم كثرةٌ من الرجال الأمناء الطيبين

من الذين لم يزالوا يذكرون أن الشرطة ليس غيرهم هم الذين شردوا أسلافهم وأدخلوهم تيه « استراليا » لأن واحداً اضطره الجوع لأن يخطف أرنباً ، وآخر سطا على رغيف خبز مجبراً ــ

وكل هؤلاء أنصار لنا ، وغير هؤلاء آخرون « جاءوا بآخر الزمن »

لم يدركوا قط لم كان الجناة ــ بعد أن يتم سجنهم ــ في السير يضلعون ،

وهؤلاء همهم أن يشهدوا القارة كلها أرض الشهام الاكرمين ،

ويترك الغاب بها على سجيته .

فالمهر ، حين يحرن يحبه الناس لعنفوانه وشدته .

ومثلهم « بريت » ذلك الذى التقى بنا في الخان في « جيريلديرى »

وكل هؤلاء لا يعجبهم أن تدخل الشرطة عقر الغاب .

هـــارت : « بريت » قد نصحنا بأن نخلي الغابة نازحين ، إلى « كوينزلند » .

بـــيرن : لربما كان من الخير بأن نتبع نصحه .

نيـــد : (بالهم مثقلا يتهم الاثنين) :

انكم تحكون في أثناء غيبتى ، في غيبتى ، واعجبى ان لم تكونوا تفعلون !

بل انكم تتهامسون :

هيا بنا ولنطلق إلى « كوينزلند »

ثم تضيفون لهمسكم :

« ما نيد في كامل عقله » وتحسبون أنني مجنون .

كذا تقولون « هيا بنا ننجى نفوسنا ، نغتنم الفرصـــة في أوانها »

(منفعلا ، مهتاجا)

حسنا اذن ، نجوا نفوسكم بما عليها من عفن !

هيا اخرجوا ، هيا اتركونى باقيا بمفردى .

بسيرن : انك تدرى أننا لن نتركك .

نيد : هل تحسبون أننى لست بدار بالذى ترددون ، أثناء غيبتى ؟

هارت : لسنا نقول أى شى ء

دان : بل إنكم تتحدثون .

نيد : (بهدوء متزايد) :

والله انكم ان تمرقوا ستدفعون ثمن المروق ، رقابكم .

تعتقدون انني مجنون ، لانني اطوف في الغاب بمفردى منشغل البال بأمركم ، وباحثا عن الحلول ،

بديل أن اقعد في الداخل بينكم ، أروى الحكايات ، وأشرب الشراب . . .

أو ألعب الورق ، كما ألفنا سالف الأيام .

لقد تقدمت سني بي أكثر مما تقدمت بكم سنيكلم ،
وذاك كل ما حصل .

اصبحت أصفى رؤية في نظرى إلى الامور .

أرى بأننا تزلق من فوق الثرى أقدامنا ،

كما أرى الشرطة تكسب كل يوم موقعا ،

أرى بأننا لابد من أن نستمر في القتال أو أن نكون في
عداد من عليهم العفاء .

بل انني أرى الذين يقتفون اثرنا قد لحقوا بنا .

دان : لقد عزمنا أن نواصل القتال .

نيـــد : ماذا جرى لجمع « هال » حين استطاعت فـــرقة
الشرطة

اللحاق بهم أثناء ركضهم ؟ تقاعسوا عن القتال ، ودخل
الرعب قلوبهم ،

تمزقت عصبتهم ، ثم عدوا مثل الارانب المستنفرة ،
قد استفادوا من خنوعهم فائدة ليس لها مثيل .

لو لم يهن « فين » و « دانلفى » ، ولم تطر نفسا هما
خوفا ولم يستسلما ،

فربما ما كان قد أصاب جمعهم أذى . وأنتم لماذا
لا تستسلمون ؟

القوا بأيديكم إلى الشرطة وعبروا لهم عن الأسف .

وخبروهم أنكم لم تقصدوا قط بأن ترتكبوا قتل رفاقهم
عند « سترنجيبارك » ،

قولوا لهم إن الرصاص انطلق بدون علمكم . قولوا
لهم إنى أنا قتلتهم .

قولوا لهم : إنكم ما سطوتم في حياتكم على المصارف...

بل انني أنا الذى سطوت ، فربما تجاوزوا عن شنقكم :

وخففوا الحكم إلى مجرد السجن مدى الحياة .

بيرن : إن الذى تقوله ضرب من الهذر .

نيد : ليس الكلام هذرا حين يكون ذا علاقة بعصبة في حلبة
الطراد

فحينما « فين » و « داندلفى » تخلفا وخليا صحبهما ،
فكل فأر لم يجرؤ ان يطل من فتحة جحره . . .

أسفر يصئى ملء صوته في وجه « هال » : ويالها
منية يمنى بها إنسان

خلفه صفوة صحبه ، وخانه المخبر والصديق ،

وأوقعت به وأوردته مورد الردى ، خمس وعشر من رصاصات العدا

حين عدا يحيص بين شجر اللبان ، عند ممر « بيـلا بونج » ، منبثق الصباح .

مازالت الفئران تصئى ، وصيد « جلبرت » صريعا بالرصاص مثلما يقتل كلب ،

أما « دان » الذى أرجىء حتى آخر الطراد ، فألقى القبض عليه وشنق .

وعند ذاك أسدل الستار ، خاتمة المطاف .

وذاك ما لا شك حادث لنا ، فلا عجب !

والله إنا سنلاقي حتفنا بمثل ما لاقوا به مصيرهم ان لم نهب للقتال .

فهل ترى يا « جو » ما أرى ؟ وأنت يا « ستيف » حقيقة ترى الذى أراه ؟

فان نفـر ، فعلى عصبتنا العفاء .

فرصتنا الوحيدة التى تلوح بالأمل ، هى القتال .

هـــارت : (متحمسا ، منبيأ) : يا « نيد » انني معك .

دان : وأتمنى اللحظة المناسبة ، لأشفي الغليل من قصاصــة الأثر .

نيـــد : ستأتي تلك يا « دان » لك . . .

بـــيرن : (وقد عرته هزة ، وقد كاد يبلع مباغ من استحض) ماذا تريد أن نفعل ؟

نيـــد : معظم همنا قصاصة الأثر .

اذا خلصنا من فصيلـــة الكلاب ، سود الإهاب ،
سنستطيع أن نسترد النفس المحررا . . .
وبعده نوجه الهم لقهر الآخرين ، وننتهى من أمرهم .
لكن قصاصى الأثر ، لابد من أن يغربوا عن ربعنا .
لا يجروُ المرء على تحريك ساكن . هم يسجنوننـــا .
يراقبوننا .
لا يستطيع المرء أن يركض مهره ، ولا يسير آمنا على الثرى ،
في موطني هذا الذى أشعر أني أملكه .

بـــيرن : أبشر فهذا موطن حر وللاحرار .

نيـــد : الخير ألا تستخف بالامور ، وترتدى ، للجد ملبه .
لا أشعر الليلة أنىأستسيغ الهزل واللعب .

هـــارت : لابد من أن نستطيع الاهتداء إلى طريقة نخلص منهم كلهم سوية ،

وفيهم موكدا ، تلك الكلاب ، سود الاهاب ، وهكذا الأرنب » هير » ،

اذا تمكنا بأن نرصد للئام ، وفي الكمين يحصد الجمع اللعين كله .

نيـــد : من أرض هذه الصخور قد أذكيت بضعة من الشرر ،
وقبل أن أقضى تغدو لهبا مشتعلا .

بـــيرن : هذا كلام مَن به مسٌ من الجنون !

نيـــد : يا » جو » هل أنت معى أم أنت ضدى ؟ قرّر الآن الذى تريد أن تكون .

أمرضنى الكلام .

بـــيرن : (بفظاظة مفاجئة ، كمن قد هدّه الكرب الشديد) : لا ابدا لن أفعله

قتلا على قتل مكرراً . لا لن تكون لى يد يا « نيد » فيه .

هيا أرْدنى ، اذا أردت ، بالرصاص — فما الـــذى يهم ،

بل ما الذى يهم ، الآن ، أى شىء ؟ لكننى لن أفعل الذى تود .

لكم ألفت ان تصّعد الأمر إلى حد المبالغة. بل ان شيئا في دخيلتك ، يصعده ،

وينبرى القاتل من قرارتك ، وحينذاك لا تكون الرجل الذى عرفته .

لقد بدا لى ذاك منك في الممر في « سترنجيبارك » ، وهذه الليلة يبدو سافرا لناظرى ،

ولست أبغى أن أرى نهاية المطاف . إنك يا « نيد » لمجنون بلا مراء ،

فما الذى تدبره ؟ القتل ! انه قتل الثلاثة ،

« لونرجان » ، « كينيدى » و « سكانلون » هـــو الذى أدى إلى اعتبارنا من خلعاء الشرع والقانون ،
وحث كل ذى صحيفة بيضاء يغدو ضدنا ، والآن تبغى ان تعيد القتل ثانية .

قتلا على قتل مكوما ، ما عدد الذين تنوى قتلهم ؟ —

هـــارت : بل اصغ ، يا « جو » ـ

دان : إنه مخبل

نيـــد : يا « جو » ـ

بـيرن : (يندفع خارجا من الغرفة) : والله ، لن أعيـــدها . واحيرتى لم فعلتها ؟

رباه . يالها من عيشة أعيشها !

(ينصرف)

دان : (مناديا له) : سوف تعود .

هـــارت : مع الشرطة ومع « هارون شيريت » !

نيـــد : (متثاقل مهموم) : دعاه يذهب .

دان : لن يتمادى في ابتعاده من ها هنا . لقد عرته مثل هذه النوبة قبلا ، وهو قلب عنيد .

هـــارت : لكنه ماساء قط هكذا .

نيـــد : (في غيظ تشوبه الكآبة) : خلوه يمضى إن يشأ إلى الجحيم .

دان : يا « نيد » ، لا يقصد أن يتركنا ،

سوف يعود بعد نصف ساعة ، أو أنه سوف يروح
يتعاطاها مشعشعة

وفي الصباح سيعود وعلى مبسمه ابتسامة عريضة ،
كأن شيئا لم يكن وما جرى .

نيسد : بل ان شيئا ما جرى .

هارت : أصغوا لقد مضى منطلقاً .

يركض بالمهر على أقصى مدى مصوبا في شعبة الجبل ..
سوف يدق عنقه .

دان : يجوز أنه يريد أن يدقه .

نيسد : يبدو أن الوقت قد حان لكي يستخدم المرء الكلاب .
فانها تأتيك حين تسمع الصفير ، وحينما تأمرها أن
تنصرف ، تروح واثبة .

وتهتدي بفكرها وحدها حين تجول في الشعاب ، ولا
تفارق الذين يملكونها .

وليس تقضي نصف يوم في الجلوس والجدل .

بل ليس تقضي الوقت في الجلوس والعواء . واعجب
لما ينجز حين يعمل الانسان والانسان !

« بارو » و « هــال » و « الصاعقة » كانوا رجالا
لامراء ،

لكنكم — ، لكن « جو » — والله أعلم — لو كان
لى من الرجال عدد يسندنى كنت ملكت كل هــذه
التلال ، كنت وضعت المدن والسكان وسط راحتى ،
وكنت أمسكت بها في قبضتى .

اعتدت أن أحلم بقدرتى على حشد خمسين من الرجال ،
أحشد منهم مائة . ،

جزازة الصوف ، وعمال المناجم ، والعاملــين في
حظائر الابقار ،

وكلهم فتية كدح في قلوبهم ضغينة ، أو هاذلون ، أو
فيهم مس من الشيطان ،
كنت أرى بأننا نقدر أن نبسط حكمنا ،

في هذه البلاد رغم راكبي الخيل من الشرطة وفــى
وجوههم ،
بل انني كنت أرى بانًنا سوف نشنها حربا ، وأننا لها .
وليس في الوجود شيء ليس يستطيع المرء أن يفعله إن
يلق أنصارا من الرجال ،

وكنت واثقا ان الرجال سوف ينصرونني . لكن
ما الجدوى !

فانني أرى بأنهم سيخذلونني

حين تبلغ السكين من بُرجمة مكشوفة محزها ،
ويسلمون أمرهم لخصمهم ،

بل ان ما صوره الخيال الآن انتم تفعلونه معي .

كنت أرى بأن سيصبحون خائفين ، أو أنهم سوف
يملون القتال ،

أو أنهم سوف تصيبهم مرارة لبعدهم عن زوجة
مستوحشة ،

وحينذاك يركبون مبعدين ، عن مهالك القتال .

هارت : ياهل ترى يكون « جو » قد ركب « السابح » مبعدا ،
وقاصدا « شيريت » هذي الليلة .

دان : ماذا دعاك أن تقول ذا الكلام ؟

هارت : ياليتني أعلم ما يشغل باله وما الذي يبيّته .

حادثته الليلة لكن حديثه كان حديثا عجبا مستغربا ،
كان يلمح بأن حادثا مفاجئاً يقدر وقوعه « بنيد »

وكيف أنه يقدر أن يحيا بدونه . وكاد أن يذهلني
بدا كأنه يريد أن يختبرني .

دان : لست مصدقا لما تقول .

تريد أن تصم « جو » بأنه ينوي لنا تنكراً ، وانه يريد أن يهجر جمعنا ؟

هـارت : هذا كلام لا يقوله إلا مغفل غبي . « فجو » لم يقصد شرا بحديثه ،

وقال ما قال على سجيته ، وحسب ما نعلم من أسلوب قوله .

لكن ما قال بدالي عجبا مستغربا .

دان : لما تريد دسه رائحة نتنة تفضح نيتك .

هـارت : قل ما تشاء لا يهمني ،

لكن « بيرن » رفيق « شيريت » بلا مواربة .

دان : وما الذي يضيره من كونه رفيقة ؟

هـارت : وأخته كانت « لشيريت » عشيقة ، وإن « شيريت » هو الذي يهدى خطى الشرطة في اقتفاء خطونا .

نيـد : « شيريت » محكوم عليه بالممات .

هـــارت : لكن « جو » لن يؤيد الحكم الذى أصدرته ، بل يا « نيد » لن يحتمله .

نيـــد : دع أمر « جو » لى .

دان : لسنا على علم بأن هناك أى مؤثر . وربما « هارون » لا يكون ذلك المؤثرا .

هـــارت : لم لا تكون الطير تلك الواسطة ، نوجه اللوم اليهـــا والتهم ؟

دان : لابد من اتاحة الفرصة له .

وان « جو » يقسم انه شخص قويم خلقا ومخبرا .

يكفى بأنه ساعدنا عدة مرات مكررة .

هـــارت : لا شك أن ما قدم من مساعدة رد جميل للذى نكرمه به من سقط رزقنا .

بالله ما الذى يدفع « جو » أن يلازمه .

دان : يا « هارت » ان « جـــو » لا يتخـــلى عن رفاقه ، يمحضهم من وده أسمى مراتبه ، أكثر مما أستطيع أن أقوله عنك ودادا ووفاء .

نيـــد : كفى ، رجاء أغلقا فميكما !

هيا اتركا لى أمر « شيريت » — « جو » ما عليه من غبار .

وانتما اللذان أشعــر بالخذلان منكما ، كم تهرفان وتجادلان باطلا ،

وكلا شيء يستحيل حينما تجعجعان ، كالعصــف مأكولا وكالهباء .

دان : ياعجبا ، أحرم الكلام ؟ ! . .

هــارت : لم نتخل عنك يوما قط أو نخذلك مطلقا .

نيــد : لربما كان الذى تقوله حقيقة أقرها .

لكنكم لم تخلصوا لى الود كله بالمستوى الذى أؤمله .

ياليتنى سرت على طريق غربتى بمفردى .

قــد قــال لى « باور » ذات مرة : « اذا اغتربت فاغترب بمفردك » ،

وقال لى : « لا تستعن في كل أمر يحزبك

لا تعتمد في كل ذى الارض ، على أحد »

لاسما المرأة ، انها كالنهر البارد نحو البحر منتهاه .

والرجل الذى يؤمل الخير بها منخدعاً بأنها تمحضه الوفاء ،

كناظر في صفحة النهر وقد أعجبه خياله في مائه ، لا يستطيع ان يتبين ما مصيره حين انعطافه في منحـــنى مجراه .

لله ما أصدق قوله ! « باور » قال لى :

« لا تثقن إلا بمحض رأيك وكل ما يرسمه خيالك المجرد الوحيد ،

سوف تموت في الأخير واحدا منفرداً ، فعش إذن منفرداً .

كن فوق هذى الأرض فرداً رجلا ، يلقى عداه كلهم بمفرده .

دان : وما الذى جناه من رحيله بمفرده ؟

كهفا غفا فيه ، وعيشة مثل حياة الفأر في الدغل ،

ثم أتاه مؤنساً من أظهر الود له ، وخانه رغم احتياطه الشديد ،

دهمته الشرطة في السحر ، وأحكموا الغلين حول معصميه .

(مؤاسيا ملطفا القول) : سوف يعود « جو » لا تبتئس .

نيـــد : ليذهبن إلى االجحيم !

(يتجه إلى الباب ويتطلع)

دان : ليت فتاة الحان تجلو كربته .

نيـــد : (من المدخل ، مسروراً) : ها هو ذا يعود !

أصغوا الى خبة مهره ! قد كنت مدركاً بأن الخوارة الغبي

سوف يعود لصوابه ويستبين منطقي وأنني علىصواب.

لله ، ذى الليلة ، ما أشد ما يندفع المهر به !

دان : (يلحق « بنيد » عند الباب) ؛ :

انهما مهران ، على الطريق ، آخر أتى معه .

هـــارت : (مرعوبا) : اثنان آتيان ؟

نيـــد : ذلك « جو » أراه آتياً ، لا ريب فيه

لكن من يكون الآخر الذى معـــه ؟

هـــارت : « شيريت » ربما ؟

دان : بل الذى أتى معه ، يبدو امرأة .

فيـــد   لا ليس « جو » حقيقة مغفلاً ، ليحضر النسوة ها هنا !

هــأرت   : ما همه ، في مستوى استهتاره ، أن ينزل الشر علينا وعليه .

دان   : ليست خليلته ، هذى التى معه

ان فتاة الحان كالثور الخصى كبرا ومظهرا .

نيـــد   : يعجب (جو) الشواء من لحم البقر .

لكن ذى (القنغرة) الصغيرة . ماذا أتى بها هنا ؟

قلت لها ألا تجئ هاهنا ان لم أكن أنا الذى استدعيتها .

هـــارت   : لا بد أن يكون محذور حصل .

نيـــد   : ذلك جائز .

دان   : لله ما أشد ماهما به من عجلة ، مهما يكن من أمره ، حتى كأن الغاب من خلفهما مشتعل .

هـــارت   : أعجب ان لم تكن الشرطة آتية !

من بعد أن رآك هذا اليوم « هير » —

نيـــد   : (على أشد ما يكون عجلة) :

رباه ، ماذا قد حصل ؟

دان : فتاتك « الغرة » يبد وأنها متقدة . كعهدنا بها حرارة وسورة .

إن لظاها تبتغى ان تطفئه .

نيـــد : دعها وشأنها .

ماذا دهاها فأتت صحبة « جو » ؟

هـــارت : لقد أحل نفسه محلك ، ومن هواها خلعك .

دان : ان اتجاه « جو » نحو الأباريق الكبار الباردة ، مـــن الجعة ،

وليس يرضى (القنغرة) فهى كمثل جرعة صغيرة وحارة من خمرة « الروم » المسكرة .

نيـــد : (ينادى من الخارج عند المدخل) : « جو » ماذا ضاركم ؟

الغـــرة : (من خارج المسرح) : يا « نيد » احتفظ بقميصك .

(تدخـــل « القنغرة » ، ويتبعها « بيرن » . ترتدى « الغرة » زى فروسية أغبر ، وهى قصيرة القامة ، ممتلئة البنيـــة ، سمراء السحنة ، من صنف النســـاء اللائى يصبحن مع تقدم السن بهن بدينات وخشنات المظهر ، ولكنها في سنها الحالى ـ لا أكثر من اثنين

وعشرين ربيعا ــ ذات جاذبية حسية . في سن يتفق مع ما تبديه من فظاظة القول والطبع ، وهى مستفزة أكثر منها متمردة . وهى تخفف من غلواء طبع « نيد » العفوى فهى وقاح الطبع تجاهه ، ولكن البادى للعيان أنها غارقة في حبه . وحينما تدخل ، تتجه إلى « نيد » لكى يقبلها ثم تسير متجهة إلى المدفأة) .

نيد : لعنت الظروف ، ماذا استجد من امور ؟ لم أتيتما ؟

بيرن : عناية السماء ، يا « نيد » ، عناية السماء .

انفضحت سوأة « شيريت » وبان امره ، حقيقة .

نيد : « شيريت » خائن ؟ هل باعنا ؟

الغرة : قد خانكم ، وباعكم .

هارت : ألم أحذركم ، إذن ؟

نيد : لا بأس ، سوف يتلقى النذل منا ما يسوءه .

بيرن : ليس له سوى الردى عقوبة ، فليستعد لقبولها .

كان رفيقى ذات مرة ، ثم انتهى مابيننا .

نيد : قولا لنا عنه الذى عرفتما .

الغــرة : لست حريا بالذى أعرفه قد مَضّنى الركوب طيلــة الطريق كلها لأنذرك .

وما لقيت منك ؟ يا عجبي للنظرات القاتمات الغاضبة

نيــد : يا « غرتى » لا تكتمى عنى الخبر .

الغــرة : قد باعكم جميعكم لفرقة الشرطة لقد رأيناه صبــاح اليوم بينهم .

نيــد : رأيتموه ؟ أى شئ كان يفعل ؟

دان : « هارون شيريت » اذن ضالتنا !

الغــرة : ان رجال الشرطة ضربوا خيامهم في الشعب خلف دار (بيرن) ،

وكان « هارون » لديهم ذا الصباح . فى البكور قد رأيناه ،

وقد نام على الثرى ، وحوله خيالة الشرطة .

بــيرن : هى وأمى رأتاه . زحفتا على الخيام في السحر .

نيــد : هل كان « شيريت » حقيقة ؟ بكل تأكيد هما قد رأتــاه ؟

الغــرة : لم بحق الجيم ، تظننى عدوت با لجواد

وجئت حتى هاهنا ؟ للمنظر الجميل أضفاه ضيـاء القمر المطـل ؟

كدت أدق عنقي . أتيت كي أحذرك .

قد باعكم « هارون شيريت » ، ولا بد من الخروج مـن هنـا .

نيـد : والله لن ينقل لى من هاهنا قدم . أهلا بهم يأتونني إلى هنـا ،

ليأسروني ، فليجربوا :

الغـرة : رحماك يا « نيد » فلم يعد هذا المكان معقلا ،

لا بد من أن تتركـه

نيـد : لن أتركه ، وذاك كل ما لدى من قرار

هـارت : هل يعرفون أين نحن ؟

الغـرة : لم أقطع الركض لكى أسألهم .

نيـد : من أجل هذا سوف يلقى حتفه ؟

الغـرة : بل ستموت أنت ، أيها الغبي .

ولم يعد ذاك يهمني .

نيـــد : بل انه يحنيك لاتتدللى ، اقتربى مــنى وهاتي قبلــة
(يقبلهـــا)
هون عليك « جو » ،
لست ملوماً ، حسب ما أرى ، عما جنى « شيريت »
من شرور .
سوف نرى في أمره ما يجب .

الغـــرة : بل قد رأى — هو — في أمركم ما يجب .

نيـــد : كيف توصلت إلى فضح حقيقته ؟

الغـــرة : البارحة ، أمسيت عند آل « بيرن » .

دان : تعرف من امرك ما حصل .
مررت ذااليوم بآل « سكلين » وخبرونى ما جرى .

الغـــرة : انك مجنون بلا صواب ،
لكم تجوس فرقة الشرطة حول ذلك المكان ليل نهار .

دان : اليوم كادت تنالنى قبضتهم . لكننى راوغت مشرف الشرطة ،
وسلم الله ، وفُتُّه .

الغــرة : لو كنت زرت دار آل « بيرن » ذا النهار ، لكانت الشرطة فعلا صادتك ،

هناك منهم ثلة متربصة في الشعب كي تأسركم

كأنهم مصيدة الارانب ناظرة لآل « كيللى » يطئونها .

بــيرن : أخبرتنى بأن أمى لم يمسها أذى وأنها بخير .

الغــزة : لا ، لم يمسوها بسوء . أنت تدرى أى صنف من النساء هى ،

تقدمت السن بها ، وظهرها مقوس ، وكل وقتهـــا مغمغمة ،

ضحكتها كنهقة الحمار ، هذا اذا عنّ لها الضحك ، وقط لا تضحك الا نادراً .

لكنها اذا تنمرت —

بــيرن : نفسى الفداء للعجوز الطيبة ، مرحى لها !

كأنها شجرة صعقها البرق وهدها ، يالى منها حينما تَصِرُ أو تزعق صارخة ، يقف شعر المرء من صرّتها ، كأنما تنبعث الصرة والزعيق من غيابة القبور .

الغــرة : يا « جو » ما البرق الذى صعقها وهدها سواك .

بـيرن : ما بيدى من حيلة كى أمنع الرزء الذى حل بها . كذاك قد شاء القدر .

الغـرة : لكن يكفيها بأن الشمس مازالت عليك مشرقة .

وحينما تحس أن خطراً يحدق بولدها الشجاع « جو »
عضو العصابة المظفرة ، عصبة « كيللى » الباسـلة ،
تبدو كقطة ضاربة مستنفرة .

لقد عرتها ، أمس ، ريبة أن الشرطة في المجال حولنا ،
يطوقوننا ،

كأنها تنسمت ريحا لهم . فقضت النهار كله ، تُعمِل
أنفها تشمـماً ،

راعشة الجسم مغمغمة ، وتقسم الايمان أن قلبها يلهما
بأنهم من حولنا .

وما بدت في الغاب من دلالة عليهم ، لا صوت أو
دخان .

لكنها لم تستقر ، والبارحة ، في آخر الليل هـداها
حدْسها ،

ان غريبا كان يمتد على الثرى ، في الغاب من خلف
فناء الماشية ،

فأخرجتنا لنرى باحثتين . فقد يكونون هناك ، في الظلام ،

لكننا لم نستطع رؤيتهم . يا « نيد » قد خامرني الخوف وهالني .

لكننا سرنا على طول الطريق جانب الممر . —

والبرد كان قارسا يرعشنا ، في حلكة الظلام .

ثم تسلقنا الرعن ، أنف الجبل الذى يقع في ناحية اليسار ،

وفي الظلام ، أقمنا وقتا في انتظار وصمت حذر .

والله ، لولا أنني قسرتها على الرجوع ، لبقيت حيث هي حتى تصير قطعة من البَرَد .

نيـــد : قد كان ممكنا أن تصابا ،

الغـــرة : لا شك أن ذاك ، كان سيضنيك كثيرا وسيقلقك .

نيـــد : ما الذي أقدر على صنعه بدونك ؟

الغـــرة : تزوج فرسك !

نيـــد : أظنها ، ليست تغيظ أو تثرثر .

الغـــرة : اذن ، فسلها ما الذى تعرفه ، تخبرك عن « شيريت » .

نيـــد : أنت التي أسألها ، هلا أجبتني ؟

الغـــرة : قمنا من النوم مبكرين ، فكرت العجوز

أنّ الشرطة يتربصون ساهرين الليل كله ، ثم ينامون

سحابة النهار .

وقد تسلقنا الرعن ثانية،وبعض همنا أن نراقب الشرطة .

لكن همنا حقيقة كان لكى نبحث عن لفاع أسقطته

ام « جو » .

وقد وجدناه ، وبينما كنا هناك نقف ، نثرثر

أمسكت بساعدى العجوز ، ثم أشارت ، فإذا بقطعة

لامعة بيضاء ،

من علبة قصدير . غطاء علبة يلمع في الشمس عـــلى

جانب صخرة

وكان بيننا وبينها أخدود .

وكان ممكنا ان يكون وهج الشمس على ورقة مـــن

الشجر ، أو بضعة من ماء .

لكنها ما انقطعت هاذرة مرددة : « بل قطعة قصديره»

« وحق أم السيد المسيح ، قطعة قصدير حقيقة . »

لكن ما لقطعة القصدير ، وهى لم تكن في ذلك المكان
قط ،

يغمز طرفها هناك ، وليس عندها أحد ، في حدرة
التل بلا أنيس ؟

بل هذه اشارة من السماء .

وبعدها بدأت العجوز تركض ، ناحية الهدف .

بـــيرن : عينان مثل عيني غراب .

الغـــرة : وطفقت واثبة فوق الصخور مثلما يقفز قنغر فتى !

ثم انحدرنا داخل الاخدود ، ثم صعدنا الرعن حـــتى
قطعة القصدير .

وهذرت مهتاجة بلا توقف : « علبة سردين » — ولم
تكن سوى علبة سردين —

وأردفت : « من الذى تعتقدين ، غير رجال الشرطة
الغلظاء ، المتخمين يمتعون بقصاع السردين في هذه
المنطقة التي يعضها الجوع ويضنيها السغب ؟ »

وعلبة السردين كانت سببا أنجى حياتكم من التلف .
بل العجوز أم « جو » ،
وعلبة السردين بعد أن غدت في يدها مستَمْسكا .

نيـــد : « باور » ذات مرة كان له طاؤوس .

وكان طاؤوسا يفوق أى كلب حارس . . . وحينما كان يحس الغرباء قادمين تسمعه يزعق من مـــدى عدة أميال بلاعناء . لكننى أرى النساء خيرا منـــه في الحراسة .

الغـــرة : كنت أظن أنك تفضل الخيول ! .

استنظرتنى بينما حبت حتى شقَفـــا الرعن على اليدين والركبتين

ووجدتهم نائمين دونه .

دان : ومعهم « هارون » ؟

الغـــرة : لم أره أنا بنفسى ، غير أنها قد اخبرتنى بعد ذاك .

قد ضربوا خيامهم في جانب من غور ، وكانوا فوق الارض نائمين .

وكلهم تلفعوا أدثرة الصوف الثقال .

وكان هارون لدى موطىء رجلها ، تكاد أن تدوسه واعتقدت بأنه كان قتيلا ، باديءٌ بدء .

لكنه ما كان ميتا .

نيــد : لله ما أسوأ حظنا اذن .

هـارت : ياليتها قد اجهزت عليه ! لكنها لم تغتنمها فرصة

الغــرة : إن المكان يغص بالشرطة ! ووقعت بيدهم .

دان : ألم يمسوها بسوء ؟

الغــرة : قد أنّبتهم بحديث كله ارهاب .

بـيرن : ما كان من بسائط الحكمة أن يجرب الشرطة أن يلقوا بأيديهم على والدتى .

نيــد : ولم يكن أيضا من الحكمة أن يلقوا بأيديهم على أم بنى « كيللى » وانها هناك ، في السجن في « ملبورن » .

الغــرة : لقد تحدتهم بأن يمدوا نحوها يدا .

قالت لهم بأنكم ستصنعون بهم كصنعكم بالآخرين

عند الممر ، في « سترنجيبارك » .

نيــد : قد لا تكون كذبت فيما رمت اليه .

بـيرن : هل تحسبين أن هارون درى بأنها رأته ؟

الغــرة : ربما لم يعلم ، لكنه لاشك سوف يعلم بأنها قد زارت المخيم . ولن يسره الخبر .

بـيرن : ما أطول الليل على من لم ينم ، أبشر بطـول الليـل يا « هارون » .

دان : والليل ما أطوله علينا نحن ؛

نحن هنا نضيع وقتنا سدى ، وتلكم اللحمة مازالت على الحافر –

« شيريت » فوق مهره ، حرا طليقا ، رغم ما أساء .

هـارت : يا « نيد » ، ماذا نفعل ؟

نيـد : ماذا ترى ؟

هل نعتلى الاغصان ، مثلما يفعل طير العقعق ، نزعق؟

الغـرة : هل ستعدمونه ! ياليتنى أنا التى أقضى على النذل الجبان

نـيد : عودى إلى البيت وذا خير لك .

الغـرة : شكرا على تلطفك !

دان : أنا الذى سأحسم الأمر مع « شيريت » .

بـيرن : لاتأخذ الأمر ارتجالا ، هكذا .

دان : هل تنوى تخلفاً عن الفريق ؟

بـيرن : لا ، يا أخى لكننى لاأنتوى تسرعاً .
فهذه مهمة خاصة .

نيـــد : هى خاصة لكنها عاجلـــة .

الغـــرة : يا « نيد » تبدون جميعكم مضطربين هائجين .

هل سركم انى حملت هذه الأنباء كى أنذركم ؟

نيـــد : أنت فتاة طيبة

خير لك أن تغربى عنا .

الغـــرة : ماذا ستفعل ؟

نيـــد : لاشئ مما سوف يرضيك بأن تريه

بل انه شئ من الخير ألا تعرفيه .

والآن با الله اغربى عنا !

الغـــرة : لست على عـــجل .

نيـــد : يلعنك الله ، أقول انصرفي !

الغـــرة : والله لن أذهب الا حينما أكون جاهزة .

أتيت ها هنا من بعد ما كدت أموت فوق صهـــوة الحصـــان ،

أمضنى البرد ، ولم أنم

وقلت لى : « شكرا » على ذلق اللسان .

اذهب اذن إلى الجحيم .

تعنى بأمك الغالية الحبيبة أكثر من عنايتك بى .

نيــد : هذه كلمة حق نطقت بها .

الغــرة : لله ، ما أقساك .

نيــد : لربما اكون أقسى من تصورك . فليس « شيريــت » بمفرده ،

بل كل شرطى تطاله أكفنا ، ومعهم كلابهم ســود الجلود كلها ،

وكل من يمد كفه معونة لهم ،

من أجل هذا كل هؤلاء سوف يــعدمون .

الغــرة : (بعد أن يتغلب فضولها على غضبها) :

هذا الذى تقوله قول مجرد ، ولست تنوى ما وراءه ، أم أنا واهمــة ؟

نيــد : ان الذى سأصنعه ، شئ فظيع ليس ينسى أبدا .

عودى إلى البيت وفيه انتظرى . سرعان ماسوف أراك

الغــرة : با لله لا تهتم بى !

نيــد : بحق حب الله ، هيا انصرفي !

خلى لنا وقتا لكى نبتدئ العمل .

بـــيرن : (يمسك بالفتاة من ساعدها ويقودها إلى الباب) :
الخيران تنصرفي .

الغـــرة : يا « كيللى » ما أقبح سحنتك !
طبعت فوقها نية قتل واغتيال ودماء .

نيـــد : ما تلك بالنسبة لى ؟ تستغربينها على ؟

الغـــرة : خيرا اذن ، لاشئ من ذاك يهمنى ، وأنا أيضا ليس بالنسبة لى من ذاك شئ .
فانت قاس مثل الأظافر التى قد أشربتْ دماً . نفسى منـــك ترجف .

نيـــد : يا « غرتى » تأتى على الأنسان أحيان يُرجف فيهـــا نفسه بنفسه .
فنحن مجبورون أن نفعل ما نفعله ، وذاك كل مايهم في الموضوع .

الغـــرة : يا « نيد » قل متى اراك ثانيا

نيـــد : بعد انتهاء عملى .

الغـــرة : « نيد » خذ الحذر ، اجعل على نفسك منك حارسا.

نيـــد : أوصى بذا الكلام « شيريت » وفرقة الشرطة.

حين احتياجي لك سوف أنبئك . ان لم يصل اليــك
منى خبر
فاختارى شخصا آخر ، فسوف تحتاجين واحدا .

الغــرة : (تخرج مختالة وصدرها منشرح) :
ذلك ما أســهله .
فكلما رآنى مشرف الشرطة أجال عينيه ، بكل مــا
فيها من البياض ، مبحلقا منبهرا .

نيــد : (ضاحكا) : اذن خذيه صاحبا ، كى تجهزى عليه.

الغــرة : يبدو أننى ، سوف أصنع الذى تنصحنى به .
إلى اللقاء .
(ثم تخرج) .

نيــد : أيتها الغرة يا حبيبتى اللعوب ، الى اللقاء .

بــيرن : لله ما أقساك يا « نيد » على الفتاة .

دان : أظنها تحب في الوردة شوكها .

نيــد : سأبذل اللطف لها عند لقاء آخر ، وفي مكان آخر .
اما هنا فاننا في موعد لــننجز العمل .

بــيرن : يا « نيد » ماالذى جال بخاطرك ؟

نيــد : نقتل « شيريت » . فهل يوجد من يعارض القرار؟
يا « جــو » ، أنت مثلا .

بــيرن : يا « نيد » انى قد قفلت منفذ الجدل .

نيــد : وأنت يا « هارت »

هــارت : أنا أرى ، لابد من أن نشنقه .

دان : لابد من ايقاعنا به ، لنقضى عليه .

نيــد : خيرا اذن ، قد قضى الأمر فلا محيص .

بــيرن : وبعد ذاك ، ما نحن فاعلون ؟

هــارت : نجلو إلى « كوينزلند » .

نيــد : لا ، ثم لا ، ولا ! هذا كلام ليس يقبل الجدل .
بعد قضائنا على الذى قد باعنا ، نقضى على من اشتروناً منه .
فحينما يصرع « شيريت » سيهرعون كالذباب فوق جثته .
سوف نلقاهم مكان مصرعه . بعد انتظارنا لهم .
قلت لكم بأن « نيد » لن يفر . ضاق المجال وانتفى المفر .

فأي معقل ينفعنا لكي نحله ، ونختفي ؟
هل نختفي ؟
أم هل نفر ؟ لا ، لا مفر ، لا اختفاء .
هل نختفي ونهرب من الكلاب ، سود الإهـــاب ،
والمخبرين مثل « شيريت » اللعين ؟
ياناس هل نفر ، من الشرطة ثانية ؟
فنحن لم نفر في « سترنجيبارك » في يوم الممر .
لقد أرادوا ان يلقّنوا درسا فَلْيُلَقّنوهُ ثانية .

بـــيرن : ذلك يبغي عملا لا يستهان به .

نيـــد : لكن هل ستعمله ؟
بالله ان لم تبتغ ان تعمله ، فاخرج اذن وخلني !

بـــيرن : لكنني هنا وما خرجت .

نيـــد : وانت يا « هارت » — إن تبغه زحفا على البطون
حتى « كوينزلند » فلتبدأ الزحف اذن من حيننا هذا .

هـــارت : ما قلت قط انني أبغي الذهاب واحدا بمفردي
أنا مع الفريق في حل وفي ترحال .

دان : فما سبيلنا اذن إلى « شيريت » ؟ ان كان مازال بصحبة الشرطة —

نيــد : لا ، قد يكون عند أهله في عشته . وجوده مؤكد في منزله .

سيعلمون اننا بلغنا الخبر ، واننا على حذر .

ولن يظلوا مرصدين في الجبال .

الخير كل الخير أن نبدأ في الحراك .

بــيرن : أرثي لهارون ولا أرحمه .

كأنه الكبش المسمن الخصى في الفناء ، ينتظر الجزار أن يذبحه .

ان الكباش دائما تحدس بالمصير . وحتمها يبدو مطلا من عيونها .

لكم تسبب الاذى لنفسها ، حين اندفاعها في وجهة القضبان في الحظيرة .

فلن يريحني أن أكون « هارون » ، أو أكون زوجته .

دان : تبغي انحرافاً ام تريد أن تأبى تقدماً ؟

بــيرن : يغلبني مجرد التفكير .

هارت : يا « جو » كم تغرق في التفكير .

بـيرن : حسنا اذن ، تكفيك أنت قلة التفكير . أقل من القليل من تفكيرك الملول .

فانى ما سرنى منك ان تجهد عقلك الجبار في خفـة وزنه بمحنـة التفكير .

نيـد : يا « جو » ، والشرطة : ما أفضل ما نصنعه ؟

هل نتخذ من بيت « شيريت » لهم مكتمنا ؟

بـيرن : نقدر أن نفعل ما تراه ، لكن يا « نيد » ما المكـان مأمنا ولائقة .

ان الشرطة سيجيئون حشودا ، وكذا قصاصة الاثر تقذفهم « ملبورن » في وجوهنا .

نيـد : غدا الأحد . ان القطار في اجازة الاسبوع ولن يجئ .

الا اذا تكلفوا أن يبعثوه خاصة .

بـيرن : لا شك أنهم سيبعثون واحدا .

فطالما قيمتنا عدا وبالدينار آلاف ثمانية ، أحرى بـنا اذن ،

أن يبعثوا لنا القطار الخاص .

نيــد : أن يبعثوا لنا في داخل القطار شحنة كاملة من الشرطة

بــيرن : بكلٍ ما لديهم من الأنواع ، قصاصة الأثر ، ومــن يلفُّ لفهــم .

والله كم يشغلني التفكير ملحفا بذلك القطار .

نيــد : للاسف الشديد لم نقدر أن —

بــيرن : يا « نيد » ما الذى جعلنا لا نستطيع .

نيــد : والله ، نستطيع ، بل لنستطيعن أن نبلغ الحليّ ، كلهم مجتمعين سيكونون على القطار . يا « جو » قد أدركت ما أقصده ،

فلا عجب تلك كبيرة ، وفرصة ليست تكرر ،وتلك ما أردت .

يا « جو » اننا في موعد والعمل الجليل .

دان : سننجز المهمة العظمى بكل يسر . فما هو خير مكان للمداهمة ؟

نيــد : السود في « ملبورن » ، ومعظم الشرطة في« بنلا » .

وآخر المطاف للقطار في « بتشورت» .

خير مكان للمداهمة ، في بقعة معزولة مــا بيــن « بتشورت » و « بنلا »

أي مكان سيفيد للمداهمة ، يكتنف الغاب طريـــق
السكة الحديد كلها ،
وشجر الغاب كتوم لاتبوح با لاسرار ، ومثلها في
طبعها الابقار .

هارت : لابد من أن نتوخى موقعا ، الناس فيه لا يحبـــــون
الشرطـــة .

نيـــد : اذن « جلينـــروان » .

بـــيرن : « جلينروان » المنى وهى كذلك الطلب .

دان : الناس فيها غالبا من حزبنا . أنا عليم با لمكان —
الجسر في مرتفع في الخط الحديد في ناحية « المركز » .

نيـــد : يا « دان » في « الربوة » تقصد ؟
هناك حقا مقطعة ، وقلّما يمر في ذاك المكان أحد.
كما تغطيه الشجيرات الكثار .

دان : سوف تنوء القاطرة ، في سيرها صاعدة في المرتفع .

نيـــد : الغور فيما حولها عميق .
ودفعة تنتابها سوف تَهِـي بها تدحرجا ، رأساً عـــلى
عقب
في أسفل الاخدود .

هـــارت : للأسف الشديد قد لا نستطيع فعل ما نريد .

دان : سوف يهى القطار ، سوف يصير مزقا مهشمة .

امنيتى أراه هاويا إلى الحضيض .

نيـــد : وان يكون السود في داخله ، يا للمنى .

وتنتهى أتعابنا . قد قلت إننى سأحرق الاشرار .

بـــيرن : اذن فذاك ما تريدنا نفعله بهم ؟

نيـــد : هل انتم ناوون فعله ؟

بـــيرن : لابد من أن نقلع السكة كى نستوقف القطار .

اذا نسينا صدفة أن نوقفه –

نيـــد : اذا نسينا صدفة .

أظن أن الأمر سهل أننى أنسى .

هـــارت : لنفترض أن تحطم القطار لم يجهز على جميع مـــن في داخله .

فنحن نستطيع أن نكمن في غاب الشجيرات القصار ، ومن خلالها يصطادهم رصاصنا .

دان : ضخامة القطار فوق ما يقاس ، لعنة الله عليه .

لابد أن يحث في جانبه ثقب ومن جرائه يموت عشرون ،

وقد يفنى ثلاثون من الرجال .

لكنهم سيبعثون للقائنا الجنود .

نيـد : لسوف يعرفون ، عشرين عاما ، وسينصبون كلما بدا لهم ذكر اسمنا

ستتلقى الصحف السيارة الاخبار ، تنشرها في كل ناحية ،

في « استراليا » وفي أنحاء كل الارض .

وسوف يغدو ما فعلنا فائقا في قدره لكل ما جرى على المدى في الغاب .

قلت إني فاعله ، سأوقد النار على الأعلام قبل أن أموت .

بـيرن : يا « نيد » انني معك ، وانني لفاعل ما تفعل ، فما الذي يدعو إلى الإحجام ؟

وما الذي يبقى لنفعله ؟

قد نحرز الأمان فترة من الزمان . لكنني يا « نيـد » اتدرك ،

فسوف نغدو حفنة من الرماد قبلما تخمد تلك النار .

دان : ما أضخم الأمر عليّ ، لعنة الله عليه ، ماأضخم المخاطرة ،

وما أشده صنفا من الجنون .

لست بهياب أن أقتل « شيريت » ، وأن أطلق نيراني على الشرطة ،

لكن تحطيم القطار فوق ما يطاق ، يا « نيد » عد عنه إلى الصواب .

هارت : والله لن ينسوا لنا فعلتنا إلىإلى الأبد .

نيد : فما نسوا قط « ستر نجيبارك » فييوم الممر .

وما الذى يكون في فعاتنا مستغربا ، اذا أتحنا فرصة ثانية لهم ، لكى يتذكروا ؟

ففى « سترنجيبارك » في يوم الممر ، كنا جميعا واقفين عصبة متحدة .

والآن نحن عصبة واحدة مجتمعة ، فيما نريد أن نقوم به ،

في « جليزوان » . وليس دوننا سوى عصابة من الكلاب السود .

بيـــرن : ومعها يا « نيد » عصبة من الرجال البيـــض .

نيـــد : من يا ترى الملوم ؟

دعهم يجربون حظهم ، بصطادوننا بفرقة الكلاب ، سود الاهاب

هم يقتفون أثرنا بالاكلب السود ، وبالمخبر والجاسوس

فلم يكونوا شرفاء في قتالنا ، من أول القتال ،

وكم بدونا ناعمين ، لا نشد في عدائنا لهم .

هل تحسبون انهم إذ يلتقون ، يقول بعضهم لبعضهم:

« وارحمتا « لجو » ! ، وارحمتا « لدان » ! وارحمتـــا « لستيف » !

واخجلا من فعلنا بهم ! واخجلا من صيدنا لهم ،

ومن اطلاقنا الكلاب السود خلفهم !

واخجلا من أننا نرهب أهلهم ، ونشترى رفاقهم

العار كل العار ان نشنقهم ! »

لا ، لا أعير واحدا من الشرطة حينما أزيحه من الوجود إلاما أعيره ذبابة حين أذبُّها .

دان : ولا أنـــا .

هـــارت : سحقا لهم !

بـــيرن : الا ترون ما أرى ؟ أرى قطارا مقبلا مدويا مقعقعـــا

يزلزل القضبان ،

يصعّد الدخان ،

ثم يفوت شجر اللبان تاركا دخانه بين غصونها ،

أرى الشرطة يشرفون من نوافذ القطار ،

يشاهدون الغاب ، والمروج ، والابقار نافرة ،

تبدو لهم وهم خلف الزجاج .

أرى الشرطة يشرفون من نوافذ القطار ،

يشاهدون ، لكنهم لايميزون مما يرون شيئا .

هم قلقون ، كي يبلغوا « بتشورت »

لكنهم لن يبلغو ها أبدا .

من يومنا هذا إلى خمسين عاما مقبلة .

سوف يجيء السائحون ، إلى « جلينروان »

ليشهدوا القطار في حطامه يصدأ في الاخدود .

نيـــد : سوف يكون مشهدا يعجبهم منظره .

وذاك ما يرجون أن يروا ، وذاك ما سوف أتيحه لهم لكي يروا ،
وكي يدور حوله حديثهم ، مما يهولهم أن يبدعوه هم.
الامر مقضى اذن يا « جو » ؟

بيرن : لست أنا « شيريت » . يسرني أني سأجلو من هنا ، ايضا

لأبدأ العمل . إنا نُتخم هاهنا وننتن في داخل الدغل الرتيب .

قد كنت مدركا صواب ما قلت به برغم أنني كنت مكابرا ،

لا أبتغي أن أقبل بالصواب .

تأكّل الخوف حياتنا ونابها السأم ،

وبينما ذوت نفوسنا وفُتّتت ، تعطنت نفوس صحبنا ،
اليوم لابد لنا من وهج الشمس ونورها .

وإن تحطيم القطار سيكون وهَجا ذا عنفوان .

سيضحك الكميّ حينما يزاول القتال .

في ذا الوجود قَذر لابد من احراقه ، لكي يطَّهرا.

وإن مِن ذاك القَذر، صديقى الصدوق « هـــارون» الحبيب .

نيـــد : اذن فلابد من الخطة للعمل :

سنذهب الآن إلى منزل « شيريت » ، ونُردِى الفأر وسط جحره .

وبعدها نسرى إلى « جلينروان » كى نحتلها غدا .

ان لم نبادر ، وهو أمر لا مفر منه ، لأنذر الــشرطة منذر ،

وأوقف القطار قبلما نوقع به .

وفي طريقنا إلى « جلينروان » سوف نتلف القضبان .

وموعد القطار بعد ظهر غد ،

أو أنه يجىء في الليل غدا .

دان : فهل ترون أخذنا دروعنا ؟

بـــيرن : لسنا بحاجة لكى نرى كأننا مجموعة من علب قديمة من الصفيح . .

دان : قد يقتضى الأمر بأن نخوضها معركة حامية الوطيس .

نيـــد : لنأخذن معنا دروعنا المصفحة .

هيا بنا في العمر مرة واحـــدة نخوضها حربا عـــلى الأصول ،
ان لم نخضها مرة ثانية من بعد هذه .
فلا نريد ان نخوضها معركة مبيدة ، لكنها ان دعت الظروف ،
وحتم القضاء ان نخوضها ، فلن يصيبنا من الرصاص من أذى ،
أكثر مما قد يصيبنا منهمرا تصبب البرد .
وسوف تغدو النار بردا وسلاما حولنا ويذهلون
معتقدين أنهم جُنُّوا فلم يقووا على السداد والتسديد.
هيا اذن ، هيا على الكفاح .

بـيرن : « شيريت » لايحتاج أن نغزوه في عقر داره جميعنا.
اثنان منا ينهيان أمره ، واثنان يذهبان إلى «جليترواِن»
مهمة التخريب في القضبان تقتضى بعضا من الزمن ،
لابد أيضا أن تؤلبا أهل المدينة ليصبحوا في صفنا .

نيـد : ليست « جليتروان » أمرا مشكلا كى نخضعها ،
فالناس فيها يعرفوننا . لكننا لابد أن نحسب للوقـت حسـابه .

« جو » انها لفكرة صائبة تلك التى ارتأيتها .

أنا الذى أمضى إلى منزل « شيريت » لقتله .

وأنت هل ترى بأن في وسعك أن تمسك الزمام في « جليزوان » ؟

بيرن : أقدر أن أمسكه ، بلى .

لكنني أرى بأنني يحسن بى أن أحمل العبءَ الاخير .

نيد : أنت الذى تمضى إلى منزل « شيريت » لقتلة ؟

أنت فتى يا « جو » خير أصيل . فقبل فترة قصيرة أمرضني الظن بأن وهمت أن قد كنت مزمعا تخذلنى .

وأنت تبغى الآن « هارون » ، تريد أن تكون قاتله؟

دان : يا ليت قتله يكون من مهمتى .

بيرن : تقدر أن تأتى يا « دان » معى . نعم « فهارون » يخصنى

قد كان دائما يخصنى ، كان رفيقى ،

كان أخى . وأختى ، كادت ، ذات مرة ، تصير زوجة له ،

قبل اقترانه بمن غدت زوجته ، أدخلته عصبتنا ،

أراد أن يلحق بتنظيمنا ، وقد أنطنّا عملا آخــر وآخــر به ،

وكان منتجا إلى حد مشجع ، حتى أتى عليه وقــت باعنا فيه وخاننا .

نيــد : لست ملوما يا أخى على خيانته .

بــيرن : «هارون» زوج ، وفلاحة التلال صعبة ،

ثم النقود تنفع الفتى ، وان آلافا ثمانية ، من الدنانير لثروة .

لكننا أنا و « هارون » درجنا في الصبا معا في المدرسة

كم قد عبثنا ، ولغونا مرحيْن ، كم قد سبحنا في الغديــر ،

بل كم صلتنا الشمس نصطاد جراد « الأربيان » في مياه الجدول .

بل كم مضينا نكشف الكهوف طامعين في الكنــوز الكامنــة ،

تلك التى خلفها « مغيرة الغابات » والمغامرون

هارت : تحقق الحلم وفكت المطلسمات ، والكنز بان

هارون صاحبه ، وهى دنانير بآلاف ثمانية .

بـيرن : ما كان أطيب الغدير من مكان ، ولم يكن سوى بحيرة في الوحل ،
لكنما الصفصاف حوله ، لون مائه بخضرة الأمل ،
وما رأينا الماء جاريا ،
لكنما النقيق كان عالى النغم ، مثل الحرير في تدفق الأنهار .
وكانت الضفادع الصغار والكبار ، يعاو نقيقها كأنه تصادم الأحجار .
في المياه وهى جارية ، وتحت سطحها ،
وكان في العشب طويل الساق أحناش لها صفير ،
« قد انقضى ، لقد قضى ، لا تأسفوا عليه »
ذلك ما كانت تقوله حكيمة الضفادع الكبار .

نيد : اذن ، « فهارون » انقضى ، وقد مضى ، لا أسفا عليه .

بـيرن : وبعد ترك المدرسة ، لم نفترق ،
لكم لحقنا الفتيات صحبة ، وكم سكرنا رفقة ،
وكم ركبنا الخيل فرسانا معا ، وكم رمينا بالرصاص من سلاحنا ،

نيـــد : لقد نفضت الآن منه كفك الشريف .

بـــيرن : بعد قليل سأكون قد نفضتها .

أرى بأن يجدد اللقاء بيننا ثانية ، ومرة واحدة ، من أجل أيام الوداد الخالية .

لكن لن يسره بأن يراني ثانية . في هذه الليلة قلت :

إن يرتكب « هارون » في حقي خيانة الصديق .

فليس في الدنيا امرؤ يمكن أن أمنحه من ثقتي أيسرها.

» هارون » قد غيّر في عيني شكل الكون كله .

وقد يكون الآن جالسا في بيته ، وعند زوجته ،

ينتابه ذعر شديد ، حسب ما أحس ، غير أنه يخال أنه حي يرزق ،

والارض مازالت هي الارض كما هـــي ، لكـــن « هارون » على خطأ ،

فليست دنياه سوى ملء فم من الحرام والقذر ،

وان » هارون » لميت في عداد الميتين .

نيـــد : أظن يا « جو » أنه يدرى مصيره .

بـــيرن : آمل أنه يدرى به .

والله انى أحس أن قتله سوف يكون ممتعاً .

يا « دان » هل تأتى معى ؟

(ينبل بندقيته ويستعد للخروج)

دان : (ينبرى خفيفا مهتاجا) : والله انى معك .

هارت : أريد أن أطلقها رصاصة على « شيريت » .

نيد : لا ، أنت باق صحبتى ، لسوف تلقى كل ما توده من الإثارة .

تخريب قضبان الحديد ، وان ترى « جلينروان » خاضعة مستسلمة .

« هارون » قد يعرف ما سوف ينوبه من العقاب ، وما يحل به .

لكن هؤلاء الآخرين في « جلينروان »

سوف يظنون بأن البرق قد خطفهم .

بيرن : هيا بنا يا « دان » .

دان : حسنا اذن يا « جو » .

نيد : بقدر امكانكما من سرعة أرجو بأن ينهى العمل . سنلتقى في الخان عاجلا .

بـــيرن : في الحان في « جليرنوان » ، لن يقتضينا قتل « هارون » طويلا من زمن

نيـــد : خذوا من الشرطة حذركم ، « هارون » قد يكون عنده من يتقى الشر بهم .

دان : قل للشرطة يأخذون حذرهم من شرنا .

بـــيرن : والله إن يعترضوا السبيل دون بغيتي

لا لقوا وقتا لكيما يأسفوا على حياتهم .

نيـــد : اذن ، فطاب صيدكم !

دان : هل تحضر الدروع ؟

نيـــد : لسوف نأتيك بعلبتك ، سوف تكون « سردين » .

دان : مرحى ، اذن ، يا « ستيف » .

هـــأرت : بيني وبينك الشراب في « جليرنوان » ، في « الروم » سوف أغلبك .

بـــيرن : لسوف تضطران أن تستعجلا . يا « نيد » حتى نلتقى الوداع !

نيـــد : إلى اللقاء .

ثم وداعا طويلا لهارون ؟

بـــيرن : سوف يلقاه جزاء يستحقه .

(يذهب « بيرن » و « دان ») :

نيـــد : النار يا « ستيف » بدا اشتعالها ،

هيا إلى الدروع كي نخرجها ، ونذهب

(يسحب « هارت » الدروع من تحت السرير)

ســتـــار .

★ ★ ★

الفصل الثالث

المنظر الأول

(في المطبخ في كوخ « هارون شيريت » ، في نفس الليلة : زوجة « شيريت » وأمها « السيدة باري » تحتل كل منهما كرسيا بجانب المدفأة إلى جهة اليمين « جاويش » شرطة ايرلندى سمح الطبع ، بدين الجثـة في منتصف العمر — يتكئ بكل ثقله على مائدة المطبخ . يؤدى باب في ناحية اليسار إلى غرفة النوم الوحيدة في الكوخ — والتي ينام فيها ثلاثة من رجال الشرطة كما يؤدى باب في خلفية المطبخ إلى خارج الكوخ .

« السيدة باري » امرأة طويلة القامة ، مسمرة اللون ، ضامرة البنية ، وقد اخشوشنت مظهرا وصلبت مخبرا من أثر الحياة القاسية في الغابة ، الا أنها تصدر عن روح فياضة بسخرية رصينة يتلوّن بها حديثا الواثق النبرة . وان ظلا من الدعابة ليمتد على معظم مزاج ابنتها المتقلب ، ويرهص بأن الابنـة رغم كونها في سنها الحالية أقل رصانة وأكثر تسرعاً فإن طبعها سيستقر عـلى نفس الحال التي عليها طبع أمها .)

السيدة باري : (تشير إلى كرسي بجانبها) .
أتسمح أيها « الجاويش أن تجلس عند النار ،
تستدفئ ؟

الجاويش : أنا سيدتي ، أشعر بالدفء بما يكفى .

ريتـــا : لكم تزعج أعصابي ، على مائدة الأكل تنود
كأنك الزلزال ، يكاد يميد بالأرض .

السيدة باري : تفضل شرف الكرسي بالجلسة .

ريتـــا : سواء كنت مرتاحا على الكرسي عند النار ،
أو أنت تدليت على مائدة الأكل
ستقدر أن تراقب آل « كيللى » حينما يأتون .

الجاويش : سيدتي ، بأسرع ما يوافي زوجك الكوخ ، يعود
اليه من
نوبة تجواله ، سيعفيني من النوبة كي أخلد للنوم .

ريتـــا : يبدو أنه ليس يعير الوقت تقديرا ، ويقضيه على
مهله .

السيدة باري : تريدين أن يقضيه في البيت ، يطل برأسه حيناً إلى
الخارج . وحيناً يرجع الرأس إلى الداخل ، ولما
تمض منذ

مضى دقائق عشر .

ريتـــا : أنت يا أمـــاه مهمومة ، وان كنت تدارين
وتصطبرين .

السيدة باري : أنا لا أسبق الاحداث بالطيش أو الغفلة .
وقد ينتابني الهم ويشغلني إذا دوى بأذني ركض
خيلهـــم
تدهمنا ، ولكن لن يجيئوا أبد الدهر . ولن
يجرؤ منهم
أحد على ان يدنو من الكوخ .

الجـــاويش : وذاك الصدق ، عين الصدق ، سيدتى .

ريتـــا : أظن بأنهم لم يجرءوا أن يقتلوا الشرطة في يوم
« سترنجيبارك »
ولم يسطوا على المصرف في « يورا » ، ولا المصرف
في « جيريليدرى » أيضا . أتعتقدين أنهـــم
يخافون ، ومن « هارون »
بالذات؟ ! . .

السيدة باري : هم يدرون أن لنا من الشرطة حراسا .

ريتـــا : لقد أغفلت ذكر القط ، هو أيضا هنا من جملـــة الحراس ،

ولكني أراهم لن يهابوا وسيلقون بأنفسهم مجازفة ويأتونا .

أود بأن يجيء الآن « هارون » وأن يبقى هنـــا بالكوخ .

الجـــاويش : رجاء ، ليس من خوف على « هارون » أو خطر . وماذا ممكن يجرى ، وأربعة من الشرطـــة فـــى الكوخ ؟

ريتـــا : (مقاطعة بسرعة وبحدة) : ما « هارون » فـــى الكوخ ، هل « هارون » في الكوخ ؟ وأعـــرف أنه في الخارج الآن . وفي الخارج حيث هـــو ظلام لا يطمئنى .

الجـــاويش : يطل القمر الزاهى على الارض فتكسى بالبهـــاء كأنما جللها الثلج .

ولن تقوى عصابـــة آل « كيللى » هذه الليلة أن تسرى .

ريتـــا : مرادى أن يكون هنا ولا يخرج للتجوال .

عليكم أن تصدوه والا تتركوه يظل في الخارج .

الجـــاويش : أرجو أن ماتَخْشَيْنَ لن يحدث ، سيـــدتى ، ولن يلحقه مكروه .

ريتـــا : وهل تحميه وأنت هنا ، على مائدة المطبخ ؟

السيدة بارى لا خوف على « هارون » ، وليس هناك مايدعو إلى قلقك :

الجـــاويش : يقاسى الآن مما هز أعصابه بعض الشيء ، «هارون» وخير له أن يفعـــل ما يهـــوى . سينفض صـــدمة الأعصاب من قدميه في السير .

وإن شعوره انه يقظان ويحرس نفسه حذرا ،

يطيب منه خاطره ، يطمئنه ، يسرى عنه .

ريتـــا : أنا لست موافقة بأن يخرج منفردا ، عليكم إن يرد الخروج

ألا تتركوه يظل في الخارج منفرداً ،

كما يفرض واجبكم ، وأنتم هاهنا معنا لتحمونا .

وبالله ما أضخم ماتبدو حمايتكم على العكس

رجالك نائمون بحجرة النوم

وأنت الآن في المطبخ ، تحاول جاهدا أن تعرف ، كم طنا من الشرطة من الممكن للطاولة المسكينة أن تحمل ! . .

ألا تخرج ياهذا وتدعوه ! . .

السيدة باري : اذا عضتك ، ياهذا ، فلُم نفسك ، إني منك في حل .

الجاويش : (محاولا تلطيف الجو وتطييب الخواطر) : دعيها فهي لا تعدو بما قالته عن طفلة ، وقد زلزلها وهم بأن قرينها لابد أن ينتابه خطر . ولست ملقيا بالا لما قالت .

ريتا : ستلقى بضعة من تافه البال وتهتم ، متى عصبة « كيللي » ها هنا جاءت . فحينئذ — كما يبدو — يكون سريرنا لك مخبأ تمتد من تحته .

السيدة باري : أأنت بحاجة أن تلجئي للشتم يا « ريتا » ؟

ريتا : لقد أيقنت أنك لست الا بضاعة للقول لا العمل . منذ قليل ، سمعتك ، نافشا ريشك كالطاووس مدعيا ، بأنك أنت أحرقت كلابهم . فقم ناد لنا « هارون » ودعنا من بجاحاتك .

الجـــاويش : (يسير متثاقلا نحو الباب وينادى ببطء وبصـــوت عال) :

هارون ! هارون !

(صمت مخيم يسود المكان)

ريتـــا : عجيبا ، لا يلبي دعوة الداعى ، فيا رباه ماذا صار !

السيدة بارى : إن الفرس الشهباء إذ بلغت من العمر عتيا ، ولدت عجـــلا .

ريتـــا : واعجباه يا أماه ! أهذا موقف للضحك والسخر ؟ ألا يمكن أن يحدث ما لن تحمدى عقباه ، ولا أحمد عقبـــاه ؟

يا جاويش ، قسم ، ناد لنا « هارون » .

الجـــاويش : يا « هارون » .

السيدة بارى : واعجباه ، فعلا لايجاوب دعوة الداعى .

ريتـــا : يا ربـــاه !

الجـــاويش : (بأعـــلى صوته) : يا « هـــارون شيريت » (يغلق الباب ويتجول قلقا في المطبخ) اذن، كيف ترين الأمر ، لم يستجب للدعوة ولكن ذاك لا يدعو إلى القلق . فلن يصرخ في الغاب .

فمن شدة ماقد وتر الأعصاب تصميما لا يقـــوى على النطق .

ريتــــا : أنا أشعر أن الأحمق المأفون لم يؤذ .

والا كانت الطلقة قد بلغت مسامعنا .

السيدة باري : يمينا لو رأت عيناه ما يلمح من « كيللي » وعصبته لكان الناس في « داروين » — في أقصى شمال القارة النائى — قد سمعوه يزعق دون أن يقدر أن يكتم في حلقومه صوتا .

الجــاويش : غريب أمره رجلا ، وما ألطف ،

فى موقفه الراهن كيف يظل في الخارج جوالا

ويترك نسوة في الدار يقلقن ؟

ريتــــا : أنا لست عليه الآن خائفة .

ولكن هــكذا ديدن « هارون » ، غبي لاغبـــار عليه ، لكم يزعج أعصابى . ولا أقدر أن اوسِعَهُ لوما ، بل أرثى لحالته ، وأعذره .

السيدة باري : أنا من جهتى أشعر أن لابد من لومه ، ولا أعذره أبــــدا .

ريتــــا : لا تتقصديه الآن ، فا لمسكين في أزمــــة .

الجـــاويش : نعم ، أزمته تكفيه ازعاجا ،
وان شعوره أسوأ مما قد تخالان .
لقد نم على أصحابه وغدا تناهبه هموم الحـــس بالإثم .
وتبكيت الضمير صحا على عجل يزلزله ويضنيه
فقد أدرك أن صحابه قد كشفوا أمره .

ريتـــا : (حنقة) : ألا تخسأ ؟ ما نم على صحب وما خان
فما عصبة « كيللى » إن تقسهم به ؟

الجـــاويش : هم ليسوا سوى صحبة .

ريتـــا : أنتم قد دفعتم به ، لكى يفعل ما فعل .

الجـــاويش : لقد اغرته آلاف الدنانير ، لكى يفعل ما فعل .

ريتـــا : بل أملى على « هارون » واجبه ، يمد يدا من العون
إلى الشرطة ، وأنت عليك أن تسعى إلى عونـــه ،
لا تبق هنا متشفيا متهكما لكعا .

الجـــاويش : لاشك بأنا سنؤدى الواجب المحتوم كى نســـند « هارون » .
ولن يعدم « هارون » حمايتنا ، ونحن الآن نحميه .

ريتـــا : لا ينكر هذا منكر يملك عينين ،

غطيط ثلاثة في غرفة النوم يؤيده ، ورابعهم ،
هنا عندى في المطبخ لا يقوى من الرعب الشديد
على أن يطل بأنفه من فتحة الباب .

الجـــاويش : هذا لأنه أنف رفيع القدر والقيمة .

السيدة بارى : يبدو أنه كان لجدك قبلما آل إلى وجهك ؟ . .

الجـــاويش : نعم ، بطريقة ما ، أنت صادقة .

(يمضى إلى الباب)

السيدة بارى : إذن ، ما مات من ظمأ .

(يفتح الباب) إنه آت ـــ إن لم يكن الآتى ؛

« كيللى » وعصابته .

ريتـــا : كاد الوقت أن يأزف ، والساعة آتية . . .

الجـــاويش : ياسيدة « شيريت » ، وأيضا أنت ياسيدة «بارى» ،
اريدكما بأن تتلطفا الليلة جهدكما مع « هارون » ،
خذاه بالتى هى أحسن ، مهما كان ما فعله ، ومهما
يكن الثمن الذى سوف يكلفه ،

هو الآن يخوض بسيره « وادى ظلال المـــوت »
والرعب ،

هو الآن وحيـــد في مكان شاهق منعزل كالقمر العالى ،

إذا ما حكم الله بأن لابد أن يهوى من افقه ،

إذن فليهو للارض ، ولكن لطفا بالله سقطته .

ريتـــا : عجيبا ، أيها « الجاويش » ماذا دهاك ؟

لا يخفى علينا أنه في غاية الرعب .

الجـــاويش : بل ان الذى فيه لأكثر من تصورك .

فلما ، مراقب الشرطة ، انبأه بأن الغولة السعلاء ، العجوز (بيرن)

أكبت فوقه ، تحدجه بالنظر الحاد، محملقة تـَفرّس في محياه وانه كان طيلة كل ذاك الوقت في نومه ،

تغير لونه كفنا عليه مسحة الثلج ،

وغشّى وجهه المسكين قطر بارد كالمطر المنصب ،

وحاول أن يفوه بكلمة واحدة لكن لم يقو .

فان لسانه حين أراد أن يقول شيئا به ، غدا مقول ميـــت .

لم يفت « هارون » أن يدرك مغزاه .

ريـــتا : ولكنك ما قلت لنا هذا على الإطلاق .

الجاويش : وما فاه به لما استعاد لسانه النطق ، وحين غـــدا امرءاً حيـــاً .

« انا اعلم أنى الآن ميت » . « إننى ميت » .

رجاء عاملاه بالتى هي أحسن .

(يظهر « هارون شيريت » في المدخل المفتوح . وهو شاب ، خفيف الشعر ، مكتنز العضـــل ويرتدى قميصا قذرا أبيض ، وسراويل مخمـــل قطنية ، مثبتة إلى حذائيه ، ويبـــدو كمن هـــدّه الهم ، يائسا مستميتا ، أو ، أنه في لحظات التفاؤل واسع الحيلة ، متقلب الاطوار . وحينما يدخل، تتجه « ريتا » اليه بدافع من التلطف ، ولكنهـــا تتوقف قبل الوصول اليه ، مفضلة أن تخفف حدة مخاوفها با لمناكدة) .

ريـــتا : (بحدة) : يا « هارون » ، لماذا لم تجب لمـــا دعونـــاك ؟

شيريت : لماذا كنت تزعق أيها « الجاويش » ؟

وماذا دهاك حتى غدوت تصرخ لى وتدعونى ؟

ريـــتا : أنا أخبرته يدعوك .

شيريت : ماأغباك ، في الليلة هذى أو مثيلتها ،
با مكانك أن تسمعى صوتا من عدة أميال .
اذن فقفى على الباب وخورى مثل جاموسة ـ
فيمكن أنهم لم يسمعوا صوتك من قبل .
ويمكن أن في آذانهم وقرا .
فهلا قلت إنى ها هنا عندك موجود .
هيا فاذ هبي واستصرخيهم يحضروا إلى هنا من أسفل الوادى .

ريتا : هم يدرون حيث تقيم .

شيريت : ولكن سوف يدرون بأنى قابع في البيت ، أيضا ، حينما تعوين باسمى من خلال الغاب .

ريتا : لماذا تبتغى متقصدا با لله إزعاجى ؟

السيدة بارى : قم اخرج وتحرش إن تشأ با لقمر الساجى
فما جرك للشر الذى أنت به ، الا جنون فيك مكنون لا « ريتا » .

ريتا : أماه ، رجاء إلزمى الصمت .

الجاويش : ألم تسمع شيئاً أنت يا « شيريت » ؟

شـــيريث : عجيبا ، ما الذى يمكن أن اسمعه ،

وقد احدثت ما احدثت مما يزعج البال ويقلقه !
بدا لى أن صوتا رن في سمعى ، كما لو كان وقع
حوافر الخيل تطرطش وهى تعبر في المخاضة أسفل
الوادى . ولكن لم اميزه .

ففى الغاب صقيع صلب الاغصان تصليبا ،

اذا ماست به الاغصان صدع كالزجاج ورن حين
وقوعه أرضا ،

لحاء الشجر الصلب يصدع محدثا صوتا

وللعيدان صوت حين تنقصف

ولا أنسى حذائيك الثقيلين ووقعهما

واذ تختلط الاصوات اجمعها وتشتد

يخيل لى قطيع بقرا قد وطئ الاوراق في سيره .

ولما كنت أصغى حينما أوقف من سيرى ،

فلا اسمع صوتا ابداً من كل ما كان .

وقد خيل لى أنى سمعتهم يجيئون ،

ولكن أوقفوا من سيرهم حين توقفت عن الاصغاء ،
أو ان لم يكن شيء سوى الوهم .

لا أقدر أن أدرى كنها للذى كان .

(يجلس على المائدة ، يائسا ، وتدنو منه « ريتا » وتمسح على رأسه بحنان) .

ريتـــا : رفيق العمر يا « هارون » وارحمة قلبي لك .

شـــيريت : (يطبق على كفها بين كفيه) : بقلبي أنـــت يا « ريتا » ! .

ريتـــا : لكم تبدو مثل الثلج مقرورا .

شـــيريت : (يفلت كفها واثبا على قدميه) : إلى صلب عظامى بلغ البرد .

ولكن من الخير بأن أبقى طليقا خارج البيت .

ولا يصطادنى الاعداء في عقره .

الجـــاويش : تيقن أيها الرجل ، بأنك ها هنا آمن من مصرف .

السيدة بارى : وذلك عين ما يخشاه « هارون » : . .

الجـــاويش : فماذا تبتغى أكثر ؟

وفي الدار من الشرطة أربعة .

شـــيريت : أريد بأن أرى « كيللى » وعصبته يموتون .

السيدة باري : ما أسعدها فكرة ، تنام وأنت تحلم ان تحقق لك .

شـــيريت : أريدهم يموتون .
ولن نرقد حتى يصبحوا كلهم موتى .

الجـــاويش : لسوف تراهم موتى . وأولهم رفيقك « بيرن » ،
سيعرج للسماء لكي يراقص غيره ممن اليها سبقوا
خطوه .

ريتـــا : أقِلّ الشطح ، خفف بلة الطين .

السيدة باري : ليس من الغريب بأن « كيللى » والصحاب معه ،
قد خلقوا ليقضوا كلهم شنقا ،
ومنهم « جو بيرن » فليس مستثنى .

شـــيريت : لقد كان بوسعى أن أنام وراء متراس من الصخر ،
يمرون به من دون أن يدروا بأنى خلفه مستخفيا
. . . سوف أعسكر في خفايا الغاب .

ريتـــا : لن تخرج ثانية ، لن أتركك تخرج .

شـــيريت : هذا الكوخ مصيدة ستودى بي .
بوسعهم التسلل حتى إلى عتبة الباب
ولن تسنح لى الفرصة أن أفلت من قبضة طلابى
ولكنى سأقدر أن أراقبهم إذا أرصدت في الغاب .؟

ريتـــا : ونحن هنا دمى في كفة القدر يقلبنا كما يهوى
ولن نرضى بأن تبقى وأنت تواجه الخطرا .

شيريت : أرى لو تحضرين معى لإيناسى ، يا « ريتا »
ولكن لا ، فخير لك أن تبقى هنا في الكوخ
فكثرتنا ستفسد ما أردناه .
وأنت هنا تكونين على خير الذى أهوى .

السيدة بارى : هل نبقى هنا ليقطعوا اعناقنا غيلة ؟
ولست أقول هذا مخافة الموت —
فان القتل سوف يكون تغييرا وتجديدا . . .

ريتـــا : إذا دهمنا « كيللى » وعصبته
ولم يجدوك في الدار ، سيشفون غليلهم بمن يلقون
ولا شك بأنهم سيفنونا ، وعن بكرة أهلينا .

الجاويش : لن يتعرضوا بالشر لامرأة ، مهما كان من أمر ،
خذى قولى هذا كفالة عنهم .
« بكيللى » وعصابته أنا ، سيدتى ، أدرى .
هم أهون شرا في طريقتهم إذا مدوا يد الضر .

فلا يبغون الا زوجك المفشي للسر .
فتى قد باعهم واستشعروا فيه مدى الغدر .

ريتـــا : ولما تدفعوا أتعابه بعد ، وقد عرض للشر .

شيريت : لسوف نلوذ بالغاب ، نقيم لنا به معصم .
فما رأيك يا جاويش ؟ هل ترضى بما أحكم ؟
سنلتي في قرار الواد وكناً فيه مخرجنا ومخبانا
ويبقى الفتية الثاوون في المهجع ،
ليحموا نسوة الدار من الشر اذا حان .

الجاويش : إذا شئت بأن تمتع بالنوم مع السيدة الخضراء —
مع الغابـــة ،
فرح وحدك ،
أمضى لسريرى فهو للرقدة يدعونى .

شيريت : ولكن ليست الرقدة مأمونة . ومحتوم علينا سهـــر الليـــل .

الجاويش : إذا كنت قديرا تسهر الليل ، كما قد صرت عينا تخبر الشرطة عن صحبك ، فما أحراك ان تتركنا نتعم با لنوم على أعمق أعماقه ،

وتمسي يقظا عيناك ترعانا .

إذن أترك هذا الواجب السامي اليك ولست أوصيك
فما أوصي حكيما مرسل يبغيه في أمر .

ريتـــا : تخليك عن الواجب لايعفيك من لوم ومن عتب .

الجاويش : ترين الباب ذاك ؟ إذن ، هناك أكون ،
يا سيدتي « شيريت » ، فليس بمبعد جدا . . .
لكي تصلي اليه وتطرقيه علي ،
وليس له من السمك الذي يجعلنا لا نسمع الطرقة
من خلفـــه .
إذا عصبة « كيللي » أتت إلى من خانها كيمـــا
ترد على خيانته فنحن هنا على أهبة أن ننقذ زوجته

شيريت : عليكم ان تفروا بي وتنجوني من الخطر .

الجاويش : وهل قلنا بأنا لسنا ننوي أن نفربك وننجيك ؟
ولكن هل يسرك ان تفر مجللا با لليل
كمن قارف جرما قاتلا نفســا محرمة

شيريت : قصاري همي الآن بأن أفلت من داهية الورطة .

الجاويش : فتى الفتيان ، أما بعد أن أصبحت من عائلة الشرطة
فأحرى بك ان توليهم ثقتك .

يقينا ، نحن ندرى كم تضيق رحـــاب قارة « أستراليـــة »
بمن خان الرفاق وباعهم با لمال .
لسوف نهيئ الفرصة كى تهرب .
نعم سوف نعبؤك ونصدرك إلى قارة « أمريكا »
لكى تبلغها مستأمنا أنت واموالك .
وثروتك التى واتى بها الحظ ، ومن بيعة « كيللى » وعصابته
ستغنيك لتحيا موسرا في رتبة السادة والاشراف .
ولن تزعجك الاشباح ، فليس لها من القدرة
أن تخترق الماء لتلحق بك .
ولكن أنت يا « هارون » تدرى جلية الامر
« فكيللى » وعصابته مازال على الغارب حبلهم
اذن فعليك ان تصبر .

ريتـــا : لكم تبغون خذلانه . لحرصكم على المال ومطلكم

السيدة بارى : المال يا « ريتا » ليس لدى الجاويش .

الجاويش : لسوف نفى بدفع المال حين يحين موعده مباشرة .

شيريت : عليكم ان تفروا بى وتنجونى من الخطر الذى أمسى يداهمنى

وبعث المال هذا ممكن من بعد إخراجى من البلد .

الجاويش : قد نأخذ با لرأى الذى قلتــه ،

وفي الوقت مدى يكفى لكى يتدبر الأمر .

ولكن لست تقوى على أن تقسر القانون أو تفرض قبل الوقت تنفيذه .

ريتـــا : أنتم ضده الآن ، وما كنتم له ضدا ، من قبل ،

حين لففتم حوله ، وداريتم وراودتم ،

وحين زحفتم كى تستدروا منه أخبارا وإعلاما

فمنكم باسم ومربت ظهره ، ومن يدعو لــه با لكأس تلو الكأس يسقيه ، ومن يتوعد المسكين تهديدا ، ومن يعدُه ،

إلى أن صار حيث أردتم وشددتم السرج على ظهره وها كم تجهدون الآن صهوته لتفنوه .

شتريت : هم الآن جميعهم لى ضد .

فمن عصبة « كيللى » ، ورجال الأمن والشرطة

وكل الناس حيث ثقفتهم ، ودرجت في خطوى.

فى هذى الاسابيع القليلات التى مرت على القرب

لايشرب في الحان معى أحد .

جميع الشاربين غدوا يخافون الحديث إلى في الحانات ،

لأنهم ضدى .

وسرعان ما سيشرع كل كلب رأسه نحوى وينبحنى

متى سارت بى القدمان ناحيته ،

أنا فان ، ورائحة الممات تفوح من جسمى .

السيدة بارى : رجال الأمن والشرطة لاشك سيحمونك

فحقك في الحماية قائم دينا بذمتهم .

ريتـــا : وحقه قائم دينا بذمتهم دنانيرا ، آلافا ثمانية .

الحاويش : (متلطفا مطمئنا لهم) : أحلوا في قلوبكم السكينة

واطمئنــوا ،

(بجدة) ولكن لايحل لكم بأن ينصب منكم وحل

اللوم على الشرطة .

فلسنا جاهلين الواجب الملقى علينا نحو « شيريت »

« لشيريت » حمياتنا جميعا — معشر السلطة —

ويكفى ما نقول لكم .

وسوف ينال جائزته ، ولكن حينما يأزف موعدها
وتصبح حقه فعلا .

شيريت : (معتذرا) : أنا — يأيها الشرطى — أدرى
ما بنيتكم
ولى ثقة بأنكم سوف تردون على فضلى بلا بخس
ولا نقـــص ،
وها كم تحرسون الكوخ لم يبد عليكم أى تقصير .
وارجو أيها الجاويش — أن يشملنى عطفك
وان توصى ، بما لكلامك المسموع من أثر ، على
تدبير اخراجى .
بوسعك ان تحدّث مشرف الشرطة .
لا شك سيصغى لك .
رجاء ، قل له إن خروجى يستدعى الاسراع فورا
دون امهال .
لسوف تقول خيرا منك ينفعنى ،

الجاويش : سأبقى في حدود الواجب الرسمى ملتزما .

ريتـــا : سيحمونك ، مادامت جميع ظروفهم متأتيـــات
دون تعكير .

الجاويش : لسوف أرى الذى أقدر على صنعه .

شيريت : ان الخير من معدنه ليس بمستغرب ، جزيت الخير — يا جاويش .

الجاويش : (متجها نحو غرفة النوم) : لقد قررت أن أخلد للنوم .

إذا ما احتجتنى فلتدعنى ، آتك .

ولتصبح على خير .

السيدة بارى : ولتصبح على خير .

ريتــا : نم نومة من لا يعرف الهم .

(يدخل « الجاويش » غرفة النوم ، ويغلق الباب)

يمين الله سوف ينام نومة فتية الكهف ،

السيدة بارى : لربى الحمد إن سريره فيه براغيث .

شيريت : (يهمس محتدم الغضب) : تظنين بأن سيقابل المنة با لشكران .

يبدو انه لن يتوانى أن يضيع الجهد والوقت« لكيللى » وعصابتــه ولا يقضيه من أجلى .

لسوف أعلم الخنزير درسا هو أهل له .

سأبلغ عنه آمره .

ريتـــا : رجوت الله

لوأنك عولت على نفسك في عمرك ولو مرة .

شيريت : لسوف أرد ما كال لى صاعاً بصاعين .

ولكن ليس ذى الليلة .

فهمى هذه الليلة أثقل منه في الوطأة ، بل أدهى .

السيدة بارى : هموماك كم تجسمها تهاويلك .

دع المقدور يجرى في اعنته ، ولا راد لما قدر أو كان .

شيريت : فما قدر أو كان كما يبدو لك الرأى ؟

لكم تتصنعين بأن بالك ليس مشغولا ، بغير هموم

وأنت ترين أنا قد بلغنا المأزق المحترم

ولانقدر ان نفعل شيئا غير أن ننتظر المقسوم

وما حبلت به الغابة من شر لايتأنى

أحس به يسير الآن منطلقا إلىّ وليس با لنائى .

ريتــا : (في غاية الملاطفة) : يا « هارون » ، ياأغلى أعزائـــى . . .

(ترتمى بين ذراعيه وتحتضنـــه)

شيريت : لقد ساءت ، وقد ضاقت بما رحبت على الأرض، يا « ريتا » .

ريتــا : ساضرب خيمة في الغاب ، إن تهوى . سنمضى معا وأمى سوف تبقى للمنام هنا .

شيريت : (مرتابا) : تنامين معى في الغاب ؟

السيدة بارى : دعى، » ريتا » ، السخافات .

ريتــا : لاتتدخلى بالله ، يا أماه ، فهذا الأمر لايعنيك . يا « هارون » هل نمضى إلى الدغل لكى نضرب خيمتنـــا ؟

شريـــت : (ينفلت منها) : لن نمضى لن نمضى ! فليس يفيد هذا الفعل ، يا « ريتا » .

ريتــا : (بأسلوب لاذع) : اذن حسنا
ولتفعل ما يعجب اهواءك .
فما قلت الذى قلتُ سوى حبا بارضائك .

فقد خيل لى أنك تبغيه .

شيريت : (محتدا) : لقد غيرت من رأيى .

ألا أقدر أن أمكث في الكوخ إذا شئت .

أم هل أنت تتمنين ان أخرج للغابة ؟

ويمكن ان يكونوا هناك .

السيدة بارى : سرّ عنك ، يا « هارون » با لله !

شيريت : بربك ، أغلقى مصيدة الشر !

ريتا : أنا لاأعجب الآن لماذا الناس ضدٌ لك . . .

رجاء واستمع ، « هارون »

فلا يصلح أن نتخاصم الليلة .

وآمل أن أمكّن من مساعدتك . .

شيريت : أنا أدرك انك تبتغين ان تعينينى .

ولاتدّخرين الجهد والنيّة .

ولكنى أرى أن تبعدى مما أنا فيه ، فلست طرفافيه

ريتا : تغص الدار بالشرطة .

شيريت : لافائدة منهم .

ولن يتورعوا من أن يعينوا آل « كيللى » عليّ .
لقد عمهم الخوف . ولا يبغون أن يتعرضوا للشر والمشكل .
لذاك مضوا ينامون .

السيدة باري : سنبقى نحن جانبك ، إلى أن يتجلى الهمّ والأزمة .

شيريت : بقاؤكما إلى جنبي مشاهدتين لا أكثر .
وذا كل الذى يمكن أن يفعل من أجلى — اذن فلتشهدا المنظر !
كما قد يشهد الناس امرءا يغرق .
فدوركما مشاهدتى ، ودوري أنني أغرق .

السيدة باري : ما « كيللى » وعصبته بسيل أو بطوفان —
وليسوا غير أربعة من الصبيان ، ما أسخفهم فعلا !
وليس لهم من الأعمال الا أن يظلوا راكبين خيولهم يفنونها ركضا .

شيريت : كفّى عن مقال لست تدرين حقيقته .
أنا أعرف من « كيللى » وعصبته

ريتا : قد لا يحضرون هنا .

شـــيريت : لا الليلة أو في الغد . أنا أعرف
كنههم .
و لكن سوف يأتون ، وذا أمر بلا شك ولا ريب.

ريتـــا : (با ستخفاف) : أما أنت لهم كفوٌ ؟

شـــيريت : هم أربعة عدًا، وشخص واحد فرد .

السيدة باری : (مناكفة « لريتا ») : لقد قلت لك هذا سيحدث
قبل أن يحدث .
وقد أدركته فعلا جنونيا زواجكِ منـــه . . .

ريتـــا : ولكنك قد أدركت أن قد تاب ، بل قد تـــم
اصلاحـــه .

السيدة باری : لايصلح الا حينما تتبدل الغربان في اللون
من سود إلى بيض .
فما زال من العصبة عضواً عاملا فيها ،
هم لص ، وكذاب ، ومغتال ،
وكلهم سواء ، يقطعون رقاب بعضهم بعضا ،
لقد انزلت نفسك ،منزلا صدقا ،وفي وكر الثعابين.

ريتـــا : ما كنت مقدرة بأن الأمر منقلب إلى حال كهذى الحال .

شيريـست : بلى قد كنت عارفة .

ريتـــا : يمين الله لم أعرف .

السيدة بارى : نعم والله ! لم تعرف ، .

شـــيريت : لقد عرفت ، وانت كنت عارفة ، كما عرفت .

لقد أدركتما كلتا كما الأمرا .

وباعت نفسها لى بالدنانير ، بالآف ثمانية .

وذلك قبل مكرى بالعصابة قبلما بعتهم غدرا .

وقد كانت وكنت أنا

كلانا همنا المال بنفس المستوى قدراً .

لأجل المال قد قبلت زواجاً بى ،

لذلك قد أذنت أنت لها .

ريتـــا : لقد خيل لى أنا سنغدو من ذوى الأموال والثروة .

وكنت تفيض بالأوهام تنسجها مشاريع .

اليك الآن وانظر ما الذى قد جئت من فعل .

شـــيريت : أنا ، الذى قد جئت من فعل ، أردت به رضاك
ولم أرد غيره . ،
وأنت الآن تنقلبين ضداً لى
ولولا أننى آثرت مرضاتك ، لولاك ــ

ريتــا : يخيل لى ،
لكنت الآن مازلت لدى « كيللى »
تلعق قاع نعليه .
فان تندم لانك بعته وفضحت علاته .
فتب وأنب إليه لعله يوليك من عطفه
يعيدك راتعاً أكناف مرضاته .

شـــيريت : لست بنادمٍ أبداً على شئ .
لقد عاملنى « نيد » كقاذورة .

السيدة بارى : ولكن لم تن تخدم أغراضه ، رغماً عن اساءاته

شيريت : لمأخدم سوى المال
لقد نظروا إلى مستخفين ، ووزناً لم يقيموا لى .
وكانوا إن اجازونى بدينار ،
فكما تلقَى إلى الكلب بقايا أو فتات من موائدهم .

ريتـــا : ألم تسمع ؟

شـــيريت : « مرعوبا » : ماذا أنت سامعة ؟

ريتـــا : يخيل لى بأنى سمعت شيئاً ، ركض خيل أومثيلا له.

شـــيريت : أولئك هم لقد جاءوا .

السيدة بارى : كفى سخفاً وأوهاماً . فلا يوجد شئ مطلقاً أبداً .

ريتـــا : انا واثقة أنى سمعت الصوت ، ياأماه .

السيدة بارى : يحف الريح في عزفه . « وللبسم » وللفيران والثيران أصوات ،

الا يمكن ان الصوت يصدر عن ذه ، أو غيرها ، مثلا ؟

شـــيريت : إذن ، بالله فلتصغى !

(يخيم صـــمت) .

السيدة بارى : لايوجد شئ مطلقا أبداً ،

يا « هارون » بالله افتح الباب ، لتعرف جلية الأمر .

شـــيريت : انا لا أستطيع الآن فتح الباب .

ريتـــا : اذن ، سوف أطل أنا .

شـــيريت : (يدفعهما جانبا) : إذن ، حسنا . لسوف أطل
كى أستطيع الأمر .
(يفتح الباب على مصراعيه ، يتطاع إلى الخارج
يلقى نظرة
طويلة ، ثم يغلق الباب مرة ثانية مرتاح النفس
مطمئنا) .

السيدة بارى : لن يتهوروا ويغامروا كى يحضروا أبداً .

ريتـــا : انا واثقـــة ، أماه ، أنى قد سمعتهم .

السيدة بارى : هم يدرون أنك في حماية قوة الشرطة .

شـــيريت : أى حماية هذى ؟ ! .
حماية قوة الشرطة ! وهل خافوا من الشرطة في
يوم من الأيام ؟
ليس يهمنى من كل عصبتهم سوى « نيد » ،
أما الآخرون فلا أقيم لأيهم وزناً .

ريتـــا : ولا ترهب حتى « جو » ؟
حسبت بأنه كان الأثير لديك ،
لكم خيل لى « جو » ومحبوبتاك أخته ،
أنهما لديك الشمس والقمر .

شـــيريت : وهل يجمل ذا الآن بأن ينبش ذا المو ضوع ؟
واعجبـــاه !
هبى أنى بها قد همت حبا ذات يوم كان —
لقد ختمت حكاية ذلك الحب ، وليست شاغـــلى الآن .

ريتـــا : يخيل لى بأنك نادم أيضا على مافات .
لقد وهبتك ما تهواه منها دون امهال ،
تلك الكلبة الفالتة الاهواء في الغاب .

شـــيريت : دعى الموضوع با لله وخايـــه .
فلم أحفل بها حقـــا .
ولكنا انطلقنا معا لما يربط مابينى وبين « جو » من رابط الصحبة .
و « جو » كان رفيقى دائما أبدا .

السيدة بارى : رفيقك ! قل دمارك وانهيارك في قرا ر الـــدرك الاســـفل !

شـــيريت : دعى عنك حديث السوء
« فجو » ما كان إلا خير انسان ،

نشأنا معا ، رتعنا معا صديقين وفيين .
فلم نترك من الأشجار واحدة ،لم نطلعها من أجل
عشاش الطير ،
ولا بركة ماء لم نصد فيها ،
ولا كهفا بلا كشف وتنقيب
على طول الممر الضيق المتعرج النائى .
وشددنا مرة حصنا
وهيأنا لأنفسنا خيالا اننا نرمى مدرسنا —
لكم كنا صغارا كالشياطين —
وبعد ئذ جرى كل الذى نحن به الآن .

ريتـــا : لكم أغنى من الذكرى التى تغدو ترددها ،
عنك وعن رفيقك صحبة السوء !
وهذا بعد أن بعث الرفيق مع عصابتـــه .

شـــيريت : دعنى وما أنا فيه . أنا أدرى بأعمالى .
بدأت أزعزع الأرضين من حولى ،
فانحطت على رأسى بأكملها :
بما فيها ، صخور وحجارات .

ريتـــا : يا « هارون » !

(تسمع طرقة عنيفة الوقع على الباب الخارجى) .

هـــارون : (يكاد يصرخ زاهقا) : يا « ريتا » لقد جاءوا لإفنائى

الصـــوت : (من خارج المسرح) : يا « هارون » ! يا « هارون » !

(تندفع « ريتا » إلى أمها وتتعلق بها . ويتقهقر « شيريت » الى ناحنتهما وعيناه شاخصتان إلى الباب)

السيدة يارى : (منادية) : من الداعى ؟

الصـــوت : يا « هارون شيريت » !

ريتـــا : (تتمالك بعض الشئ) : يخيل لى بأن الصوت يشبه صوت « تونى ويكس ») .

كذا صوته ، أعرفه .

الصـــوت : هل أنت هنا في الدار، يا « هارون » ؟

شـــيريت : (باطمئنان) : على أية حال ، إن هذا صوت « تونى ويكس » .

السيدة بارى : (منادية) : من الداعى؟ وماذا يريد ؟

الصـــوت : « تونى ويكس » .

ألا تفتح لى بابك ، يا « هارون » ؟ ضللت طريقى الليلة .

شـــيريت : أ ذلك أنت ، يا « تونى » ؟

الصـــوت : يا « هارون » بالله افتح الباب .

لقد أرهقت في الظلمـــة .

ريتـــا : (بفارغ صبر) : يا « هارون » ، بالله افتح الباب

(يستجمع « هارون » قواه ، ويتجه نحو الباب.

وحين يطل منه ، تسمع طلقة رصاصة . يترنح

متراجعا إلى الغرفة ثم يقع ميتا . تزعق «ريتا» .

ويندفع إلى الداخل « بـــيرن » شاهراً مسدسة في يده ، ويتبعـــه « دان »

ستار .

الفصل الثالث

المنظر الثاني

على ردم سكة الحديد عند (جلينراوان) فى نفس الليلة

(يمثل المنظر أمام ستارة خلفية توحى رسومها بالليل والغاب . تصدر الانارة عن فانوسين يحملهما رجلا سكة الحديد اللذان يرغمهما « نيد كيللى » و « هارت » على القيام بنزع خطى القطار يدخل « نيد » من الميسرة ، يتبعه « ريردون » أحد نظار عمال سكة الحديد ، ثم يتلو ريردون اثنان من عماله و « هارت » في المؤخرة . و « ريردون » رجل متين البنية ، قد تجاوز منتصف العمر ، يتحدث بنبرة أدنى ماتكون الى اللهجة الايرلندية القحة . يحمل عتلة بينما يحمل تابعاه معولين . يتوقف الموكب في وسط المسرح وفي قلبه « نيد » و « ريردون » أما « هارت » فهو في الذيل يسيطر على رجال سكة الحديد ببندقيته .)

نيـــد : في أى مكان هاهنا يمكن أن يبدأ بالتخريب

ريردون : ماأوعره من مكان !

وما أعنف ما يبغى بأن يبذل من جهد.

نيـــد : ولكنى أرى أنكم سوف تؤدونه .
ستنتزعون قضبان الحديد لتخربوا السكة

ريردون : لم لا أنزع القضبان كى تتخرب السكة ،
وخلفى تشرعون البندقية كى تحثونى
ولا يوجد حب لرجال الأمن والشرطة في قلبى .

نيـــد : أنا لست بمهتم بمن تبغض أو تهوى ،
ولكنى أرى أن تبدأ العمل .

ريردون : لقد قلت لكم قولى حين جررت من فوق سريرى
انى سوف أفعل ما تشاءون .

أحد عمال
سكة الحديد : مددنا نحن ذى القضبان للدولة ،
وباسمكم سننتزعها . كلا الأمرين سيان .
وما كنت بمهتم أشاهدها عليها القطر جارية
وما همى أشاهد أنكم لن تخربوها . . .

عامل سكة
حديد آخر : . . . . ذاك من رأيى أنا أيضا .

هــارت : بين يدى توجد هاهنا ذى البندقية ، ليس ذا سرا ،
وهى تكاد تحتج صاحبة ،
فان أكثرت من هذا اللجاج فسوف تنطاق .
ولكنى أرى أنك شخص عاقل ، يا صاح .
ريــردون : لــن يجدى أن نتبادل الســخف .
لقد حدثت نفسى ، ــ الساعة ــ حينما كنا نطلع التل :
« ما أسخفنى ، بل ما أشد فساد تفكيرى ، على الاطلاق .
لو أنى با لعتلة ، حملت على الذى تدفع عنه بندقيته . ــ
فلو كنا كلانا حاملين عتلتين ، الآ ن .
أو ليس لدينا من سلاح غير أيدينا مجردة ــ
نيــد : لا أنكر أنك يا « ريردون » باسل بطل .
وسوف نخوض معركة معا في موعد لا حق ،
ولكن هذه الليلة نبغى إنجاز العمل .
وان الموت محتوم على من يعترضنى في طريقى هذه الليلة .

فلا تطلبـــه ، كى لا توهب الطلب .

ريـــردون : ما أغرب الموت من لفظ وأبرده ،

وما أغربها دنيا وأبردها إذا كانت لجرى الموت ميدانا .

نيـــد : كفانا برد ذى الليلة .

ريـــردون : أصدق ما ذهبت اليه « كيللى » .

ففى ليل كهذا الليل ، وفي هذا المكان هنا

الذى يمكن أن يقوى رجال قلة فيه

على قلب قطار ثم تحطيمـــه

هل أعجب من أن تطلق النار على رجل من الخلف.

نيـــد : يمين الله ، انك عارف انى سأطلقها .

ريـــردون : وذلك واقع ليس يمارى فيه ،

ويمكن أن يحس المرء بالطلقة في الخلف وفي الذهن ،

كما يشعر بالبرد على العتلة في كفه ،

وعامل سكة القطر —

وهو مجرد العبد الذى تملكه الدولة – من قبل ومن بعد ،

ومن لم يعط تعليمات

أن يلقى قفاه طلقة النار

لن يبحث بالظلف على الحتف

سوى أن كان معتوها بلا عقل .

نيــــد : أرى أنك ترجو أن تجر الحتف بالظلف .

هــأرت : أترجو ذاك ، يا « ريردون » .

العامل الأول : قصاراه الكلام وليس يبغى دونه بدلا ، ويهواه .

نيــــد : اذن قل ما تشاء ولا جناح عليك ، يا « ريردون » .

ريــــردون : سيلجأ للكلام الليلة الصخر الأصم الأبكم الأجرد والأشجار ،

عن المجد الذى للقمر الزاهى، اذاقدرت علىالقول
ويحكى حيوان الغاب ، وأعينه مصوبة إلى النار
يفضّض فروة النور الذى ينبثُّ في أثناء تلك الغابة السفلى

بما فيه صغار القنغر الوثاب والبسم ،
وفيما بعد ، هى الآذان مشرعة مشنفة ،
هى الافئدة الوجلى التى تجب ،
بما أذهلها مما تناهى في مسامعها وتحكى كلها عنه
بألسنة الحجارة أو غصون الغاب والأحطاب .
ولكن كل هذى غير ناطقة
وليس النطق الالبنى الانسان ماداموا من الاحياء ،
ولا ينكر أنى الآن مازلت من الأحياء ،
ولن أحرم نفسى من صريح القول ، « كيللى ».

نيـــد : القضبان يا « ريردون » .

ريـــردون : القضبان ، نعم ، ان الحديد أراه يومض من سنا القمـــر
كما يومض منه كل شئ خالص المعدن والاصل ،
ومنها الماء والفتيـــات .
يطل القمر الزاهى علينا وهو يغشانا بنور منـــه ،
وهذا أرج الاشجار في آنافنا عبق ،

ونحن هنا على مرتفع طاهر ،
ولكن كلنا الخمسة منكبّــون
نعد العدة الشنعاء للاجرام والتدمير والقتل .

نيــد : لقد أعذر من أنذر ، يا « ريردون » .

هــارت : تلاعبــه مراوغة لكسب الوقت ، يا « كيللى » .

ريــردون : وما أعمل با لوقت وما نفعــه ؟
ولست بآمل أن تفد الشرطة زاحفة ، من خلــف
الجبال على مدى المتن .
ولن يطلع من ثمة الا الشمس من تلك التباشير .
ولست بمستعد أن أعين عليكم الشرطة .
دعوهم يستعينوا عليكم بذواتهم

نيــد : وهل ستعيننا نحن ؟

الثــانى : ما عمل بمختلف عن الآخر . كلا العملين سيان.
ولا يمكن أن يلقى علينا اللوم والتبعة .
وقد زُج بنا زجا وأجبرنا على عمل ننافيه .

ريــردون : من يمكنه ادراك أين الحق والباطل ،

في عمل كهذا على مدى خمسين عاما بعد هذا اليوم
ولا يمكن تمييز لذلك هذه الليلة
وقد جرجرنا من بيوتنا قسرا
وزج بنا بما ليس لنا شأن به
كما لو كنت في حلم .

هـــارت : إذن آ ن الآ وان وحان أن تصحو .

ريـــردون : انا من ساعة كنت بجانب زوجتي في مخدع النوم
ولي في الغرفة الجارة أطفال تجاوب نومها بالنفس الناعـــم .
ولم احلم سوى بفطور صبح غد ، ونومة بكرة الأحد .
وما أغربها حالا على شخص ينام كما ذكرت لكم وفي بيتـــه
ويستيقظ من دق عنيف يرعش الباب
كما لو كان دقا بيد القدر
ويلفى « نيد كيللى » واقفا دونه
نعم « نيد » ، ويحمل بندقيته .

ويأمر أن يؤدى عمل فوراً ، مساندة لعصبته .
وما أغربها حالا على شخص ينام بمل ء عينيه
ويضطر إلى ترك السرير يجوب من تل إلى تل ، مع البومات ،
مع أفاقة الغاب المغيرين الذين لا ينامون .

هـــارت : أرى أغرب مما قلت
لو نمت غداً كل النهار ولم تقم أبداً .

ريـــردون : وذلك ما أقيم له حساباً ، هذه الساعة .
اذن ، سنخرب القضبان .

نيـــد : لقد خمنت أنك لن تخيب ظننا فيك .

ريـــردون : لقد داعب قلبي أمل أنك حين ترى
بشاعة ماتؤدى وقساوته
سيطرأ فيك تغيير وتقلع عنه
فالقضبان ثابتة كأن قد ركبت تركيب ما يبقى إلى الأبد ،
وهى وثيقة وقويمة في وضعها كشرائع الله التى ليس بها عوج .

فخربها اذا شئت ،
وباسمك سوف أخربها .
ولكن عندما ينفلق الصبح ستبدو منظرا يوئسى
ويبعث في الفؤاد الحزن والحسرة .

نيسد : « ريردون » باشر العمل .

ريردون : ما أبشعه عملا ، بامكانك أن تغسل كفيك منه
بنور القمر الخافت
ولكن النهار ونوره الضاحي
ما أقساهما ماء لطمس معالم الجرم .

نيسد : حين يشع في الكون ضياء القمر السارى
تنق ضفادع الوادى كما تعوى كلاب الليل ، على لا شيء .
فهات المخل يا « ريردون » ولا تبقه في كفك
ودعني أبدأ العمل .

ريردون : يبدو لى بأنك ليس تخشى أن ينال يديك تاويث ،
فضوء القمر الخافت هذا لن يبينه ، ولن يبدى
حتى الدم إن حنَّاك ،

ولكن حينما يشرق ضوء الشمس ، سيغمرك الأسى الجارف

ولن تطهر كفاك من الإثم الذى قارفت بالليل .

نيـــد : يدى ، إن توجد الأوساخ متسخة ،

وحيث يكون سفك الدم دامية ،

وأرفعها مهددة لوجه الشمس إن تشرق على كل غبي فاغرٍ فاه

هياهات لى المخل ، فلا رادّ لما أزمعت أن أنجزه الآن .

ريـــردون : ما أطوله مهوى من هذا المكان إلى قرار الواد .

نيـــد : اذن يهوى قطارهم ويهوون إلى الحطمة .

هيا ، يا « ريردون » هات لى العتلة .

ريـــردون : (يسلمه العتلة)

لقد ألبت ضدك فوق ما يمكن أن ينزعه مخل ويقلقه

لقد ألبت ضدك عالما كاملا .

نيـــد : لأبدأ أولا بقطار أعدائى الذين هم على كثب ،

ويأتى دور من يتلوهم بعد ،

هيا إذن إلى العمل ،

(يهرعون إلى العمل) .

ســـتار



الفصل الرابع

المنظر الأول

الحانة فى فندق السيدة « جونز » فى « جليتراوان » فى ساعة متأخرة الليلة التالية .

(قبل ارتفاع الستار تسمع أصوات صاخبة دليل احتفال وراءه قهقهات ، وصراخ ، ولحن انشودة » فى الفترة الاستعمارية الأرعن » يترنم به منشدون من الرجال والنساء على موسيقى « اكورديون » . ومع مشارفة الأنشودة على النهاية يرتفع الستار . يرى « بيرن » في وسط المسرح ، ينظم الحفل . وفي ناحية اليسار من المسرح قد جمع اثنا عشر — أو ما يقارب هذا العدد — من رجال « جليتراوان » ونسائها بمحض ارادتهم عموما . ويسترعى انتباه المشاهدين ممن بينهم « ويردون » موظف ممسكة الحديد و « براكين » الشرطى . وقد اتخذ « نيد » مقعده على حاجز الحانة ، الذى تقف خلفه السيدة « جونز » و « الساقية » وإلى جانب « نيد » يقف « كيرناو » المدرس . يؤدى باب على يمين الحانة إلى غرف الفندق الداخلية ، ويؤدى باب واقع بيسار الحانة الأقصى إلى الخارج ، وبين هذا الباب وحاجز الحانة

نافذة واسعة ، تبدو من خلالها السماء ليلا ، ولمحة من أشجار اللبان ، يستمر اللحن ،)

استسلم الآن يا « جاك دولان » الأمر قد بان

هنا ثلاثـــة في وجه واحد ،

استسلم الآن يا « جاك دولان » أسرك قد حان

ياقاطع الطرق لا تعانـــد

شهر الفتى من حزامه

مسدسا ثم هـــــزه

كلعبة صغيرة تدعو الردى أن يقدما

قال الفتى من عرامـــه

بعنفوان وعـــــزه

إنى لكم محارب حاشاى أن استسلما

هلمو يا أحبائى جميعـــــا

نطوّف في الجبال الشامخات

وينشرنا معاً للنهب غنم

وتطوينا معا كف الممات

لسوف نجول في سهل وواد

على خيل سريعات جياد

إباء ان نعيش حيـــاة رق

ونرزح في سلاسلها الشداد

اطلق النار على الخيال « كيللى »

فهوى« كيللى » إلى الأرض صريعا

وتلقى طلقة قاتلة من كف « ديفيز »

كانت الرد سريعا ومريعـــــا

وإلى الأرض هوى منطـــرحا

فاقد الفلك الذى قد بُـــــدِّدا

وهو يصلى « فيتزروى » نـــاره

قبل ان يؤسر أو يستشهـــــدا

هكذا تم لهم أسر الفـــتى

وهو مازال أبيا مـــــاردا

هلموا يا أحبائى جميعاً ......

كيرنـــاو : (ضئيل الحجم ، أسود الشعر ، رقيق الشعور ، أنيق المظهر في بذلته السوداء) :

لا بد من يوم يؤلف فيه الناس أغانى مثل هــذه الاغنية عن عصابة « كيللى » .

نيـــد : نعم قد يفعلون

بـــيرن : لم لا تؤلف أنت أغنية ، يا « كيرناو » ؟

كيرنـــاو : في أغنية الليلة يذكر خيال اسمه « كيللى » .

نيـــد : يمكن أن يكون ذاك « عرة الأهل وشين قومه »

الســـاقية : يا « نيد » انت حاضر البديهة .

بـــيرن : دعيك من « نيد » يا « جورجيس » ، ام هل تريدين أن تثور غيرتى ؟ صبي شرابا لى .

السيدة جونز : أولنى هذا الشرف ، ياسيد « بيرن » ، على كل، الفنـــدق

فندقى أنا ، وانها لسعادة لى أن أكرمك أثنـــــاء مجيئك إلى « جلينراوان » .

بـــيرن : بارك الله قلبك الأسرالى العجوز اللعين ، ياسيدة « جونز » .

والله يا « نيد » ، انني بين فترة وأخرى يعتريني
شعور
غريب كأننا في « جيريليديرى » . ربما كـــان
ذلك لأننا
في الحانة ، وجماعة مر تاديها مر غمين عـــى
الاستسلام لنا .

نيـــد : ليس من هؤلاء من هو مرغم على الاستسلام لنا ،
ســـوى
السيد الشرطى « بر اكين » . وليس بين هؤلاء
كاهـــــن
مثل « جريبل » ولا ذباب قميء مهتاج مثـــــل
« ليفنج » ، ولم
يطلب منك أن ترفع يديك خضوعا يا « ريردون »
أليس كذلك ؟

ريـــردون : ولكن خلعى لكم قضبان سكة الحديد ، لم يكن
برضائى
أيضا ، الا أنني لست عدوا لعصابة « كيللى ».

بـــيرن : الا أنه يوجد هنا أخونا « كيرناو ». ورغم أن
هذا مدرس و « ليفنج » كاتـــب

في مصرف ، الا أن السيد « كيرناو » يذكرني إلى حد بعيد بالسيد « المحبرة » .

كـــيرناو : آمل أن لقب « المحبرة » لا يقصد به مالا يسر .

بـــيرن : لا ، أبداً ، ليست سوء النية فيه بأشد وطأة مـــن قولـــي لك بأنك عنكبوت تحت باب سحري تكاد أن تطأه أقدامنـــا فيهوي من تحتها ويهوى بنا إلى قرار الهاوية .

نيـــد : لكم تشط وتشطح مجانباً الحقيقة في حديثك هذا.

بـــيرن : هل أنا كذلك ؟ على كل ، « نيد » ، ما أشبـــه الليلة هاهنا بيوم « جيريلديري » ، الحانـــة ، والشرطة ، ورواد الحانة ، وحتى شبح السيـــد « المحبرة » والساقية الفاتنـــة .

نيـــد : مما يؤسف عليه لا يوجد هنا مصرف ننهبه ، لكي يتأتى كمال المشابهة ! هل نسطو على مابين يديـــك من الدخل ، ياسيدة « جونز » ؟

السيدة جونز : تفضلوا .

نيـــد : فلننشد تلك الاغنية ثانية .

بـــيرن : غنوا . . . . غنـــوا . . .

عبأت أذني غناء طيلة النهار كلـــه
لكن ذلك القطار ، مازال في الصمت يرن جريه .

نيـــد : « ستيفن » و « دان »
سيبلغاننا عنه اذا ما سمعاه

بـــيرن : الآن أستطيع سماعــه .

نيـــد : (يصدقه برهة من الوقت) : لا تستطيع سماعه.

بـــيرن : يبدو أنه قد أنشب العجل ، تشبثا بالقضب المثلجة

نيـــد : يالك من غبي !

ريـــردون : ليس غريبا سماعه في قلب من يعلمه مندفعا إلى الدمار ها هنا .

السيدة جونز : لايمكن أن يجئ .

بـــيرن : لايمكن أن يجئ ؟
بل ليس واجبا ان يجئ ، لكنه يدق طبل جنازته بنفسه

نيـــد : أظن أنهم سيحضرون .

بـــيرن : وهي حقيقة ، يا « نيد » ، « جلينراوان »
ليست « جيريلديرى » ، أيام عزنا القديمــة
الأول ، قد انقضت

كذا تحدينا ونحن راكضون بالجياد ، لكل من في
الارض
كله اندثر
لأن ذلك القطار قادم .

نيـــد : لم ينقض شئ ، ولما يندثر شئ سوى أعصابـك
المتدهورة .

بـيرن : اذن نغني ذلك النشيد ، لما به من الجموح والجمال
عن موت مغوار من الادغال
لكي نحس بالسرور والجذل .

(يبدأ في الغناء ، ويغني بعده الباقون ، انشودة .
« فتى فترة الاستعمار الأرعن » .)

هيا نغني عن فتى مغاور وأرعنـــا
وكان يدعى « جاك دولان » الجديـــر
بالثنـــاء
سليل والدين معدمين لكن لم يهونا معدنا
في أرض « كاسلمين » انجباه آملين بالسرور
والهنا

فرحة الأم الوحيـــدة

أمل الأب الوحيـــد

حبه قد كان حبـــــا

ما عليه مـــن مزيد

هلموا يا أحبائى جميعـــا

نطوّف في الجبال الشامخات

وينشرنا معا للنهب غنم . . .

وتطوينا معاً كف الممات

لسوف نجول في سهل وواد

على خيل سريعات جياد

ء اباء ان نعيش حياة رق

ونرزح في سلاسلهاالشداد

وقبل أن يتم ست عشرة من عمره

أجبر أن يجلو عن منزل والده

مطوّفا في جوا استراليا وحره

متجها للغاب من وجه مطارده

ونهب الكبار من متاجرى البقر

ودمر الابقار في الحظائـــر

(يصاحب « كيللى » المغنيين في البيت التالى) :

وصار رعبا ليس يبقى او يذر

وينذر « القارة » بالمخاطـر

هلموا يا أعزائى جميعاً .....

وابتدأ الفتى الجسور عيشة المخاطرة

بسرعة البرق وكل يسـر

فلم يكن في قلبه خوف من المغامرة

ولم يخف معادياً ذا غـدر

سطا على بريد « بتشورث » عياناً نهبه

وهدد القاضى « مكفوى » وأرعبه

فارتعدت فرائص القاضى وخلى ذهبه

لذلك الفتى الذى داهمه وسلبـه

هلموا يا أعزائى جميعا . . . .

أدى له تحية الصباح ثم انذره

بأنه لا يستبيح مال ذى قلب رحيم

ومن يقيم الحق ما نقصه أو هدره

وينصف الناس من الظالم واللئـيم

قال له : « لن أحرم ابنها الوحيد

قرة عينها وسعد قلبها الشفيق

أو أننى من حرمة القانون مخلوع طريد

مثل الفتى الأرعن قاطع الطريق

هلموا يا أحبائى جميعا . . . .

في أحد الايام بينما كان الفتى

ممتطياً جواده عرض الجبل

(يدخل « جاك جونز » ، وهو فتى ابن اثنتى عشر ة سنة ، من الباب الأيمن ، ويحمل الفتى صينية فيها عدد من الكؤوس)

بـيرن : (يقطع الغناء) : هاهو اذن « فتى الفترةالاستعمارية الأرعن » !

جاك جونز : (مبديا ثناياه ابتساما) : إيه والله !

السيدة جونز : هل يبتغون مزيدا من الشراب ، هنالك ، يا «جاك»

جاك جونز : إيه والله !

(يمد بالصينية إلى السيدة « جونز » ، وتملأ هي والساقية الاقداح .)

نيـد : (يقذف بنقود على حاجز الحانة) : املئي لهم الكؤوس ،

يا « مدام جونز » ، لسوف أدفع ثمن شرابهم حتى مطلع الفجر .

السيدة جونز : لست بحاجة إلى أن تدفع الثمن . انه ليسرنا ان تنزلوا ضيفا علينا وتكونوا بيننا .

نيـد : لاتردى أبدا نقودا غير زائفة .

السيدة جونز : هذا الذى دفعته أكثر من المستحق . انك تدفع مضاعفا .

نيـد : أعطى « جاك الصغير » ماتبقى ، لكى يتذكرنى به .

السيدة جونز : قل للسيد « كيللى » شكرا ، يا « جاكى » . أين أخلاقك الحميدة ؟

جاك جونز : كل الذين هناك يتطلعون إلى درعك . هل يمكننى ان اجربه على جسمى ؟

نيـــد : ستجده ثقيل الوزن

بـــيرن : ثقيل وزن بارد . لاتترىّ أبدا بزى « نيد كيللى » ، إنك ان فعلت قد لاتخلعه . . .

جاك جونز : إيه والله !

بـــيرن : من أين تعلمت هذه الكلمات الرنانة الطوال ؟ أم هل بلعت معجما ؟

نيـــد : هل كل الذين هنالك منشرحون يقضون وقتـــا لطيفا ، أيها الفتى ؟

هل كلهم سكارى ؟

جاك جونز : إيه والله !

كـــير ناو : هل زوجتى على مايرام يا « جاك » ؟ لاشـــك أنك تعرفها ــ السيدة « كير ناو » .

جاك جونز : لم تطالب شرابا .

وحسبوا الفرصة قد واتت لأسره

وهتفوا كأنهم قد مهدوا لذعره :ـ

استسلم الآن يا «جاك يولان» الأمر قد بـــان

هنا ثلاثـــــة في وجـــه واحد

استسلم الآن يا « جاك دولان » أسرك قد حـــان

ياقاطع الطـــــرق لاتعانـــــد

شهر الفتى من حزامـــــــه

مسدســـاً ثــم هــــزه

كلعبة صغيرة تدعو الردى أن يقـــــدما

قال الفـــتى من عرامـــــــه

بعنفوان وعـــــــــــزه

(يصاحب « نيد » المغنين في الغناء) :

« إنى لكم محارب حاشاى ان أستسلما . »

ريـــردون : يالك من شخص غريب ،

فأنت يا « نيد » تغنى والقطار راكض نحوالدمار

في هذه اللحظة ربما ،

ويا « لبيرن » شخصا غريبا يشبهك
فهو يغنى ويعاقر الشراب ،
وقد تلطخت كفاه بالدماء .

بـيرن : نسيت أنى ، أيضا ، أغازل ،
وانى قبّلت ذى الساقية الحسناء . (يقبلها)

الساقية : يا « جو » ، يا مجنون !

ريردون : البارحة ، قضوا على إنسان ، وهذه الليلة هم
ينتظرون مصرع عشرين زيادة ، وبين ذين المصرعين
الشراب ، والمزاح ، والنساء . والشاب « دان »
و « ستيف » ،
يصغيان كى يستقبلا القطار ، ويسمعان
قلباهما بالنبض يسرعان ، هناك في الظلام
يفكران مثلما تفكران ، بالفكر المظلمة التى تؤذن بالدمار

بـيرن : كذاك ما في خاطرى من الفكر ،
تعزى إلى الظلام ، أم أنها ليست كذاك ،
يا حبيبتى ؟

الساقية : أظن أنى في حضرة الشيطان .

بـــيرن : هاتى لى كأسا على ذكرهم .

الســاقية : كم تفرط في الشراب :

بـــيرن : حبيبتى ، لم أستطع ان أقتصد ،

فبي من الظمأ ، ما بجميع الشجر التى تساير الافق

والليل يدنو ، يا حبيبتى .

وسوف يغدو كل شئ مظلماً ، وفي دقيقة .

(يغنى في سخرية تثير الرثاء ، وتصاحبه الجماعة)

امتد راعى بقر يحتضـــــــر

في بذخ الجسم وفجر الشباب

وسرجه موسد رأســـــه

وحوله يبكـــى عليه الصحاب

فنصب الجسم وخلى الوســـاد

كى يوصى الصحب بهذاالخطاب !

لفُّوا دثارى الصوف حول البدن

واتخذوا سوطى رباط الكفن

ثم اقبرونى في حفير سحيـــق

لايزعج الضجعة فيه النعيـــق

ولا نباح « الدنجو » مهما يحيق

وحيث ظل الآس حولى رفيق

(يدخل «دان » و« ستيف » من ناحية اليسار .
ويخفت الغناء عندئذ .)

ياليت لى قدرة طير الحمـــام

اذ يمتطى الريش ومتن الغمـــام

نيـــد : أما بدت يا « دان » منها بادرة ؟

دان : عم يثور كل ذا الصخب ؟

لقد تجمدت مفاصلى ، وكل أوصالى تصلبت .

نيـــد : خيل لى أنكما قد نمتما .

دان : تقول نمنا ؟ انى لست بسكران إلى الحد الذى
ينيمنى في الغاب .

لقد ظللنا سائرين ، كى نستدفئ .

نيـــد : أرى من الافضل ان تعود .

هذا اذا كان القطار ، قادما ،

لابد أنهم قد سمعوا الذى جرى « لشيريت » ،
وأنهم ، ألآن في طريقهم إلى هنا .

السيدة جونز : حقيقة ، انكم بحاجة للشراب ، سيدفئكم .

دان : سنأخذ الزجاجة معنا .

بـيرن : هل لديك زجاجة أخرى ، ياسيدة « جونز » ؟ الجفاف هو اللعنة المنصبة على « استرالية » .

السيدة جونز : يوجد الكثير من أجلك .

الساقية : لقد تعاطيت مافيه الكفاية .

بـيرن : من « الروم » أم منك ؟ لم أحصّل من هـذا او من ذاك الكفاية .

نيـد : خذ الزجاجة ان احببت ، ولكن تمهل في الشراب يكفي يا « دان » ان قد أفرط في السكر واحد .

بـيرن : لست سكران . انني نشوان حبا وغراما .

هـارت : أود أن أمتنع بسكرة كبرى لا مثيل لها . فلقـد أجلت الشراب سحابة النهار ، منتظرا مجيء ذلك القطار اللعين . ولقد أضناني الملل .

نيـد : سنسكر السكرة الكبرى التي تتمناها ، غدا اذ سوف تحل المناسبة التي نحتفل فيه من أجلها .

بـراكين : وهل سترقصون على قبور الضحايا ؟

بـــيرن : سأرقص على قبرك ، قبلهم .

نيـــد : يا لله ، يا « دان » .

دان : أمرك مطاع ، سأرتقب القطار . وان لم يـــأت بالعجل سأعود وأجهز عليكم جميعا رميا بالرصاص ان صبرى يكاد ينفذ . هيا بنا اذن ، ياسيـــدتـــى الزجاجـــة .

(يخرج « دان » و « هارت » من ناحية اليسار)

كـــيرناو : يا « كيللى » هلا تكرمت بالسماح لى بالذهاب؟ قد قلت إننى يمكن أن أنسحب .

بـــيرن : ماالذى تود من أجله أن تذهب ؟ ألا تحبنا ؟

نـــيد : من أجل زوجته ، يا « جو » . فهى مريضة . ولا نود ان نبقى سيدة مريضة بيننا هنـــا .

بـــيرن : بل ولا نودان نستبقى مدرسا هنا ، على كل حال . تجيش نفسى غثيانا منه . (يغنى) :

ياليت لى قدرة طير الحمام

اذ يمتطى الريش ومتن الغمام

فليبق ها هنا ليشهد الختام .

نيــد : لكن زوجه مريضة

بـيرن : ليس يريد أن يكون متلنا في المشكلة ،
يخشى على سمعته ان تحطما .
وأنت يا « نيد » تريد أن تتيح فرصة له بالانصراف
لأنه ذو مظهر أنيق .
وليس في مخبره أناقة ، بل إنه « محبرة » مازاد
« ليفنج » .
يا « نيد » لا تثق به .

نيــد : ماهمني يحل أو يرحل . لكن زوجه مريضة .

ريــردون : مازالت الرحمة في قلبك ، يا « كيللى » .
ياليت علمي ماشعور الأرملة ، في كوخ « شيرت »
هذه الليلــة .

نيــد : « شيريت » كان جرذا ، كان مثالا للمــروق
خائنــا .

بيــرن : « كيرناو » أيضا مثله ، أو قل أقل منه في المروق
والخيانــة

ان لم يكن فأرا فدَرْصا راتعا بين غلال القمح في
ينوعها .
يعيش بين سوقها مخالسا وقارضا .

كـــيرناو : ليس حرِّيا بك ان ترتاب بى ، يا « بيرن » .
فانى الصق مايكون في علاقتى بالغاب
أعيش فيه ، وتعلمت أن أقدره .
فلست ممن يملكون واسع المرعى وقطعان البقر .
أنا معلم فقير ، أعلم الطفل الفقير ، علمى اليسير
بذلك الاجر الحكومى اليسير .
ولست جاهلا هذا البلد .
أعرف قسوة الحياة ، ومرها
كيف يكون الكدح والكفاح كى ينتزع الانسان
رزقـــه
من التراب والصخور
وكيف هذا ممكن ان يدفع الانسان أن يسير في
مسالك ،
ماكان فيها سائرا لو لم تكلفه الظروف القاسية .
كأن يودى بقطار للتردى والدمار

أو أن يشارك الرعاة في خيرات أرضهم وفي أملاكهم

بـيرن : هل ذاك ما تلقن الصبية علمه في المدرسة ؟

نيـد : سيعلم ربنا ، بأن هذا الصدق عينه .

كـيرناو : والله لو لم يدرك الانسان ما في سرقة الأبقار من حرج
ماعاش كل هذه المدة عيش المستكين
في (جاينراوان) .

السيدة جونز : طبعا ليس في سرقة الابقار من حرج ، فان يكن
موسر يملك ألف رأس من الابقار . ومعسر لاتملك
يده حتى قطعة من رغيف لإطعام صغاره ، فمن
ذا يلوم المعسر إن ضيّف نفسه من مال الموسر !
فلن يعينه احد ان لم يعن نفسه .

ريـردون : اذا خلا كيس أمرئ من النقود ،
فكلهم سوف يديرون ظهورهم له
كما تدير الشمس ظهرها للارض حين تغرب ،
فمن يلوم معسرا اذن
على الذى جنت كفاه في الظلام ؟

نيـد : « ريردون » كم تزعق مثل ببغاء ذى عرف
للزعق ذاته ،

لكن في زعقك أحيانا جمال منطق وعقل .

فربما تكون قد سكرت .

بيرن : ماذا الذى يمنع أن تجرب اليدين في سرقة البقر ، مادمت يا « كيرناو » مدركا جمالها ونفعها ؟

كيرناو : سوف تخونني شجاعتي .

بيرن : طبعا ستعجز ، لكن مازلت على قيد الحياة ، ولست أهلا للبقاء

هل أنت مدرك « كيرناو » مارأيى بأمثالك من الرجال الودعاء والقماء

من ليس يقوون على "هوش" فرس

ولم يمدوا نحو بندقيـة يدا ،

بل ماقووا أن يقفوا ثانية من الزمن

في وهج الشمس كما يزهو الرجال مقدمين عاملين ، أمثال هؤلاء

أريد أن أطلق بندقيتى عليهم

من أجل ماهم عليه من صفات تافهة

وكل ما ليسوا عليه من مزايا سامية .

نيـــد : دعه وشأنه ، يا « بيرن » .

بـــيرن : والله انه يجلس منا مجلس القضاء ، يديننا ،

كـــيرناو : لست أنا الذى يفعل ماتقول .

وليس من شأنى أن أجلس مجلس القضاء أو أدين .

بـــيرن : بل أنت مُصدر حكما علينا ، ضدنا .

تنعم في الظلام ناظريك كالوطواط

يشجب نور الشمس بل يدينها ، لأنه يخافها .

بـــراكين : لا بد ان يكون نور الشمس في أقله ، يا « بيرن » ،
ان كان ماتدعوه نور الشمس حسبما تقول ،

وذاك حينما تحطمون ، قصار سكة الحديد

وحينما تقترفون قتل الابرياء

كما قتلتم ذات مرة

« سكانلون » ، و « كينيدى » و « لونرجان »

نيـــد : إن اسنانك تصطك يا « براكين » ، اهدأ .

بـــيرن : يأيها الشرطى انى قادر على أن أطلق النار عليك .

السيدة جونز : ماهذا الحديث الذى أسمعه عن اطلاق النار ؟

نحن هنا جميعا أصدقاء . دع « بيرن » وشأنه
يا « براكين » .

براكين : حينما يقترف المرء جريمة يقتل غيره ،

تبقى لديه شهوة لكى يقارف الإجرام ثانية ،

مبرهنا على انه المحق .

قد لطخ الكفين بالدماء ، وهاهما مازالتا ، ترتعشان
من ذلك الجرم الذى قارفه

في قتل « شيريت » أمام زوجته .

بيرن : (ينفث كربا ثقيلا) :

ربـــاه

(يترنح . يتلقفه « نيد » ويسنده) .

الساقية : قد أفرط في الشراب . لابد أن يؤخذ كى يتمدد .

نيد : هون عليك ، « جو » . عار عليك الآن أن تطيح .

بيرن : (يفلت من بين يدى « نيد » :

حسنا اذن . أنا الذى قضى على « شيريت » .
أصليته ناراً فبردت مفاصله .

سخرت « تونى ويكس » كى يدعوه يخرج من
داخل كوخه

قتلته في داخل الكوخ أمام زوجته .

وزحفت في قاعة الغرفة . . . ثم زحفت . . .
وأمسكت بركبتى

ثم جرت تحوم في الغرفة تنشج كحيوان مخشن
مجروح .

كنت « وشيريت » صبيين رفيقين معاً في المدرسة
أصدر على الحكم في ذلك يا « كيرناو » .

قل الذى قد كان ممكنا عمله غير الذى فعلت

وانى سوف أعيد صنعه ثانيةً .

كـيرناو : ما قلت ما صنعته كان خطأ .

بـيرن : خطأ ، خطأ . . . إذا قطعت شجرة ، هذا خطأ
لكن غايتى لابد من تطهيرها .

من أجل ذا « كيرناو » سوف أقتلك .

(يهدد المدرس . ويصده « نيله » والساقية) .

السيدة جونز : الشاب منهوك القوى . أضجعوه ليستريح .

يوجد خلف الخان مضجع .

نيـــد : يا « جو » كن ثبتاً ، بحق الله .

بـــيرن : (وقد انهارت قواه) :

الانتظار ما أمضه ، يا « نيد » . إننى لآسف على الذى جرى .

لقد أنهكنى السهر . ياليت ذلك القطار يقبل —

نيـــد : إنه لمقبل ، ولتطمئن ، وكن على استعداد .

لاتخذلن أخاك فى وقت كهذا يا أخى .

بـــيرن : « كيرناو »

لن تمسك منى يد الضرر .

بـــيرناو : أفهم أفهم .

بـــيرن : (يستعيد قوته بعض الشئ) : لاشك فى فهمك يا « كيرناو » .

تفهم فوق ما يراد فهمه . انك أنت و « براكين » قد اتفقتما

لكى تكيدا لمغيرى الغاب وأن تكونا كاليد الواحدة عليهم .

كـــيرناو : هذا « براكين » ، كما قلت لكم مريض
وما كذبتكم فيما نقلته لكم عن الشرطى .
مدللا على صداقتى لكم .
وها هنا قضيت طيلة النهار ، مشاركاً لكم شرابكم

بـــيرن : فليكن الامر كما زعمت يا صديقنا .
قلب مغير الغاب نابض في صدرك الحنون .
وأنت مبغض أمثالك المواطنين هاهنا ،
وعوضا عنهم تحب قومنا .
كأننى لست « بيرن » بل اننى « ماتلدا » عمتى
إحم إحم ، ذلك لا يهم .

الســـاقية : (تمسك « ببيرن » من ساعده) :
هيا إذن يا « جوُ » تعال واضطجع . . .

بـــيرن : لابد أن تتخذى منى الحذر . أنا أعض في الظلام .

الســـاقية : دعنى أجربك .

نيـــد : اذهب ، يا « جو » . ولا تعر بالا قضية القطار .
وسوف أدعوك متى يجئ . ولا تعر بالا « لشيريت »
كذلك .

إن الذى مضى مضى .

بــيرن : يبدو انني غبي .

الســاقية : بل أنت طفل نكد لاغير .

بــيرن : كذاك تنتظرين لى ؟ هيا معى . . .

(يخرجان من ناحية اليمين يتضاحكان) .

نيــد : هم يتركونني بمفردى . وليس يجدى منهم أحد .

فواحد سكران ، وآخران ، يجعجعان دون طِحْن.
في مثل هذى الليلة العظمى التى تمر من حياتنا

ريــردون : أنت الذى أرسلت منهم فتيين كى يراقبا القطار ويقبعان في الظلام ، فمن يلام غيرك على الذى حصل ؟

نيــد : لقد صرفت الفتيين ليحجبا وجهيهما المنقبضين ، وكى ينشغلا .

أما القطار ، فممكن سماعه من ها هنا .

ريــردون : إن ينج بعض الناس من تحطم القطار ، فسوف تحتاج رجالك .

نيـــد : قد تكون حاجتى لمئة من الرجال . لكننى أغنى بنفسى عنهم .

كـــيرناو : هل يمكن أن تأذن لى أن أنصرف ؟
وسوف آتى كى أراكم غدا .

نيـــد : الله يدرى في غد أين أكون . اذهب إذن .
(يتجه إلى الباب وينادى) .
تعال ، يا « جاك » ! إلى هنا . أنا بحاجتك .

كـــيرناو : كنت أود الانتظار ، حتى نهاية المصاف .
لكن لن تقوى على ذلك زوجتى .

نيـــد : هذا المكان لا يليق بالنساء . ثق بالذى أقول .
(يأتى « جاك جونز » إلى المدخل الذى ناحية اليمين) .
يا « جاك » اهد تحياتى ، إلى حرم السيد « كيرناو » وترجها ان تخرج على هذه الناحية ، هل تعرفها ؟

جاك جونز : إيه والله !

نيـــد : بالله طر من ها هنا اليها وأخبرها بأنها مطلوبة للمجئ .

(ينطلق الصبى راكضا .)

السيدة جونز : لقد تعلق قلبه بك ، ياسيد « كيللى » . اذ لم أعهده قط ذلولا مطاوعا لأحد قبلك ، وعلى مبادرته هذه.

نيـــد : ماذا تريدين له أن يكون ؟ صاحب فندق وحانة ؟

السيدة جونز : ان لم يغد من مغيرة الادغال .

نيـــد : يمكن أن يكون أسوأ من ذلك . ولكن العمل في حانة شعبية أسلم له .

(يعود « جاك جونز » ومعه السيدة « كيرناو » ، وهى امرأة ترتدى ملابس على آخر طراز ، مشوقة القوام ، شاحبة اللون ، مروعة) .

كـــيرناو : لا عليك ياعزيزتى .

نيـــد : (ينحنى لها محييا) : حسنا ياسيدة « كيرناو » ، أنا آسف على تأخيرى لك مدة طويلة .

السيدة كيرناو : (مرتبكة) : حلت السعادة بذلك على .

السيدة جونز : لم تلتق « بجو بيرن » ، أم أنا مخطئة . ؟ !

نيـــد : لن أطيل بقاءك في هذا الجو مدة أكثر . ياسيدة « كيرناو »

لقد أصدرت أمرى بالرجوع بك إلى دارك .

السيدة كيرناو : الدنيا مظلمة . وزوجى —

كـــيرناو : أنا آت معك . لقد سمح لنا بالذهاب .

السيدة كيرناو : أشكر لك تلطفك ، ياسيد « كيللى » .

نيـــد : الخير في أن تسرعا . فالوقت يمضى مثل لمح البصر . توجها توًّا إلى السرير . ولا تحاولا ان ترياما يحدث فان سمعتما تحطُّما أو طلقات النار فالزما السرير .

كـــيرناو : سأدّعى كأننى في حلم .

نيـــد : لكن يا « كيرناو » لا تحلم بصوت مرتفع ، أكثر مما يجب .

لا تهذ في النوم ولا تسر في النوم هذى الليلة .

كـــيرناو : هل أنت واثق من أننا في مأمن ؟

نيـــد : انتما معى في مأمن ، هاك ساعدى ، سيدتى .

كـــيرناو : لتصبحوا جميعكم بخير .

براكـــين : وأنت يا « كيرناو » فلتصبح بخير .

(يخرج « نيد » مصاحبا آل « كيرناو » .

السيدة جونز : حتى وان بدت مطمئنة ، فان اطمئنانها سحابة صيف .

براكين : (باندفاع عاطفي شديد) : الآن حانت فرصة لنا !

لقد قضيت كل هذه الليلة أرتجي سنوجها .

فحينما يعود فلنهجم عليه (يرنو اليه الحاضرون صامتين .)

لم يبق غير « نيد » وحده

وإنما « بيرن » حطام .

والآخران ليسا شيئاً أبداً .

ماأسهل ما سنفعله .

لسوف نرتمي عليه كلنا معاً .

(تدخل الساقية من ناحية اليمين) .

الساقية : حاولت أن أنيمه ، وقال إنه سوف ينام .

لكنه مازال في تململ على مضجعه ،

مازال في اعتقاده بأنه يسمع اقبال القطار .

قلت له : ذلك صوت الريح . . لماذا أنتم صامتون؟
ماذا جرى ؟

السيدة جونز : لاشئ حتى الآن ، لم يؤذ أحد .

براكين : هذىأمور ليس من شأنك ان تدخلى بها .
وليكن الانذار هذا كافيا لك .
هيا اسرعوا ، سوف يعود في دقيقة .
من الذى سوف يهاجمه ؟

صوت : هاجمه أنت بنفسك .

براكين : لعنتم ، أنتم تدرون بأنني مريض .
قد سحبونى من سريرى مكرها . هيا إذن . هيا
إذن .
ليس لدينا فسحة للجدل
أ أنتم رجال ، أم أنتم غير ذلك ؟

صوت : نحن رجال ، لا جدال . لكننا لسنا رجال شرطة .

براكين : رباه ! هل قد مسكم جميعكم جنون ؟

صوت : نحن على أتم أنواع الرضا .

براكين : لكنما القانون قد خول لى نصرتكم

وانى مطالب اياكم بها .

صـــوت : خلنا عنها بعيداً لا تطالبنا بها .

بـــراكين : سوف يعود « نيد » لا محالة .

وموعد القطار موشك أية لحظة من وقتنا هذا .

ولست أرجوكم بأن توأزروا الشرطة مقتفى الأثر ،

وانما الشر الذى يخشى وقوعه في الفينة القصيرة التى

تتاح أمام « كيللى » وعصابته ، لهو أشد وأمر ،

من كل ما يبغون أن يشفوا غليلهم بـــه ،

من الكلاب ، سود الاهاب

تلك التي ترسلها الشرطة كي تزعجهم

ففوتوها فرصة عليهم .

فى القطار مثلكم مواطنون بيض ،

مواطنون بيض ، يا يها الرفاق

صـــوت : ذاك مصيرهم فليقبلوه مثلما يجىء ،

من الذى قال لهم يسافرون صحبة الكلاب ، سود

الاهاب ؟

يجرئونها على (مغيرى الغاب) .

بـــراكين : « ريردون » ، لابد من ان تستقيم جانبى تعيننى .

« ريردون » ، يجب ، يجب
فأنت أعقل الجميع هاهنا ، تفهم مقصدى .

ريـــردون : فيما تقول منطق معقول ،
لكن ماكان يجب ، ان ترسلوا كلابكم سود الإهاب
كى تقنصوا بها بيضا من الرجال مثلكم .
وليس من شأنى بأن أدخل في ملمة نازلة
بتلكم الكلاب ، سود الإهاب .

بـــراكين : لكن همى الآخرون . لسوف يقتلون .

السيدة جونز : ليقبلوا الحظ كما تأتى به نتيجة المقامرة .

بـــراكين : انها جزيمة مسبق اصرارها .

السيدة جونز : ونحن أصدقاء آل « كيللى » هاهنا .
فمنذ كانوا فتية في سن « جاك » ، نعرفهم ،
ونحن ندرى كيف طوردوا وشردوا ،
لغير ما ضر أتوه قاصدين .

بـــراكين : ان لم يكن قصدهم الضرر ،
فما الذى يعنيه ذلك التخريب ، ماالذى في سكـــة القصار ، ينتظر ؟

يالك من معتوهة ، صارخة الجنون ، عمياء النظر
كم رجلا من البشر
ستغرب الليلة شمسهم وتحتضر ؟
لأن هاهنا مجنونة فاقدة الادراك والبصر
ألست تقوين على ان تدركى الذى لاحت به النذر؟

صوت : أليس من تحنو عليهم شرطة ؟ اذن فهم ليسوا من البشر !

براكين : (يستر وجهه بكفه لاطما) :
رباه ساعدنى على الضر الذى فيه أنا ، وأى ضر :

بيرن : (يبدو هائجا ، مضنى من الأرق ، ينتفض رعشة حين اندفاعه المفاجئ من الباب الايمن) :
لن تقيك يا (براكين) أى شر
سوى معونة القدير المقتدر
لو كان « نيد » سمع الذى كنت تفوه من هذر.
فالقبر مثواك وبئس المستقر .

براكين : لا تطلق النار على « بيرن » إنى أعتذر .

السيدة جونز : دعه ، فما هذا سوى مغفل من البقر .

فلم يعره أحد بالا وما كان له لينتصر .

السـاقية : ان يكن الذى هفا ، فكن أنت يا « جو » من عفا وقد قـدر .

بـيرن : تذكروا بأنني لو كنت قدمت لكنت قادرا ،

أن أغرس المسخ المشوه الذى أمامكم ،

وسط حفيرة من الثرى تليق به

لكنني أعتقه وأطلقه

ولم ذاك ، ماالسبب ؟

لأنـني بذرت حقلي وانتهى عهد الغراس ،

أضف إلى ماقد سلف ،

ما استفادتى من أذن مشعرة وحيدة في رأس شرطى بليـد ،

ان قستها بوافر من الحصاد أرتجيه وافدا مع القطار؟

(يقدم قدحا من الشراب للشرطى .)

تريد كأسا من براندى ، يا « براكين النديم ؟

تبدو لعيني في أمس حاجة لشربها .

بـراكين : يا « بيرن » لن أنسى لك الفضل الذى أسبغته على.

بـــيرن : لتنسه ، لتنسه ، فلست عسلوجا من الخزامى ،
كففت عن قتلك كي تضحكني ، إذن فسلني .
او أنني سأشنقك ، من رافد السقف الذى يميـــل
فوق رأســـك .

ريـــردون : دعه فما مزاجه مهيئاً للتسلية .

بـــيرن : لكنه يضحكني حقيقة . هل كنت يا « براكين »
أن هولاء الناس سوف ينصرون الشرطة ضدنا ؟

بـــراكين : الآن قد ظهر لى بأنهم لن يفعلوا .

بـــيرن : لوأن نورا من ذكاء أومض
في ذلك الرأس الذى خوى على عروشه
وخارت الرياح في أرجائه ،
لكنت أدركت جلية الامور
حين بدا « كيللى » وصحبه
وخلفهم طيوف أشباح تهيم
فبعضها يرسف في سلاسل من الحديد ،
وبعضها تجلد ، أو مشنوقة ،
بل تلك اشباح غدت مرسومة ،

تعكسها مرآة اذهان البشر
في طول « أستراليا » وعرضها .

ريــردون : يا « بيرن » عبر با لذى تقول عن نفسك ،وعن مشاعــرك .
أما أبي العجوز ، فانه ماخرج
إلا لكى يغير المناظر أو شبه ذلك .
بذاك قد خبرنى .

بــيرن : لربما يكون مافعله كما تقول ،
لكنما خروجه كان من السجن وحسب :
من وحل الامطار سوداء باحياء الأناس المعدمين
ربما ، إلى مكان فيه شمس ضاحية ،
من الحقول المحدقات بالسياج ، من الجداول التى قد سُيجَتْ ،
من حيث يضرب السياج حول الارنب ،
إلى مكان فيه يطلق الرصاص نحوه لصيده .
والجدول الرقراق كان مسبحا لطائر البط الوديع
ثم غدا يملكه ملاك أرض ذو نفوذ .

والمرج من دون سياج كان يجرى المرء فيه خيلـــه
في وضح الشمس ، وليس زاحفا تحت السياج .
فان يكن أبوك قد غادر سجنه ،
فانه ليس بعائد إلى غيابته .
ودائما ، سيذكر السلاسل ، سيذكر الامطار ...
والأرض التى يملكها ذوو النفوذ المتخمون
من يومنا هذا إلى الف من الاعوام فيها الشمس
تغدو مشرقـــــة .

بـــراكين : يا « بيرن » هذى الارض « استراليا » .
وها هنا عدالة .

بـــيرن : ها هنا الشرطة ، إن كنت الذى تعنيه ذاك .

بـــراكين : ها هنا عدالة .

بـــيرن : قد يكون ما تقول واقعا .
لكن في اللحظة التى تطلب ممن ها هنا
لكى يساعدوا « الشرطة » ،
تثقل أيديهم سلاسل الحديد .
هذا الذى يضحكنى منك ومن عدالتك .

ريـــردون : إنها أرض يغشيها الخبال والجنون .

بـــيرن : بل انها مجنونة شديدة الجنون

جنون عمال المناجم الذين يكدحون ، من أجـــل عيش أهلهـــم

والغاب كم عجّ بهم يرهنون كدهم، بعيش يومهم.

وزادهم مقتصر على شراب « الروم » وحده

وحفنة من التراب .

يتخذون شجر اللبان زوجات لهم

يعوون في الظهر مع الكلاب ، من جوع ومـــن حر شديد .

الســـاقية : وأنت نوعا ما مثلهم جنونا وشقاء .

بـــيرن : خمنت ماأنا عليه ، لم يعد سرا عليـــك

لكن لم يبلغ بى الجنون مهما بلغ ، جنون هـــذا الشرطى المخبـــل ،

في ظنه السئ أن « جليزاوان »

يمكن ان تعينه ضدا « لكيللى » والرفاق .

ما « نيد » الا « جليزاوان » .

صخورها ، والشجر ، ونخيلها ، وحاتها ، وأهلها

ريــردون والصل تحت تربها ، وسمة الناقع في الناب المميت .

بــيرن : وذاك أيضا ، إن تشأ .

و « الدنجو » منشبا أسنانه في عنق الحروف .

لم تقل قسوته ، عن قسوة الغاب الذى يعيش فيه ،

لم يكون طبعه في رقة النسيم ؟

إن تكن الدنيا بأسرها قاسية عليه ؟

ريــردون : لكن لاتقدر أنت أن تكون مثله قساوة ،

أنت تقلب الامور من قبل وبعد خوضها ، مفكرا

لكن « نيد » يقدر أن يقتل شخصا مثلما

ترمى حصاة في غدير ،

فهى تغوص واذا الشمس يعود نورها

منعكسا على صفاء وهدوء

كأن شيئا لم يكن .

براكــين : تحكى عن القتل كأن القتل شئ طبعى في الدغل

يحدث عاديا ومرسلا

الصل يقتل ، و « الدنجو » يقتل ، نعم ، وغير

ذين يقتل ،

لكنتنا نقتلها ، نبيدها .

و « نيد » سوف يشنق لما ستجنيه يداه ، الليلة .

السيدة جونز : مثلك لن يشنق « نيد » أبداً .

براكـــين : سيكفل القانون شنقه .

بـــيرن : الناس خلف سلطة القانون .

إن الذى يحدث صنع الناس ، إن يشنقوه ،

يشنقوا انفسهم . هى الحكومة الى قد جعلت منه مناوئاً

لسلطة القانون ، وخارجاً عليه .

كذلك الجرائد التى من البعيد في المدن

تعوى ، تحرض على دمه .

كذلك المتأنقون من صغار الشأن من عنه يطالعون عند الفطور ، حينما زوجاتهم يقرأن جرائد الصباح أخباره لهم . أولئك الذين يبغضونه

وانما هم يبغضون فيه ما يخشونه في ذاتهم

وكل مايخشونه هو الذى في أسّ ذاتهم يهوونه :

الرجل الذى يقف شامخا منتصبا في هيئة الرجل

وتحت نور الشمس ، جاسرا بان يكون نفسه .

ريـــردون : ذاك شيءٌ ليس يستهان به

بل انه أوحد شيءٍ في الوجود ،

كصخرة في بطن واد موحش ، ليس به إلا تنادى الطير .

كمثل ماء نازل قطرة فقطرة داخل كهف .

كم يشعر المرء بعزلة ووحدة ووحشة

حين يثير الدنيا كلها وتغتدى ضدا له .

الســاقية : أوشكت أن تبكينى .

بـــيرن : ان شئت أن تبكى فابكى واندبى

ستجدين للبكاء مايبرره ، من قبل أن يميط هــذا الليل ستره وينقضى لكن فلتبكى علّى طائرا مضيعا في الواد سادرا ،

لا تندبى « نيد » ف « نيد » حوله أسطــورة تضاجعــه .

يا ليتني كنت مثل « نيد » ولى مثله أسطورة تسحدنى
« نيد » نفسه يجمع في إهابه

« باور » ، « بن هال » ، « فريد وارد »
تشكلوا جميعهم في ذاته —
آخر من تملكوا السُّبل .

كذاك رأيه في نفسه ، لذاك فهو آمل سعيد .

فتاة « ثندربولت » ماتت كمدا عايه ،

لكن « نيد » فتاته سيدة فيها صلابة وجرأة على
الحيـــــاة

فليس مثلها ينهار في وجه القضاء ،

وليس ممكنا بأن يلقى بلحمها قوتاً لديدان القبور .

ريـــردون : لن يقدر القانون أو رجاله على ان يشنقوا أسطورة ،
لاسيما حين تكون « أستراليا » بنفسها ،
وياله نوعا من الحلم العنيف
قارة تمتد فوقها السماء شاسعة —
هذى البلاد الضخمة الجبارة الآماد —

بـــيرن : وانما الاسطورة التى قد نسجت من حول « نيد »
خادعة مهولة .

خاطئة من بدئها . لكن لأستراليا ضلع بها ،

نعم ، فأستراليا ، نوع من الارض التى ليســت
تليق ان تطير في سمائها سوى النسور ، لاتستطيع
أن تجوب في أرجائها ،

على ظهور الخيل ، سوى رجال كالنسور

الســاقية : اذن فى زعمك ، أنت نسر ؟

بـــيرن : انا ، كريشة طائرة مع الرياح . انى ، سيدتى ،
أهوى واندثــر .

(يدخل « نيد » من ناحية اليسار) .

نيـــد ليس في الافق شئ ، إن ، يخدعونا يا «جـو » ،
أو تفشل خطتى ، فانى سأصطادهم من عقـــر
دارهم ، في ثكناتهم .

ريـــردون : لخير ماتفعله وأحكمه ، تعود أدراجك من حيث
أتيـــت .

تقصد منزلك .

نـــد : منزلى هنا ، حيث سيأتون ، وحيث ألقى الشرطة

أي مكان غيره ليس لي بمكان . فكل شئ قدمضى
مثلما مضى « كيرزاو » — مضى وقد خلصنا منه
لم يبق هاهنا ، الا أنا والشرطة .

لكم يماطلون في المجئ ، يماطلون في المجئ ،

لابد من مجيئهم ، فهو عليهم قدر لابد من لقائه
في هذه الليلة دونما تأخير !

بـــيرن : أحدس انهم سيحضرون .

نيـــد : اذا أتوا الى ذا البلد ثانية من بعدما يحطم القطار ،
سيعلمون ان ذى بداية لاغير .

راوغتهم قبل تحاشيا ، فررت منهم ، لجــأت
للغاب ،
تركتهم وشأنهم ،
لكنهم قد أطلقوا بعدى عيونهم تجسسا ،
وجرأوا كلابهم سود الإهاب ، تقتفى مسلكى —
(يسمع صوت صفارة قطار)

أصغوا اذن !

بـــيرن : هذا هو القطار ! أتى المجانين ، أتوا .

السـاقية : ماأرهب الموقف ، ماأرهبه .

نيـد : (مبتهجا) : أمامهم منحدر المحطة ، ومنه عبرها
إلى قرار الهاوية .

ريـردون : عشرون أو لربما كانوا ثلاثين من الرجال
الان يهوون حطاما ، يلقون مصرعا محققا .

نيـد : وفي الاخير أقبل القطار !
دحرجهم يأيها القطار مصوبا من الجبل ، الـى
الحضيض
يا « جو » قد تم لنا ماقد بذلنا الجهد في انجاز ه .
الآن تسمع القطار . أصغ اليه ، واستمع .

السيدة جونز : ياللمساكين ، ويا قلبي عليهم .

براكـين : لتوقفوا الحادث قبل أن يقع !

بـيرن : لاشئ ممكن ان يوقف الذى سوف يحل الآ ن ،
حم القضاء ، وانقضى الأمر فلا مرد .

براكـين : رباه !

السيدة جونز : أصغ ، الآ ن هل تسمع حسا للقطار ؟
قد ذهبوا مع الرياح وقضوا .

ريـــردون : قد ذهبوا إلى قرارة السكون ، إنهم الآن رجال ميتون .

نيـــد : يالهم مردة أرثى لهم . لقد لقوا حتفاً أرادوه وطالبوا به .

براكـــين : لعنتم يأيها الاوغاد ، أبناء الزنا القتلة !

بـــيرن : (يمسك بتلابيبه) : وأنت ، يا « براكين » أيضاً ،

ما الذى من أجله يجب أن تبقى وأن تعيش

طالما العالم ذى الليلة يحترق ؟

نيـــد : (مشرعا مسدسه) : سوف تموت ، أيها الشرطى، فاستعد .

الســاقية : (صارخة) : يا « جو » أتركه ، ألم يكفكم الذى فعلتموه ؟

ذاك القطار . . . لم أعد أقوى على احتمال ما تقترفون . . .

نيـــد : لكنما « براكين » قادر ، على احتماله

وانه لرجل مقاتل لا ينثنى عن القتال .

« براكين » شرطي ، وهُـمُ الشرطة الكماة ،
لقاءنا مقاتلين ،
وهم يموتون اشتياقاً للقاء .
(يندفع « دان » و « هارت » داخلين)

دان : يا « نيد » هاهم الشرطة قادمون ! قد أوقِف القطار
يستبقون الآن نحونا ليوقعوا بنا ،
إنهم عشرون أو أكثر من هذا العدد .

نيـــد : قد أوقف القطار !

دان : أو قفه ، قبل تقاطع الخطوط رجل بيده فانوس
جرى محاذاة الطريق ، ماوحاً لهم بنور فانوس الخطر
فانوسه الأحمر .

هـــارت : ظل ملوحاً وصارخاً كمثل مجنون علا هياجه .
فوقف القطار . وخرجوا منه جميعهم وهاهم إلى هنا يستبقون

نيـــد : « متوعدا » ، من كان ذلك الرجل ، صاحب الفانوس

ذلك الذى قد أوقف القطار ؟

بيرن : لاشك أنه « كيرناو » صديقك العزيز .

نيد : هل هو « كيرناو » ؟ قل يا « دان » « كيرناو » !

دان : لم افكر في ذلك . لكن نعم ، لابد أنه « كيرناو »

بيرن : ليكن الذى يكون : « كيرناو » أو « ليفنج » أو « شيريت » —
تلك بلايانا التى تألبت لقهرنا !

نيد : كان عليكم رميه وقتله .

دان : رميه وقتله ! إن علينا الآن ان نبارح المكان بالعجل.

السيدة جونز : هيا اذن شدوا رحالكم ، مادامت الفرصة سانحة!

هارت : نقدر على أن نأتى بجيادنا وننطلق .

نيد : لا أبدا . لست مبارحا . لست خارجا من هذه الحانة مطلقا .

دان : لكنما الخطة كلها قد فشلت .

هأرت : إنا لمقضىّ علينا لا محالة ، يا « نيد » ، ان لم نبادر الآن إلى جيادنا .

نيـــد : حم القضاء إن بقينا هاهنا ، حم القضاء ان فررنـــا من هـــــنا .

سوف أظل باقيا . سوف أريهم شيئا من القتال .

سوف نذيقهم من هول حربنا ، حتّى يقولوا : « قد كفانا » .

ثم يهربون — فالخان معقل أمين — وبعدها نغادر المكان ، عندما نريد . لن أقر أبدا . لالن أفر ثانيا وأحمد الظروف أن قد فشلت خطتنا . إنى أردتّها حربا وقد أتت إلىّ .

هـــارت : أنت تريد ان تجرنا إلى الجحيم .

نيـــد : اخرج ، اذا شئت الذهاب .

بـــيرن : « براكين » يا « نيد » خذ الحذر !

(يطلق « نيد » النار في أثر « براكين » ، الذى ظل يتحين فرصته ، وتسلل من الباب الايســـر للالتحاق بالشرطة .)

ريـــردون : اوشكت ان تصيبه .

نيـــد : أترك سبيلى ، لعنة الله عليك !

(يلحقه « بيرن » و « دان » يندفع « نيد »

إلى المدخل ، تسمع طلقة رصاصة عليه ، ويتعثر متقهقرا ، قابضا بكفه على ساعده الأيسر .)

بـــيرن : يا « نيد » هل أصبت ؟

نيـــد : بساعدى فقط . وليس شيئا ذا خطر .

أخلوا المكان من هؤلاء الناس ، أبعدوهم من طريقنا (يسوق « دان » و » هارت » ، كل النـــاس ماعدا « جاك جونز » ، فيخرجون مسرعين إلى ناحية اليمين . يخف الفتى إلى النافذة ، ناحيـــة اليسار ، ويرنو إلى الليل في الخارج . تسمع طلقة رصاصة ، ويقع الفتى على الارض صريعا)

نيـــد : ياللصغير الغر !

بـــيرن : (يرفع الفتى) : ماأسوأ الذى حصل ! هل آلمتك ، يـــابنى ؟

(لايرد الفتى على السؤال . تولول السيدة « جونز » حينما تعود راكضة لتشهد ماحدث .)

نيـــد : أبعدوهم من هنا .

السيدة جونز : قد قتلوا فتاى .

نيـــد : إننى لآسف . فلم أرد حدوث ماحدث .

لكنما خطتنا قد أخطأت هدفها . وباء بالخسران كل شئ .

(« بيرن » يحمل الفتى خارجا به من ناحيـة اليمين . ويتجه « نيد » إلى النافذة ليطلق النار على الشرطة)

★★★

الفصل الرابع

المنظر الثاني

(نفس المكان . في وقت متأخر . يضئ الحانة فانوس واحد و « نيد » على حاجز الحانة يتعاطى الشراب . « بيرن » عند النافذة اليسرى . كلاهما يلبس الدرع الثقيل الذى صنعه أحد الحدادين لعصابة « كيللى » من شفار محاريث مسروقة . وظلت جلالات الرأس البشعة المنظر مطروحة على حاجز الحان ، قيل انها تبدو مثل علب المسامير المقلوبة)

بيرن : لا بد أنهم ناموا .

نيد : لن يناموا هذه الليلة .

بيرن : النار مشعلة . لكنهم مختبئون في الظلال جيدا . وقد مضت عدة ساعات عليهم من حين أطلقوا رصاصة .

نيد : سيطلقون رصاصة تفوت مسمعك ،

اذا ظللت مبديا نفسك هكذا . وانت في الشباك في خطـــر .

بالله قف من ذلك الشباك جانبا أو اعتمر بخوذتك .

بـــيرن : لعنت الخوذة ماأثقلها .

بل ان كل الدرع ذا في غاية الثقل ، وانه نتـــاج فكرة مجنونة .

نيـــد : لكنه أفضل من جسم امرئ مجرد ضد رصاصة .

بـــيرن : لانستطيع الركض والدرع على أجسامنا .

نيـــد : لكنني لست براكض من هاهنا .

بـــيرن : واأسفي لأننا ماكان عندنا درع « لجاك » ، ذلك الفتى المسكين .

نيـــد : قتله رجال الشرطة . وذاك دين آخر سوف يؤدون عليه ثمنا . .

بـــيرن حسبت أنهم سوف يهاجمون الخان .

نيـــد : ينتظرون القمر ، وفي النهار ، ينتظرون ان يعززوا قواتهم .

لكنني لن أنتظر .

بيرن : تقول إنك لن تنتظر ، لكن ستنتظر ، وكلنا سننتظر .

نيد : لم سننتظر ؟

بيرن : من أجل لاشئ . ولكن رغم ذاك ، سننتظر .

نيد : نشبه الثيران وهى تستظل في فناء المجزرة .
سوف تموت ناعما بالظل والبرود .

بيرن : ساعتان ، أوثلاث ، قد تكون أربعا
من قبل أن ينبلج النهار . وربما سننتظر
نصغى إلى طقطقة الساعة اذ تطل من حائطها .
مازال في الزجاجة التى أمامنا « روم » كثير .

نيد : الق بها يا (جو) للجحيم !
(دان) ، و « هارت » جاثمين في المؤخرة
شاخصين كل واحد إلى أخيه ، يرتعشان
كأرنبين قابلهما ثعبان .
لكن أنت — تعال يا « جو » معى . نهاجم المتربصين .

بيرن : نهجم ضد حائط من الرصاص ؟

نيد : من أجل ذاك قد توسلنا بهذه الدروع .

بيرن : في كل درع فجوة عند كل ركبة ، وعند كل مرفق
وفيه فجوة يا « نيد » عند الفم ، والدرع حلم ،
مثلما تعلم عنـــه .

نيد : سوف يرد طلقة الرصاص .

بيرن : سوف يهاجمونا ، وسوف يطغون علينا بالعدد .

نيد : اذا خرجنا كلنا مندفعين هاجمين
نطلق الرصاص من كل سلاحنا معا ، نصليهم بوقده
لسوف يكسرون ، ولن يقابلونا أبدا .

بيرن : قل هذه الفكرة « لاستيف » .

نيد : خصومنا ليسوا سوى شرطة .

بيرن : أخبر بذاك ، أخاك « دان » .
فانه ليس سوى فتى ، وهذه الليلة قد قتل هاهنافتى
وقد رأى أخوك ، مايمكن الشرطة صنعه .
أظن أنه كان على وهم بأن طلقة الرصاص من يد
الشرطـــى

كانت بعض شيء ناعم ، مختلف عن الذى نألفه ،
فلا تقتل ، وربما لا تصله ،
بل لم تكن رصاصة في ذاتها .

نيـــد : انا وأنت نستطيع ان نؤدب الشرطة وحدنا .

هيا معى يا « جو » . وأنت تدرى أنها فرصتنـــا
الوحيدة التى ليست تعوض . هيا معى الآن نبادر .

بـــيرن : توجد حولنا حلقة نيرانها متقدة .

وخلف تلك النار حلقة من شرطة الفرسان .

من أجلنا قد استعدوا بلظى النيران والبنادق المهيأة ،
من نحن في هذا الصدد ، كى نستطيع السير وسط
شعلة من اللهب ؟

نيـــد : لسنا اذن عصبة « كيللى » ان قعدنا هاهنا ،

نندب حظنا ، وذاك كل ما أعرفـــه .

بـــيرن : ان الذى تعرفه أكثر مما قلتـــه .

تعرف ان هذه أول مرة حاسمة ، ،

تخطىء خطة لنا كل حياتنا ، وانت تدرى ان مبلغ الخطأ
قد بلغ الزبى ، ولن يعيده إلى الصواب أى شيء أبدا

فماتحطم القطار .وهاهنا الشرطة محدقين ليوقعوا بنا—
ولسنا في العراء ، حيث كان ممكنا سنوح فرصة لنا
ويوشك النهار أن يجئ .
سوف تأتى نجدة لفرقة الشرطة ، لكن مالنا مـــن
نجــــدة .

نيـــد : حسنا اذن أغلقت الأبواب دوننا ، وفاتت الفرص.
لكن مازالت لدينا فرصة ،
اذا انبرينا للقتال خارجـــا .

بـــيرن : وأنت أيضا ، تعلـــم
بأن ذا الباب الذى نفتحه لنخرج ،
خارج ذاك الباب يفغر الفناء حلقه لنا .

نيـــد : تقصد الشرطة .

بـــيرن : خارج ذاك الباب مرصد لنا أكثر من عداوة الشرطة
أستراليا كلها . كل الرجال التافهين الغاضبين ،
أولئك الذين قد تألبوا لحربنا يجرونا لهم إلى وطيسها !
مثل « ليفنج » ومثل » كيرناو » وغير ذين ،
كل الرجال من ذوى النفوذ ، أولئك الذين ،
تقبلوا منا التحدى ،

كذاك قتلانا الذين دمهم على أكفنا !

« سكانلون » و « كينيدى » و « لونيرجان »

كل هؤلاء واقفون ، منتظرون ، ان تفتح الباب

كل لكي يهاجموك .

نيـــد : أسأمتني بهذه الشكوى وذا التذمر السخيف .

بـــيرن : أما أنا فهذه الليلة قد سئمت من ذاتي وقد غثيت .

سئمت من أشياء ، قد رأيتها .

سئمت أشياء ، قد قمنا بها معاً .

ذاك الفتى الذى قضى . . . من أجل ماذا كان قتله ؟

لأنه كان مع عصبتنا ، راقبنا واحتك بنا

تنسم الهواء معنا ، ذاك الذى بثثنا فيه سمنا .

الموت في نفسنا ، انّا نسمُّ النور !

نور الشمس والمصباح .

خارج ذاك الباب يوجد الناس الذين منهم سخرنا وهزأنا بفعالهم .

الأمناء ، من يعيشون مع جيرانهم بالأمن والسلام،

أولئك الذين قد عشنا بأمنهم ، وقد عبثنا بجلاله
جميعه .
والآن نحن في إسارهم .

نيـــد : لات حين مخرج مما وقعنا في حبائله .
ولات حين مندم لنذرف الدمع على ما اقترفت
اكفنا ،
وكل ما يهمنا هو الذى نصنعه الآن فصاعدا .

بـــيرن : بل الذى لابد أن يهمنا ما اقترفت أكفنا .
« سكانلون » و « كينيدى و «لونيرجان »
كانت لهم زوجات ، بل كان لهم أطفال .

نيـــد : ولى أم كان من كيد « الشرطة » وضعها
في سجن « مليورن » ، وحرمانى من حنانها .

بـــيرن : و « جاك جونز » لم يمت من أجل ذنب قد جناه.

نيـــد : قتلـــه رجال الشرطة .

بـــيرن : لقد صدرنا اليوم للحساب ، كى نرى أعمالنا .

نيـــد : إن عاجـــلا أو آجلا ،
لابد من أن يصدر الإنسان للحساب ، لكى يرى

أعماله في هذه الدنيا ، فإن لم يكن الآن فني غد .

بـــيرن : لكنما حسابنا الآن ، وذا خير الجزاء .

نيـــد : ماأكثر الذين مثلىقد تكلفوا أن يقتلوا النفس المحرمه
فليس يحصى عدد لهم ، إن هم قيسوا بى مفردا .
لكن من قد قتلوا ليسوا كثيرين إلى الحد الذى بـــه
يبالــغ .

أنا بذاتى سأموت ، في هذه الليلة ان حم قضائى
وتناهى أجلى .

وهكذا كان محتما أن يموت من قضى من قوة
« الشرطة » ،

إن كان لابد بأن نعيش مثلما نود ،

بالله ، قل لى كيف كانوا يسلكون ، وما أرادوه
بنـــــا ؟

ونحن لم نعش الا كما يعيش أحرار الرجال ،

فلم نكن نخاف أن نركض بالخيل هناك وهنا

وكم ركبنا الخيل ضاحكين ، هازئين بالخطر .

والآنلن أبدأ بالشكوى وبالتذمر السخيف .

فإن تكونوا كلكم رُوعتم ، وخوفكم ليس عليـــه من مزيد ،
فسوف أغدو خارجا من هاهنا بمفردى .

بـــيرن ! اخرج اذن ، بمفردك . فذاك ماتهوى وما تريد .
فحمات النيران في اشتعال ، والبندقيات على أشدها منتظـــرة ،
لسوف تغدو خارجا في وهج المجد الذى تبغى بلوغه
وقعت فينا كلنا ، لكى نصير حطبا مشتعلا ، لجثتك
حين تعد للحريق يوم مأتمك .

نيــــد ! (بكل ماأوتى من قوة وثبات ، ويكاد يكون مبتهجا جذلا ، حينما يعتمر خوذته ، ثم يسير بخطى واسعة واثقة نحو الباب) !
إلى الجحيم كلكم إذن ، إنى لخارج
(يتوقف برهة ، ثم يلقى توسله الأخير .)
هل أنت خارج معى ، يا « جو » ؟

بـــيرن : لا ، لست خارجـــا :
(يشرع خلع درعـــه .)

نيــــد : (وهو ذاهب) ! اذن ، إلى للقاء :

بـــيرن : (يندفع وراء « نيد » ناحية الباب) :

يا « نيد » عد ! يا « نيد » !

(تطلق رصاصة ، ويتنحى « بيرن » جانبا بسرعة من لدى الباب ويغلقـــه .

يندفع « دان » و « هارت » والساقية داخلين من ناحية اليمين .)

دان : يا « جو » ماااللذى يجرى هنا ؟ هل داهموا الخان وأين « نيد » ؟

بـــيرن : لقـــد خرج .

الســـاقية : هل أصبت يا « جو » ؟ لقد جرحت !

هـــارت : (يسارق النظر إلى الخارج حذرا من جانب النافذة) :

ليس للشرطة من أثر .

بـــيرن : تريثوا ، فلست مجروحا ، ولم أصب .

« نيد » قد مضى ، وذاك كل ماجرى .

دان : مضى — إلى أين مضى ؟

هل يقاتل الشرطة وحده ؟ لكن لايسمع اطـــلاق رصاص في الفضاء .

ولم يصيبوه بشر ، أم أصابه منهم أذى ؟

هـــارت : (ومازال عند النافذة) : لوكان قد أصيب لكان ممتدا على الثرى ، ليس هناك أحد .

بـــيرن : بل أطلقوا النار عليّ . اذ كنت أدعو « نيد » أن يعود انساب دائرا بجانب البيت ولكن لم يروه .

لسوف تلقى منهم اصابة يا « ستيف » .

اذا بدا منك لهم أثر ، من عند تلك النافذة .

هـــارت : (يرتد مبتعدا من عند النافذة) : لكن مايقصـــد من خروجـــه ؟

لن يستطيع ذلك الغبى ان يقاتل الشرطة كلهـــــم بمفرده .

بـــيرن : لست أدرى أنه مضى مقاتلا . لقد مضى ، وذاك مافي الأمر كله .

هـــارت : يقدر أن يبلغ مهره — فمهره في الغاب في ركن ركين لقد مضى اذن ، وخاننا .

دان : جزاء ما افتريت سوف أقتلـــك !

الساقيـــة : لن يتخلى « نيد » عن « جو » ، بل ولن يخونه.

بــيرن : (يسير متجهاً ناحية النافذة) : أنا الذى تركته .
لقد رجانى أن أصاحبه ، لكننى رفضت .

الساقيــة : لو خرجتما كلا كما لكنتما قتلتما معا .

دان : وقتلنا - بلا منازع - محقق هنا .

هــارت : سوف يداهموننا في مطلع النهار .

دان : سيشعلون النار في الخان فيجلونا الدخان
لكى ينوشنا رصاصهم .

هــارت : نحن اذن في المصيدة . لقد وقعنا مثل الجرذان .

بــيرن : (عند النافذة) : في ليلة الأمس القريب ،
كان رجل ، اسمه « هارون شيريت » أوقع في مصيدة مثل الجرذ .
الآن قد نجا من ربقة الحياة .
لعله غدا فتى يعوم في الغدير ،
يطفو مع أخيلة الصفصاف في هدوئها على صفاء المـــاء .

الساقيــة : تعال يا « جو » هاهنا ، ابعد عن الشباك .

دان : هيا بنا نلحق « نيد » . يمكن أن نفلت كلنا .

بـيرن : لات حينا لانفلاتنا . لانستطيع الآن فتح الباب
وان فتحته لأطلقوا الرصاص .

هـارت : اذن لنستسلم للشرطة .

بـيرن : ان تفتح الباب صلتك النار من رصاصهم .

الساقيـة : يا « جو » بالله ابتعد إلى هنا من ذلك الشباك .

بـيرن : ما أحسن المنظر ، ياحبيبتي .
نيرانه ، ظلاله ، وعمق ليله اللطيف برده .
أيتها السيدة الجميلة البيضاء ، ظلام هذا الليل كم
له من أثر على أكثر مما لك من أثر .
فلتندبيني ، فلقد وددت أن أحب .

هـارت : وحتى في وقت مثل ذا ، لا تنثني مثرثرا ، يأيها
الغبي .

بـيرن : سجيتي تجاوز الحدود في الكلام . انني لآسف .
فقت الحدود في الكلام عندما حدثت « نيد » .

دان : لولا كلامك الكثير ما خلفنا هنا .

هـارت : قد كنت أدرى أنه سوف يخوننا . أخبرت « جو »
بذاك .

فلم يكن — غير نفسه — يهمه أحد .

بيرن : نحن كذاك كلنا .

الساقية : (تتشبث بـ « بيرن » وتحاول جره مبتعدة به من النافذة) :

يا « جو » تدرى أنهم يراقبون . أبغض تلك النافذة .

هناك حيث قتلوا « جاك » المسكين الصغير .

بيرن : كذا اذن ، هناك كان مقتله .

الساقية : (تصرخ هلعة) : يا « جو » ، ابتعد إلى هنا .

(تسمع طلقة رصاصة ، ويسقط « بيرن » أرضا .)

دان : (صارخا) : يا « نيد » قد أردوه !

هارت : لقد قضى . فما الذى نقدر أن نفعله !

دان : والله لن أوخذ حيا ، بل ولن أشنق حتى الموت .

الخيران أن تنهى حياتى برصاص من يدى .

هارت : سوف تكون شاهد الإثبات ، باسم الملكة .

دان : (مشددا في التهديد) :

وأنت أيضا سوف يرديك رصاص من يدى .

الفصل الرابع

المنظر الثالث

(أر ض براح ، في الغابة ، خارج الفندق . عند طلوع النهار .

يمثل المشهد أمام ستارة ضبابية قد نقشت عليها صور تمثل أشجار لبان النور ضئيل . عندما يرتفع الستار ، يظل جو من الصمت مخيما فترة وجيزة .

ثم تسمع أصوات ، خارج المسرح ، من ناحية اليسار .)

صوت أول : البرد ما أشده في ذا المكان !

صوت ثان : البرد دائما يكون ، على أشده في مطلع النهار .

الصوت الاول : كان علينا أن ندهم الحانة عنوة ،

ان لم نجد « كيللى » وعصبته

ننعم بما فيها من « الروم » لكى يدفئنا .

الصوت الثانى : سرعان ماتستيقظ الشمس .

وكل شئ ينتهى .

(من ناحية المسرح اليسرى تدوى طلقة رصاصة . ويبدو « نيد » للعيان متقدما بخطى واسعة ويطلق النار مرة أخرى ، وهو مجلل بدرعه ومعتمـــر خوذته ، ويبدو ، شكله مهولاً جبارا من خلا ل الضوء الضبابي .)

الصوت الاول : تطلعوا ، يأيها الرجال !

الصوت الثانى : ذلك « نيد كيللى » !

الصوت الاول : هيا اقنصوه ! أجهزوا عليـــه !

(ينهال وابل من الرصاص .)

نيـــد : (يصرخ بصوت داو مع تقدمه في السير) :

نعم اذن ، يأيها الأعداء ، هاهنا « كيللى » أمامكم .
انتم اذن تبغونني ، ألستم تبغونني ؟
اذن تعالوا ، أجهزوا على .
أو أنظروني ، وسآتى وابيدكم .
فأطلقوا النار ، استمروا ، فلماذا لم تصبوا ناركم على ثم أنتهى ؟
هنا طريد الشرع والقانون ! بل هاهنا الشخـــص الذى تبغون صيده .

من هاش خيلكم ليلا ، ومن أخلى بنوككم.
لماذا لا تأتون تصطادونني؟ كمثل ماأتى « سكانلون »
و « كينيدى » و « لونيرجان » ، أولئك الذين
أفنيتهم يوم « سترنجيبارك » في الممر !
هل معكم « كيرناو » ؟ فقد اذن جيشك ،
يا « كير ناو » !

(يسمع مزيد من طلقات الرصاص ، والصراخ .)

أصـــوات : أوقفوه ! اقبضوا عليه ! أوقفوه !

نيـــد : خاب رجاؤكم ! لن تقدروا علـــى .
والآن أمضى حيثما أشاء ، أفعل ما أشاء .
هيا اخرجوا من حيث أنتم ، خلف الشجر
إن كان في امكانكم ، بحسب ظنكم ، أن توقفونى
عنوة .
انتم ثلاثون وأنا وحدى ، أليس ذلك الذى تفضلون ؟
هيا قفوا صفا ولاقونى اذن جميعكم !
هذا الذى أردتموه ، طالبينه :
دفعتمونى أن أخلى مسكنى ، صيرتمونى خارجاً عن
حرمة القانون ،

بعثتم القناص خلفي كي يصيدني ، أغريتم بي
صحبتي بمالكم
شريتم منهم دمي ، ليغدروا بي ويتيحوا مقتلي لكم ،
بيّتمْ صيدي كأنني كلب شريد ، تلحق بي
كلابكم سود الإهاب .

وكان موتكم على يدي محتما ليلة أمس ، لو أنني
استطعت ،

لكن مازالت أمامي فرصة أبيد بعضكم .

أصوات : ناراً على ساقيه ! تحت الدرع ! ناراً ، نار ! .

نيد : حكمتم عقولكم ، لا تتركوني دون أذى .
اذن فهيا أقبلوا وقاتلوني كلكم .

(حالما ينتهي حديثه بنبرة مهددة ضارية تسمع
طلقة مفردة ، ويترنح « نيد » ثم يهوى . وتسود
فترة وجيزة من السكون .)

شرطي خيال : (يخامره تهيب يلجمه) : تطلعوا اليه حيثما صرع .
ملقى على الصعيد .
ذاك « نيد » ، « نيد كيللي » نفسه .

آخــر : كان بامكانه أن يفر لائذا بالغاب ، وان يعــاود القتال ثانيــة !

الشرطي الخيال الأول : لله ما كانت حياته ، كانت جنونا مطلقا وعزلــة طاغيــة

وبالموته منفردا ، ألــّب دنياه عليه كلها

ثم قضى ، كما ترون ، في الغاب ، في « جلينراوان »

أصــوات : (صارخة) : لقد هوى ! لقد هوى وباد .

مرحى لنا في قهره ! مرحى لنا لقد قهرنا نيــد كيللي .

(يندفع الشرطة الخيالة إلى الأمام من كل ناحية ، ويتجمهرون حول الجثمان الملقى أرضا .)

★★★

فهـــرســـت

الموضوع	رقم الصفحة

١ ــ مقدمة بقلم الدكتــور على الحديدى ٧

٢ ــ بيان باكثر مؤلفات دوجلاس سنيــوارت ... ٤٥

٣ ــ شخصيــات المسرحيــة ٤٧

٤ ــ الفصــل الأول ــ المنظر الاول ٤٩

٥ ــ الفصــل الاول ــ المنظر الثانى ١١١

٦ ــ الفصــل الثانى ــ المنظر الاول ٢٣١

٧ ــ الفصل الثالث ــ المنظر الاول ٣٥٥

٨ ــ الفصل الثالث ــ المنظر الثانى ٣٩٣

٩ ــ الفصل الرابــع ــ المنظر الاول ٤٠٥

١٠ ــ الفصل الرابع ــ المنظر الثانى ٤٦٩

١١ ــ الفصل الرابع ــ المنظر الثالث ٤٨٥

مطبعة حكومة الكويت

فى العدد القادم

مسرحية ((العين بالعين))

تأليف : وليم شكسبير **ترجمة : د . زاخر غبريال**

ألف شكسبير (١٥٦٤ ــ ١٦١٦) هذه المسرحية عام ١٦٠٤ . ومعنى هذا انها تقع فى فترة نضوجه . وتبحث هذه المسرحية مشكلة الخير والشر فى اطار اجتماعى ومن زاوية خاصة حجر الاساس فيها هو معنى العدالة .

والسؤال المطروح هنا هو : هل يحقق القانون الوضعى العدالة؟ أم ان هناك معانى انسانية أسمى من القانون ينبغى ان تؤخذ أولا فى الاعتبار ، ولا تتحقق العدالة الا بها ، هذا هو محور الصراع فى هذه المسرحية .

وفى سبيل الاجابة على هذا السؤال يعرض شكسبير أنماطا من البشر متباينة ، وينعكس تباينها أوجه المشكلة المختلفة ، كما يعرض صورا من الخيانة الاجتماعية بما تحويه من تضارب وتناقض يكشف عن مكنونات النفس البشرية .

نلتقى فى هذه المسرحية بالمهيمن على تطبيق القانون وهو أول خارق له ، والفتاة التى تبذل النفيس كى تنقذ اخاها من حكم جائر ، والمسجون الذى يجد فى السجن لذة وراحة تبعده عن مشاق الحياة ، والداعرة التى هى أكثر نقاء ممن يتصنعون الشرف ، والمنافق الذى لاهم له الا مداهنة الحكام ، وأخيرا بالامير الذى يتنكر فى مسوح الرهبان كى يرى الامور على حقيقتها دون زيف ممهدا بذلك لاحلال العدالة المبنية على الشرعة الانسانية ، وليس على النصوص الجامدة .

هذه مسرحية تمتاز بكثير من الصراحة التى كانت تميز المسرح فى عصر اليزابيت والتى كان لشكسبير منها حظ كبير . هذا فضلا عن حبكتها القصصية الرائعة التى تمتلك على المشاهد اسماعه وابصاره متابعا خيوطا تتشابك حتى ليظن ان بطلها مقضى عليه لا محالة ، فاذا بالامور تتبدل من حيث لا يحتسب ، واذا بالغيوم تنجاب فى يسر طبيعى ، وينتصر الخير أخيرا .

وقد كان لهذه المسرحية نجاح متصل على المسرح منذ كتابتها . كما اخرجت للتلفزيون عشرات المرات فى انجلترا وأمريكا على السواء اذ رغم أن المشكلة التى تعالجها المسرحية عقلية وفلسفية الى حد ما ، الا ان شكسبير أفلح تماما فى عرضها فى اطار مسرحى مديرا حواره فى براعة فائقة ، وخالقا شخوصة بحيث ينبضون بالحياة . ومهما كان عمقه الفلسفى فهو قادر دائما على تيسير الافكار بحيث تصبح سهلة التناول .

وليس من شك فى ان القارىء سيجد فى هذه الترجمة العربية متعة حقيقية وفائدة كبرى .